



ح) دار الآل والصحب للنشر والتوزيع، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريف، معتمد محمد الطيب

الإلزامات على عقيدة الرافضة في الصحابة عليهم السلام / معتمد محمد الطيب

الشريف. - الرياض، ١٤٣٧ هـ

٢٤٨ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١-٣-٩٠٧٨٥-٩٧٨-٦٠٣

أ. العنوان

١- الشيعة - نقد

١٤٣٧/٩٩١١

ديوي ٢٤٧

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٩٩١١

ردمك: ١-٣-٩٠٧٨٥-٩٧٨-٦٠٣

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

الإلزامات

على عقيدة الرافضة

في الصحابة رضي الله عنهم

تأليف

السيد (أبو مريم الأدرعي الحسني الشريف)

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م



تقديم الطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:
فهذه الطبعة الأولى من كتابي (الإلزامات على عقيدة الرافضة في الصحابة عليهم السلام)
اعتبرتها مقدمة لأعمال قادمة تخدم هذا الكتاب وقد أشرت إظهار اسمي ومكانتي
الاجتماعية لطبعة قادمة علماً بأنني من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله ولا فخر فقد قال صلى
الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث الصحيح (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه).
وأهدي أسرتي الكريمة وكل من ساعدني على إخراج هذا العمل العلمي
المبارك حفاظاً على منهج نبينا وجدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم،
كما أحث أبناء أسرتي من آل البيت النبوي من السادة والأشراف على الذب عن
حياض هذا الدين فالمسئولية عليهم أكبر من غيرهم.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^{(٣) (٤)}.

أما بعد :

فإن الردود على المخالفين في بيان الحق وإقامة الحجة لها منزلة كبيرة في الإسلام لأن الله عز وجل بين لنا أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق وأنه أزال الباطل قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٥)

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء، آية (١).

(٣) سورة الأحزاب، (٧٠ - ٧١).

(٤) هذه خطبة الحاجة كان النبي ﷺ يعلم أصحابه، أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٤١١٥)

وقال محققوه: « حديث صحيح »، وأبو داود في سننه (٢٠٣ / ٢) برقم (٢١٢٠) باب في خطبة

النكاح، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١٩ / ١) برقم (١٥٣٥).

(٥) سورة الإسراء، آية (٨١).

وهذا الحق اكتمل الدين وأقيمت الحجة قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^(١).

ولما كان مسلك الإلزام في الرد على الخصم من أنواع الحجج التي تضعف الخصم وتظهر جانب الحق، وهو أسلوب عند السلف له منهج متبع مع قلة الطارقين لهذا الباب مع ظهوره وأهميته.

فقد عني بهذا المسلك أهل العلم وجعلوا لها مسالك شتى لتكون للحق أظهر ولإبطال الباطل أبين، واقتبسوا هذا الأسلوب في الرد من أسلوب القرآن في استخدام الإلزام كحجة على المشركين مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْنَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ^(٢) وهذا إلزام جدلي وتقديره أنه لو كان مع الله شركاء له لطلبوا السبيل إلى غلبته على عادة الشركاء لكن اللازم استخف الله فيه بعقولهم وأقامه عليهم ليتبين لهم أن الملزوم باطل، كما ورد ذلك المسلك في السنة وذلك في حديث الأعرابي الذي ضرب النبي ﷺ المثل له في الإبل وقال لعله نزعها عرق ^(٣)، وهكذا استمر هذا المسلك وبخاصة في عهد علي رضي الله عنه عندما ظهرت الخوارج والشيعة ونشأت مقولاتهما علناً وظهرت بدعهما الأولى ثم توالى البدع شيئاً فشيئاً كلما خرجت بدعة دعت أختها فخرجت القدرية والمرجئة والجهمية والمعتزلة وهكذا أصبحت البدع تخرج وتتطور وتنمو وتشكل، فقيض الله لهذه الأمة علماء عظماء أجلاء يزودون عن حياض الدين ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين قارعوا أهل البدع

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة الإسراء: ٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٥ / ٢٠٣٢) برقم (٤٩٩٩) باب إذا عرض بنفي الولد، ومسلم في الصحيح (٤ / ٢١١) برقم (٣٧٥٩).

بالسيف والسنان والحجة والبرهان يقول ابن القيم **رحمته الله** في موقف علماء أهل السنة في دفع البدع (واشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذروا فتنهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد ^(١)). فلما كان مسلك الإلزام في الرد على الخصم من أنواع الحجج التي تضعف مذهب الخصم وتظهر جانب الحق، وهذا أسلوب معتمد عند السلف، ومنهج متبع، وطريق مسلك، ولقلة الطارقين لهذا الباب من الباحثين مع ظهوره وأهميته اختصرنا كتاب أصله رسالة علمية باسم «الالزامات على عقيدة الرافضة في الصحابة **عليهم السلام**».

أهمية الموضوع:

مما لا شك فيه أن التصدي لأهل البدع من أعظم أبواب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ^(٢) . ولا شك أن الرد المباشر أكثر وضوحاً من الرد بالالزام ولكن الرد بالالزام يجعل عقل الخصم داخل حلقة لا يستطيع أن يخرج منها أو يجيب عليها فيضطر للتسليم غالباً حتى لا يقع في محذور هو أكثر شناعة من القول نفسه. فانظر إلى الإمام أبو زرعة الرازي ^(٣) كيف يلزم الرافضة بطعونهم في الصحابة **عليهم السلام** بأن ذلك يؤدي إلى بطلان الكتاب والسنة لأنهم هم النقلة والطعن في عدالتهم

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٧٢).

(٢) سورة التوبة آية ٧٣.

(٣) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، الحافظ أبو زرعة القرشي المخزومي، مولا هم الرازي، أحد الأعلام، سيد الحفاظ، محدث الري، توفي ٢١١هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٦٥).

يورث الشك بنقلهم فيقول **رحم الله**: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله **ﷺ** فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول **ﷺ** عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله **ﷺ** وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة).^(١)

حدود البحث :

ما ذكره العلماء من الإلزامات على عقيدة الرافضة في الصحابة **ﷺ** وما استنتجه الباحث من إلزامات على الشبه أو على تفاصيل المذهب مما لا يخرج عن منهج العلماء الموصوف ومما يكون متناسقا مع ما كتبت أقلامهم من المصنفوف.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد فيه أربعة مباحث وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع، وأهم أسباب اختياره، ، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: في التعريفات وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالصحابة **ﷺ**.

المبحث الثاني: التعريف بالرافضة.

المبحث الثالث: مكانة الإلزام في الرد على المخالفين في الإسلام وفيه ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول: الإلزام في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الإلزام في السنة النبوية.

(١) الكفاية للخطيب (١/ ١٨٨).

المطلب الثالث: الإلزام عند الصحابة رضي الله عنهم والعلماء من بعدهم على المخالفين وطرقهم في ذلك.

الباب الأول: الإلزامات التي تلزم الرافضة في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم عموماً وفيه فصلان:

الفصل الأول: إلزامات قولهم إن الصحابة رضي الله عنهم من المنافقين منافقون وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان مذهب الرافضة في قولهم إن الصحابة رضي الله عنهم منافقون .

المبحث الأول: إلزامات ثناء الله عليهم في كتابه.

المبحث الثاني: إلزامات عدم قيام الكثرة الكافرة على القلة المؤمنة.

المبحث الثالث: إلزامات عدم تكفير علي رضي الله عنه لمن خالفه.

المبحث الرابع: إلزامات أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ رسالته.

المبحث الخامس: إلزامات نصرهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقتالهم معه.

الفصل الثاني: إلزامات قولهم إن الصحابة رضي الله عنهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: وفيه قول الرافضة إن الصحابة رضي الله عنهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أو سبعة.

المبحث الأول: إلزامات الطعن في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: إلزامات قتال الصحابة رضي الله عنهم للمرتدين.

المبحث الثالث: إلزامات عدم تضييع الصحابة رضي الله عنهم لجهادهم وتعبهم.

المبحث الرابع: إلزامات أن القدح في الصحابة رضي الله عنهم قدح في النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الخامس: إلزامات ما حصل على أيدي الصحابة رضي الله عنهم من فتوحات

وانتشار للإسلام.

الباب الثاني: الإلزامات التي تلزم الرافضة في موقفهم من الخلفاء الراشدين وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: إلزامات قولهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان قدحهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المبحث الأول: إلزامات مدح أئمتهم لأبي بكر الصديق.

المبحث الثاني: إلزامات دفن أبي بكر الصديق مع النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: إلزامات عدم مقاتلة علي لأبي بكر في الخلافة.

المبحث الرابع: إلزامات خروج أبي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة.

المبحث الخامس: إلزامات قولهم بأن فعل علي مع أبي بكر محمول على التقية.

الفصل الثاني: إلزامات قدحهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان مذهبهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المبحث الأول: إلزامات تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر.

المبحث الثاني: إلزامات دفن عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: إلزامات تولية عمر لعلي على المدينة.

المبحث الرابع: إلزامات الفتوحات التي حصلت في عهد عمر.

الفصل الثالث: إلزامات قدحهم في عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان قدحهم في عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المبحث الأول: إلهامات تزويج النبي ﷺ ابتيه لعثمان.
المبحث الثاني: إلهامات جمع القرآن في مصحف واحد بأمر عثمان.
المبحث الثالث: إلهامات تجهيز عثمان لجيش العسرة.
المبحث الرابع: إلهامات عدم منازعة علي لعثمان الخلافة مع قدرته على ذلك.

الفصل الرابع: إلهامات في القدح في الخلفاء الثلاثة جميعا وفيه تمهيد وستة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان نصهم على خلافة علي دون غيره وقدحهم في عدالة الخلفاء الثلاثة.

المبحث الأول: إلهامات رضى علي بخلافتهم ومبايعتهم.
المبحث الثاني: إلهامات عدم إبعاد علي عن شؤون الخلافة.
المبحث الثالث: إلهامات عدم تحقيق مصالح ذاتية لهم في خلافتهم.
المبحث الرابع: إلهامات تسمية علي بأسمائهم.
المبحث الخامس: إلهامات تخصيص النبي ﷺ لهم بأمر كثيرة.
المبحث السادس: إلهامات عدم إثبات فضيلة لعلي إلا وللثلاثة مثلها.
الباب الثالث: الإلهامات التي تلزم الرفض في باقي الصحابة رضي الله عنهم غير الخلفاء الثلاثة وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الإلهامات في قدحهم في أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان قدحهم في أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما.
المبحث الأول: إلهامات قولهم أن الكافرة يجب أن تطلق.
المبحث الثاني: إلهامات ثناء النبي ﷺ عليهما.

المبحث الثالث: إلزامات ورود ذكرهم في القرآن مع باقي الزوجات.

الفصل الثاني: الإلزامات في قدحهم في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وفيه تمهيد

وثلاثة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان مذهبهم في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

المبحث الأول: إلزامات تنازل الحسن بن علي لمعاوية بالحكم.

المبحث الثاني: إلزامات نصرته للإسلام وكثرة الفتوحات في عهده.

المبحث الثالث: إلزامات إكرام معاوية لأهل البيت.

الفصل الثالث: الإلزامات في قدحهم في أبي هريرة رضي الله عنه وفيه تمهيد وفيه

مباحثان:

التمهيد: وفيه بيان مذهبهم في أبي هريرة رضي الله عنه.

المبحث الأول: إلزامات روايته لفضائل أهل البيت.

المبحث الثاني: إلزامات دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

فهرس الموضوعات.



التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الصحابة ﷺ

تعريف الصحابة ﷺ لغة:

وقال الجوهري: «والصحابة بالفتح: الأصحاب، وهي في الأصل مصدر، وأصحبته الشيء: جعلته له صاحباً، واستصحبته الكتاب وغيره، وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه»^(١).

قال الفيروز آبادي: «استصحبه: أي دعاه إلى الصحبة ولازمه»^(٢).

وقال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: «لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول (صحابي) مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً، كما أن القول (مكلم ومخاطب وضارب) مشتق من المكالم والمخاطبة والضرب، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلاً كان أو كثيراً... يقال: صحبت فلاناً حولاً ودهرأً وسنة وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ أحداً ولو ساعة من نهار»^(٣).

(١) الصحاح (١/ ١٦١) باختصار، وانظر لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٨٦)، وانظر أيضاً

التعريفات للجرجاني (١٧٣).

(٢) القاموس المحيط (١/ ٩٥).

(٣) انظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٦٩.

تعريف الصحابي في الاصطلاح:

اختلف أهل العلم في تعريف الصحابي اصطلاحاً على أقوال فيما يلي:

١- تعريف سعيد بن المسيب - رحمته الله -.

قال سعيد بن المسيب: «الصحابة رضي الله عنهم لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين»^(١).

٢- تعريف علي بن المديني - رحمته الله -.

قال علي بن المديني: «من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم»^(٢).

٣- تعريف الإمام أحمد بن حنبل - رحمته الله -.

عن عبد القدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهل بدر فقال: «ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه»^(٣).

٤- تعريف الإمام البخاري - رحمته الله -.

قال الإمام البخاري رحمته الله: «من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»^(٤).

وتعريف سعيد بن المسيب هذا تعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: «والعمل على

(١) انظر: الكفاية في علم الرواية ص ٦٨، وأسد الغابة (١/ ١٨).

(٢) انظر: فتح الباري (٥/ ٧).

(٣) انظر: الكفاية في علم الرواية ص ٦٩.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (٣/ ٧).

خلاف هذا القول؛ لأنهم اتفقوا على عد جمع جم من الصحابة ﷺ لم يجتمعوا بالنبى ﷺ إلا في حجة الوداع»^(١).

والتعريف الراجح هو ما قرره الحافظ ابن حجر بقوله: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»^(٢). ثم قال شارحاً التعريف: «يدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى وقولنا: (به) يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، ويدخل في قولنا: (مؤمناً به) كل مكلف من الجن والإنس... وخرج بقولنا: (مات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على رده والعياذ بالله... ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا وهذا هو الصحيح المعتمد»^(٣).

ولقد وضع العلماء رحمهم الله طرقاً وضوابط لمعرفة كون الشخص صحابياً وتلك الطرق أو الضوابط هي:

- ١- أن تثبت صحبته بطريق التواتر المقطوع به لكثرة ناقله أن فلاناً من الصحابة ﷺ وذلك كأبي بكر وعمر وبقية العشرة وناس آخرين من الصحابة ﷺ.
- ٢- أن تثبت الصحبة للشخص عن طريق الاستفاضة والشهرة.
- ٣- أن يروى عن أحد من الصحابة ﷺ أن فلاناً له صحبة وكذا عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد.

(١) فتح الباري (٤/٧).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/١).

(٣) الإصابة (٧/١).

٤- أن تثبت الصحبة بإخباره عن نفسه إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة بقوله: أنا صحابي، أو ما في معناها^(١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ضابطاً يستفاد منه صحبة جمع كثير يكتفى فيهم بوصف يدل على أنهم صحابة وهذا الضابط مأخوذ من أمور ثلاثة:

أحدها: أنهم كانوا لا يؤمّرون في المغازي إلا الصحابة رضي الله عنهم، فمن تتبع الأخبار الواردة في حروب الردة والفتوح وجد من ذلك الشيء الكثير.

الثاني: قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له. وهذا أيضاً يوجد منه شيء كثير.

الثالث: لم يبق بمكة ولا الطائف ولا من بينها من الأعراف إلا من أسلم وشهد حجة الوداع، فمن كان في ذلك الوقت موجوداً اندرج فيهم، لحصول رؤيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يره هو^(٢).

المبحث الثاني: التعريف بالرافضة

الرفض في اللغة هو: الترك، يقال رفضت الشيء: أي تركته، وَيَرْفُضُ أَيضاً بِالْكَسْرِ رَفْضاً يَفْتَحَتَيْنِ فَهُوَ (رَفِضٌ) وَ (مَرْفُوضٌ). وَالرَّافِضَةُ فِرْقَةٌ مِنَ الشَّيْعَةِ. قال الأصمعي: ومنه سميت الرافضة؛ لأنهم تركوا زيداً، ويقال: في القرية والمزادة رَفْضٌ من ماءٍ، وهو الماء القليل، والرَفْضُ: النِّعم المتبددة، ويقال: إبل رافضة، قال الراجز:

سقياً بحيث يهمل المِعْرَضُ وحيث يرعى ورع وأَرْفُضُ
فَسُمُّوا رَافِضَةً. والنَّسْبَةُ رَافِضِيٌّ، وَقَالُوا: الرَّوَافِضُ، وَلَمْ يَقُولُوا: الرُّفَاضُ،
لأنَّهُمْ عَنُوا الْجَمَاعَاتِ. وَرُفَاضُ الشَّيْءِ، بِالضَّمِّ: مَا تَحَطَّمَ مِنْهُ فَتَفَرَّقَ، كَمَا فِي

(١) انظر للاستزادة الكفاية في علم الرواية ص ٧٠.

(٢) الإصابة، مقدمة المحققين: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (١٠/١).

الصَّحاح، ونَقَلَهُ الصَّاعَانِيُّ عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ، وَأَنشَدَ ابْنُ بَرِّيٍّ لِلْعَجَّاجِ: يُسْقَى السَّعِيْطُ فِي رُفَاضِ الصَّنَدَلِ وَالسَّعِيْطِ: ذُهْنُ الْبَانِ، وَقِيلَ: ذُهْنُ الرَّنْبِقِ ^(١).

والرافضة في الاصطلاح: هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر، وسائر أصحاب النبي ﷺ إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم.

قال الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ -: «والرافضة: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم» ^(٢).

وقال عبد الله بن أحمد - رحمهما الله تعالى -: «سألت أبي: من الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون - أو يسبون - أبا بكر وعمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا» ^(٣).

وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظم خذلانهم قاتلهم الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: «فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف» ^(٤).

وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا: وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليتهما من عدمها هي الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم (النواصب).

ومن ذلك ما أورده محمد بن علي بن موسى ^(٥) قال: «كتبت إلى علي بن

(١) انظر مختار الصحاح (١/١٢٨)، تاج العروس (١٨/ ٣٥٠).

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٣).

(٣) أخرجه الخلال في السنة رقم (٧٧٧) وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٥).

(٥) هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، أبو جعفر بن الرضا، قدم من مدينة رسول الله ﷺ إلى بغداد وافداً على أبي إسحاق المعتصم ومعه امرأته أم الفضل بنت المأمون، فتوفي في بغداد، ودفن في مقابر قريش عند جده موسى بن جعفر، =

محمد عليه السلام^(١) عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت^(٢) واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب من كان على هذا فهو ناصب^(٣).

سبب تسميتهم رافضة:

يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة: هو رفضهم زيد بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، في سنة إحدى وعشرين ومائة وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك.

يقول أبو الحسن الأشعري^(٤): «وكان زيد بن علي يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة

=وحملت امرأته أم الفضل بنت المأمون إلى قصر المعتصم، فجعلت مع الحرم، وكانت وفاته في سنة مائتين وعشرين.. تاريخ بغداد وذيوله (٣/ ٢٦٥).

(١) هو: أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا، ويعرف بالعسكري، وهو أحد الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كانت ولادته سنة أربع عشرة ومائتين، وقيل: ثلاث عشرة ومائتين، ووفاته سنة أربع وخمسين ومائتين. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢).

(٢) يعنون بهما: أبا بكر وعمر - ﷺ - كما جاء ذلك في تفسير العياشي (١/ ٢٤٦).

(٣) المحاسن النفسانية: لمحمد آل عصفور الدرازي ص ١٤٥.

(٤) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، أبو الحسن البصري المتكلم، صاحب التصانيف في الكلام والأصول والممل والنحل، كان معتزلياً، ثم تاب من الاعتزال وبين فضائهم، واختار مذهب أهل الحديث فيقول في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ص: ٢٩٧) بعد بيان مذهب أهل الحديث: «فهذه جملة ما يأمر به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب»، وتوفي الأشعري في ٣٢٤ هـ، ينظر ترجمته بالتفصيل في: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري لابن عساكر (ص: ٣٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٩٥).

الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: رفضتموني، فيقال إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم رفضتموني»^(١).
وبهذا القول قال الرازي^(٢)، والشهرستاني^{(٣)(٤)}، وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٥) - رحمهم الله -.

وذهب الأشعري في قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، قال: «وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر»^(٦).
ولاشك أن كل هذه التعريفات ترتبط بالعلاقة بين مسمى الرافضة وبين الطعن بأبي بكر وعمر وهو الجامع لمعنى الرفض.
والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقتها بهم مخالفوهم، يقول صاحب كتاب أعيان الشيعة: «الرافضة لقب ينز به من يقدم علياً - عليه السلام - في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام»^(٧).
وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أن الشيعة ثلاثة أصناف: غالية: وهم الذين غلوا في علي - عليه السلام - وادعوا فيه الألوهية أو النبوة.

(١) مقالات الإسلاميين (١/١٣٧).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين ص ٥٢.

(٣) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني شيخ أهل الكلام، وصاحب التصانيف، ومن كتبه: (نهاية الإقدام)، وكتاب (الملل والنحل)، مات في سنة ثمان وأربعين وخمس مائة، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/٢٨٧).

(٤) الملل والنحل (١/١٥٥).

(٥) منهاج السنة (٨/١)، ومجموع الفتاوى (١٣/٣٦).

(٦) مقالات الإسلاميين (١/٨٩).

(٧) أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/٢٠).

ورافضة: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علي ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة عليهم السلام.

ومفضلة: ومنهم أتباع زيد بن علي، الذين كانوا يفضلون علياً على سائر الصحابة عليهم السلام ويتولون أبا بكر وعمر ^(١).

فإطلاق «الشيعة» على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح، لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية، وهم دونهم في المخالفة وأقرب إلى الحق منهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كانت الشيعة المتقدمون، الذين صحبوا علياً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان» ^(٢).

لذا فإن تسمية «الرافضة» بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين تقليداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم، لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهاً وتدليساً على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم. فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق (الشيعة) ينزل على الرافضة، في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٣٧، ٨٨، ٦٦)، والملل والنحل للشهرستاني (١٤٥/١).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٣).

يقول الإمام الذهبي في ترجمة (أبان بن تغلب)^(١) بعد أن ذكر توثيق الأئمة له مع أنه شيعي: «فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والإتقان، فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟».

وجوابه: أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كالشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والخط على أبي بكر وعمر - عليهما السلام - والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتاج به ولا كرامة... إلى أن قال: فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم: هو من تكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً - عليه السلام - وتعرض لسبهم.

والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال مفتر، ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلاً، بل قد يعتقد علياً أفضل منهما^(٢).

وعليه فإن من الواجب: أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اصطلاح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعية على وجه الإطلاق، لما في ذلك من اللبس والإيهام، وإذا ما اطلق عليهم مصطلح (التشيع) فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة كأن يقال (الشيعية الإمامية) أو (الشيعية الاثني عشرية) على ما جرت به عادة العلماء عند ذكرهم والله تعالى أعلم^(٣).

(١) هو أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح الجريري الكوفي شيعي جلد، قارئ لغوي، كان جده رباح مولى لجرير بن عباد البكري (من بكر بن وائل) فنسب إليه، من كتبه (غريب القرآن) مات في سنة ١٤١ من الهجرة، ينظر: ميزان الاعتدال (٥ / ١) والأعلام للزركلي (١ / ٢٦).

(٢) ميزان الاعتدال (٥ / ١).

(٣) جميع ما ذكر في التعريف الاصطلاحي وسبب التسمية منقول بتصريف من كتاب الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ص ٢٥.

المبحث الثالث: مكانة الإلزام في الرد على المخالفين في الإسلام وفيه ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول: الإلزام في القرآن الكريم

إن عرض الأدلة على سبيل الإلزام من الأساليب الواردة في القرآن الكريم، فقد أمر الله نبيه - ﷺ - بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وناقش القرآن الكريم الملحدين والمشركين وأهل الكتاب، وردَّ حججهم الواهية بالزمامات علمية متينة، وأذكر نماذج منها في هذا المطلب.

نماذج من الإلزامات القرآنية:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وهذا فيه احتجاج باللازم يتضمن الرد على من جعل عيسى السلام إلهًا كما يتضمن إثبات بشرية عيسى عليه السلام؛ فإن الإقرار بأن آدم عليه السلام بشر مع أنه خلق من غير أب يلزم منه الإقرار ببشرية عيسى عليه السلام، ومادام إن خلق الله بعض البشر من غير أب لا يلزم منه نفي بشريته فلا بد أن يقر بأن عيسى بشر لعدم وجود ما ينفي بشريته^(٢).

أما تضمنه الرد على من جعل عيسى إلهًا وتوهين معتقده في ذلك، فهو أن هؤلاء الذين اعتقدوا أن عيسى عليه السلام إلهًا بحجة أنه خلق من غير أب، أو أن خلقه جرى على خلاف السنة الكونية في خلق البشر جميعًا فإن حججهم هذه لا تستقيم إذ أنه على هذه الحجة يلزم أن يكون آدم عليه السلام إلهًا؛ لأنه أيضًا

(١) سورة آل عمران آية ٥٩.

(٢) ينظر: ملحق لمبحث القياس رد فيه الأمين الشنقيطي على ابن حزم، وأصله محاضرة مسجلة، طبع مع المذكرة في أصول الفقه ص ٤١٩.

خلق على غير السنة الكونية التي جرت على بقية البشر من ذكر وأنثى ومن ماء دافق، فآدم خلق من تراب وبكلمة كن، وإذا كان هذا لا يلزم منه تأليه آدم لزم عدم تأليه عيسى عليه السلام لو هن هذا الاستدلال^(١).

٢- قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٢).

لو كان في السماء والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة؛ لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام^(٣).

وهنا لازم أيضاً لإقامة الحجة على المشركين؛ وذلك أن زعم وجود آلهة مع الله شركاء له وملكه وتديره يلزم منه فساد الكون لأن الكون لا يمكن أن يجري تدبيره على نظام، ولا يتسق على إحكام، ولظهر عجز الإلهين أو أحدهما؛ وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته، فإما أن تنفذ إرادتهما، فيتناقض؛ لاستحالة تجزي الفعل إن فرض الاتفاق، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف، وإما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما، أو لا تنفذ إرادة أحدهما، فيؤدي إلى عجزه، والإله لا يكون عاجزاً^(٤).

فدل ذلك على فساد ادعاء وجود شريك مع الله يستحق الألوهية.

٣- قال تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا

خَلَقَ وَلَمَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٥).

(١) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٧٧.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٢.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨ / ٤٢٥)، وتفسير البغوي (٣ / ٢٨٥).

(٤) ينظر: الإتيقان (٢ / ٣٨٠).

(٥) سورة المؤمنون آية ٩١.

تقريره: نفى الله سبحانه وتعالى عن اتخاذ الولد أو الشريك، وبرهن على نفى الشريك؛ بأن لازم ذلك أمران باطلان: الأول: ذهاب كل إله بما خلق، والثاني: علو بعضهم على بعض.

ويلزم من هذين الأمرين أنه لا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا يتنظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعدا محال لما يلزم منه المحال^(١). ولدلالة ذلك على فساد اللازم مما يترتب عليه فساد الملزوم وهو وجود شريك مع الله تعين أن الله واحد أحد ليس له شريك.

ولفساد هذا اللازم تعين فساد الملزوم وهو وجود إله آخر يشارك الله في ملكه.

المطلب الثاني: نماذج من مسالك الإنزام في السنة النبوية

اللافت في الإنزامات النبوية أن أكثرها توجهت لأصحاب النبي ﷺ، وهم بلا أدنى شك أذعن الناس لأمره، وأسلمهم لقوله، وهذا بدوره ألقى بظلاله على هذه الإنزامات، فلم تكن لغرض إفحام المخالف، أو إعجازه، أو تبكيته، وإنما غلب عليها التنبيه والتعليم، ولفت نظرهم إلى علة الحكم أو سببه.

ومن النصوص النبوية الواردة في هذا الباب ما يلي:

الحديث الأول: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال:

«إن فيك من عيسى مثلاً، أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به»^(٢).

(١) الإتيان (٢/ ٣٨٢).

(٢) مسند أحمد (٢/ ٤٦٩) رقم الحديث (١٣٧٧) وقال محققوه: إسناده ضعيف، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣/ ١٣٢) برقم (٤٦٢٢): «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٠/ ٥٤٩) برقم (٤٩٠٤).

وهذا الحديث فيه الرد على الروافض والخوارج، فالروافض غلوا في حق علي عليه السلام حتى أعطوه صفات الإلهية، وجفت الخوارج حتى كفروه، فهدى الله أهل السنة فهم وسط بين الغلاة والجفاة^(١).

الحديث الثاني: عن ابن عباس قال: «قال رجل: يا رسول الله، إن أبي مات ولم يحج، أفأحج عنه؟ قال: أرأيت لو كان على أبيك دين، أكنت قاضيه؟ قال: نعم. قال: فدين الله أحق»^(٢).

قال ابن بطلال^(٣) في شرح البخاري: «قال الملهب: وشبه دين الله بدين العباد في اللزوم... وهذا هو نفس القياس عند العرب، وعند العلماء بمعاني الكلام»^(٤). وتحصيل الإلزام من هذا الحديث مرتب على مقدمة مسلمة هي وجوب قضاء الرجل دين أبيه، فيبين النبي صلى الله عليه وسلم أن قضاء حق الله أولى من قضاء حق المخلوق. وهو لازم جدلي.

المطلب الثالث: الإلزام عند الصحابة رضي الله عنهم والعلماء من بعدهم على المخالفين وطرقهم في ذلك

أولاً: الإلزام في استعمالات الصحابة رضي الله عنهم:

كان غالب إلزامات الصحابة رضوان الله عليهم، فيما حفظوه عن النبي صلى الله عليه وسلم على من لم يحفظ، فهو إلزام من علم على من لم يعلم، وقد يشير هذا إشكالا،

(١) الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات لأبي مريم بن محمد الأعظمي (٢/ ٥٦).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (رقم ٣٦١٩)، وفي الصغرى (١١٨/ ٥)، وصححه ابن حبان (رقم ٣٩٩٠).

(٣) ابن بطلال: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، أبو الحسن القرطبي، ثم البنسي: شارح صحيح البخاري، أخذ عن أبي عمر الطلمنكي، وابن الفرضي، كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، وكان من كبار المالكية. توفي في بنسية سنة ٤٤٩ هـ. سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٨).

(٤) شرح صحيح البخاري ابن بطلال (١٩/ ٤٧٠).

فيقال: هذا من باب الإعلام والتدليل أقرب منه من مباحث الإلزام والإفحام؛ فمالك ولها؟

والجواب: أن مباحث الإلزام إنما ينظر إليها من جهة تسليم المخالف فحسب، فكل ما سلم به المخالف صح أن ألزمه به إذا ناقضه، سواء كان ما سلمه المخالف معنى صحيحا، فيحصل بهذه الطريقة دليل شرعي ويقين معرفي. أو كان ما سلمه المخالف غلطاً، فيحصل بهذه الطريقة حقيقة مقيدة، وهو بيان تناقض المخالف، فحسب.

وعلم المخالف أو جهله لا أثر له في صحة الإلزام مادام أنه مسلم بالأصل الذي وقع الإلزام على بعض أجزائه. وحينئذ يكون كثير من حجج الصحابة عليهم السلام بالنصوص في نقاشاتهم العلمية مع بعضهم أو بعض التابعين هو من باب الإلزام؛ لتسليم الكافة منهم بالنص ولم يكن من مشارات الخلاف بينهم يومئذ: البحث في صحة النص أو فقهه، ولم يكن بين الصحابة رضوان الله عليهم من التمايز في الأصول مثل ما صار في المدارس المتأخرة عنهم، وإن وقع التفاوت بينهم في العلم بالدليل وفقهه، ولهذا لما فطن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفقه ابن عباس رضي الله عنه ونباهته قربه إليه وأدناه مع تقاصر عمره وقلة روايته عن باقي الصحابة رضوان الله عليهم ^(١). وإليك طائفة من إزماتهم، والتي حرصت أن يظهر فيها معنى الإلزام لاسيما النوع الجدلي المحض منه:

الإلزام الأول: قال عبد الله بن شداد ^(٢) فإن عليا رضي الله عنه لما كاتب معاوية، وحكم

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) هو عبد الله بن شداد بن الهاد اللبني العتاري، ولد على عهد رسول الله ﷺ، كان من أهل العلم، وكان ثقة قليل الحديث، وكان شيعيا، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٢٦)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٤٨٨).

الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء^(١) من جانب الكوفة^(٢). وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى، فلما أن بلغ علياً عليه السلام ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذنا، فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده، ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رويانا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء، الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣)، فأمة محمد صلى الله عليه وآله أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل^(٤).

وهذا إلزام جدلي ووجه الإلزام في هذا: أن لازم قولهم: «لا حكم إلا لله»، «أتحكم الرجال فينا» أن يكون القرآن الكريم بدون أن يحكم به أحد من الناس، فيكون المصحف نفسه هو الذي يحكم بين الناس، فبين لهم علي بن أبي طالب عليه السلام سوء فهمهم عن طريق بيان لازم قولهم، لذا جاء بالمصحف وقال له: «احكم بينهم».

(١) بفتحيتين، وسكون الواو، وراء أخرى، وألف ممدودة، هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب عليه السلام، فنسبوا إليها، معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٤٥).

(٢) بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، معجم البلدان (٤/ ٤٩٠).

(٣) سورة النساء: ٣٥

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٨٤) برقم (٦٥٦) وقال محققوه: «إسناده حسن».

الإلزام الثاني: دخل ناس من اليهود على علي بن أبي طالب فقالوا له: ما صبرتم بعد نبيكم إلا خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا قال: فقال علي: «قد كان صبرا وخيرا، فذكر صبرا وخيرا، ولكن ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلت: ﴿يُمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(١)»^(٢) فانقطع اليهود، ولم يجدوا جوابا؛ وهذا إلزام جدلي لأن «منا أمير ومنكم أمير» ليس فيه ما يهدم الدين، وإنما الطامة العظمى ما أتى به اليهود من الكفر، فهم عبدوا العجل بإثر ذلك.



(١) سورة الأعراف آية ١٣٨.

(٢) خرج القصة الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٥).

الباب الأول

الإلزامات التي تلزم الرافضة في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم عموماً

وفيه فصلان:

الفصل الأول: إلزامات قولهم أن الصحابة رضي الله عنهم من المنافقين.

الفصل الثاني: إلزامات قولهم إن الصحابة رضي الله عنهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول

إلزامات قولهم أن الصحابة ﷺ منافقون

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

تمهيد: وفيه بيان مذهب الرافضة - عليهم من الله ما يستحقون من العذاب^(١) - في

أن الصحابة ﷺ من المنافقين

مما يتفق عليه الرافضة القدح في صحابة رسول الله ﷺ والتشكيك فيهم ومن ذلك ما يلي:

١ - فقد روي عن جعفر الصادق أنه قال: «لما أقام رسول الله ﷺ يوم غدیر خم^(٢) كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة»^(٣).

٢ - وقال الكاشاني في مقدمة تفسيره الصافي متحدثاً عن أخذ الناس من تفاسير الصحابة ﷺ لآيات القرآن: «ومن الآخذين عنهم من لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم لما تقرر عندهم أن الصحابة ﷺ كلهم عدول ولم يكن لأحد منهم عن الحق عدول ولم يعلموا أن أكثرهم كانوا يطنون النفاق ويجترئون على الله ويفترون على رسول الله ﷺ في عزة وشقاق»^(٤).

- (١) نتمنى من ولاية أمر المسلمين وخاصة في هذا البلد المبارك تجريم من يسب الصحابة ﷺ.
- (٢) واد بين مكة والمدينة عند الجحفة، عنده خطب رسول الله ﷺ، ويزعم الشيعة كذباً وزوراً بأن رسول الله ﷺ أعلن استخلاف علي ﷺ في هذا الموضع، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري الأندلسي (٢/ ٣٦٨)، ومعجم البلدان للياقوت (٢/ ٣٨٩).
- (٣) تفسير الصافي (٢/ ٣٥٩)، تفسير القمي (١/ ٣٠١) والذي في تفسير القمي وهم الأول والثاني.
- (٤) تفسير الصافي للكاشاني: ٩١.

٣- وقال المجلسي^(١): (وعقيدتنا في التبرؤ أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع عائشة وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم) ولا شك أن هذا التبرؤ لا يكون إلا من الكافر والصحابة عليهم السلام كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر في نظر الرافضة، ويبين ذلك حديثه عن عدالة الصحابة عليهم السلام حيث قال: (وذهبت الإمامية إلى أنهم كسائر الناس من أن فيهم المنافق والفاسق والضال بل كان أكثرهم كذلك)^(٢).

كما نقل إجماع الرافضة على تكفير الصحابة عليهم السلام علماؤهم المحققون ولا شك أن التكفير لعقيدتهم الباطنة وإلاهم في الظاهر مسلمون وهو النفاق عند الرافضة، وفي هذا يقول شيخهم المفيد^(٣): «واتفقت الإمامية، والزيدية، والخوارج، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون»^(٤)، ويقول في موضع آخر: «واتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار»، ويفصح المفيد عن مراده بعبارة أوضح فيقول: «والقول في المتقدمين على أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) هو الملا محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، مات سنة ١١١٠ هـ، من ألد أعداء السنة وخصومهم. قال عنه القمي: المجلسي إذا أطلق فهو شيخ الإسلام والمسلمين، مروج المذهب والدين، الإمام، العلامة، المحقق. الكنى والألقاب (٣/ ١٢١).

(٢) بحار الأنوار (٣٦/ ٢٨).

(٣) هو محمد بن محمد المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ، من مؤلفاته كتاب (أوائل المقالات) و(الاختصاص).

(٤) أوائل المقالات للمفيد ص ٤٤.

طالب عليه السلام ضلال فاسقون وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين عليه السلام عن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله عصاه ظالمون وفي النار بظلمهم مخلدون»^(١).

وعقيدة الرافضة في تكفير الصحابة عليهم السلام لا تختلف إلا أن من علمائهم من صرح بكفرهم ونفاقهم دون أي تقية ومنهم من استخدم أسلوب الرمز والإشارة كما هو الغالب على سائر رواياتهم كتعبيرهم عن الصديق والفاروق عليهما السلام بلفظ الأول والثاني أو الجبت والطاغوت أو الفصيل وزمع أو غير ذلك، ومنهم من فسر تلك الرموز والإشارات ولا سيما في زمن الدولة الصفوية.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره المجلسي لرواية في تفسير العياشي حيث قال: «أبو الفیصل أبوبکر لأن الفیصل والبکر متقاربان في المعنى ورمع مقلوب عمر ونعثل هو عثمان»، وقال في موضع آخر «حبر ودلام أبو بكر وعمر»^(٢).

المبحث الأول: إلزامات ثناء الله عليهم في كتابه

وردت آيات كثيرة من القرآن الكريم يثني الله سبحانه وتعالى فيها على الصحابة عليهم السلام إجمالاً منها قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٤).

ومنها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ

(١) المرجع نفسه ص ٤٢.

(٢) بحار الأنوار (٧٣/٢٤).

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) سورة الفتح آية ١٨.

فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾.

وهنا أذكر بعض الآيات بتفسير لبعض أئمة الرافضة إلزاما علميا عليهم:
 الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ثُمَّ حَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
 بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ
 ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى
 سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
 وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (٢).

وقد ورد تفسيرها بقولهم: ﴿ثُمَّ حَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
 بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: يطلبون بذلك مزيد نعم
 الله عليهم ورضوانه عنهم، ﴿سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، علامتهم
 يوم القيامة أن تكون مواضع سجودهم أشد بياضا، ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾
 يعني: أن ما ذكر من وصفهم هو عين ما وصفوا به في التوراة، وكذلك ﴿وَمَثَلُهُمْ
 فِي الْإِنْجِيلِ﴾ أي: فراخه... ﴿فَفَازَرَهُ﴾ فاشتد وأعانه فغلظ ذلك الزرع فقام على
 ساقه وأصوله حتى بلغ الغاية، قال الواحدي: هذا المثل ضربه الله تعالى بمحمد
 وأصحابه، فالزرع محمد ﷺ، والشطأ أصحابه والمؤمنون حوله، وكانوا في
 ضعف وقلة كما يكون أول الزرع ثم قوى بعضهم بعضا، ﴿لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾
 أي: في ذلك غيظ الكفار بكثرة المؤمنين واتفاقهم على الطاعة (٣).

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (٤).

(١) سورة الحشر آية ٨.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) تفسير مختصر مجمع البيان، وانظر: جامع الجوامع، من وحي القرآن (سورة الفتح: ٢٩).

(٤) سورة التوبة آية (١).

وقد ورد تفسيرها بقولهم: هم الذين صلوا إلى القبليتين، وقيل: الذين شهدوا بدرًا، ومن (الأنصار): أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا اثني عشر رجلاً، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلاً، والذين حين قدم عليهم مصعب بن عمير فعلمهم القرآن^(١).

وحاولت طائفة من الرافضة إبعاد تلك الآية عن تأويلها الصريح بالثناء على الصحابة ﷺ، وقالوا بأن تلك الآيات لا تفيد الثناء على عموم الصحابة ﷺ؛ لأن الله قال في نهاية الآية الأولى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وقال تعالى في الآية الثانية: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ﴾، ولفظ ﴿مِنْهُمْ﴾ و﴿مَنْ﴾ في الآيتين، يعني: من بعضهم، وليس جميع الصحابة ﷺ، وليبان ذلك اللبس في الفهم، نبين الأمور الآتية:

أولاً: أن الله تبارك وتعالى بيّن في كتابه آيات محكمات لا تأويل فيها، ومن حاول أن يعبث في بتأويلها فسينفضح أمره، وينكشف تخطيطه.

ومنها آيات متشابهة في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم. فالأصل في ذلك رد المتشابهة إلى المحكم، فمن فعل ذلك اهتدى، ومن عكس انعكس.

ثانياً: أن كلمة (منهم) في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ كلمة (من) في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ليست للتبويض كما يتوهم البعض، وإنما جاءت في هاتين الآيتين على أحد معنيين:

المعنى الأول: أن (من) بمعنى: من جنسهم، ومن أمثالهم. وهذا كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

(١) تفسير جامع الجوامع، وانظر: تفسير من وحي القرآن، العياشي (سورة التوبة: ١٠٠).

وَأَحْلَلْتُ لَكُمْ الْآثَمَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴿١﴾.

ولا يستقيم في المعنى أن الله تبارك وتعالى أمرنا أن نجتنب بعض الأوثان، وترك بعضها فلا نجتنبه، بل أمرنا أن نجتنب جميع الأوثان في قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: فاجتنبوا الرجس من جنس وأمثال هذه الأوثان.

المعنى الثاني: أن لفظ (من) تأتي للتأكيد وللجنس.

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٢﴾، فهل هناك مسلم عاقل يفهم أن معنى الآية هو أن بعض القرآن شفاء ورحمة، وبعضه ليس كذلك؟ لكن يفهم المسلم أن القرآن كله شفاء ورحمة، وأن الله تبارك وتعالى أكد في الآية الكريمة السابقة أن القرآن كله شفاء ورحمة.

ثالثاً: أن سياق الآية الأولى فيه مدح وثناء على جميع الصحابة عليهم السلام، وليس فيه ذم لبعضهم، قال الله عز وجل: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ ﴿١﴾ فزكى الله تبارك وتعالى ظاهرهم بالسجود والركوع والذل له، وزكى باطنهم أيضاً في قوله: ﴿يَسْتَعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

بل إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يذم أقواماً فإنه يبين ظاهرهم وباطنهم، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿٣﴾.

(١) سورة الحج: ٣٠.

(٢) سورة الإسراء: ٨٢.

(٣) سورة النساء: ١٤٢.

فبذلك يتبين لنا أن قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ أي: من جنسهم، أو للتأكيد على حالهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية الثالثة قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (١).

وقد حكم الله لمن وعد بالحسنى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ (٢).

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠) (٣).

وبهذه الآيات التي تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، تتجلى أنواع الإلزامات وهي كالتالي:
أولاً: اللازم العلمي على من يقول بنفاق الصحابة عليهم السلام بتكذيبه للقرآن في الثناء على الصحابة عليهم السلام وبراءتهم من النفاق والشهادة لهم بالإيمان والصدق وجهادهم في سبيل الله وإيثارهم ما عند الله والرضى بما أنزل الله وهو أعلم بحالهم.

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة الأنبياء: ١١ - ١٣.

(٣) سورة الحشر: ٨ - ١٠.

ثانياً: اللازم الجدلي فلا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فهم لم يستغفروا للسابقين، وفي قلوبهم غل عليهم. ففي الآيات الشناء على الصحابة عليهم السلام وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا ينقض مذهب الرافضة.

ثالثاً: لازم المذهب فقد ورد في كتب الرافضة ما يؤيد ذلك فقد روي عن جعفر الصادق عليه السلام قوله: (كان أصحاب رسول الله عليه السلام اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف في المدينة، وألفان في مكة، وألفان من الطلقاء، ولم يرى فيهم قدرى ولا مرجئ ولا حروري ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يكون الليل والنهار، ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير)^(١).

ومفاد هذه الالتزامات أن شهادة الله لهم بالفضل والإيمان والسبق والإخلاص والرضا عنهم هي في حال حياة النبي عليه السلام وبعد وفاته، وهو سبحانه وتعالى علام الغيوب، وقد علم بما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص، وأنهم ماضون على الاستمرار بهذا الدين والالتزام به، وأنهم يموتون على هذا، ولأجل هذا زكاهم وعدلهم، إذ لو كانوا يرتدون بعد وفاة رسول الله عليه السلام لما زكاهم بهذه التزكيات؛ لأنه لا يتصور عن رب العالمين تزكية الكفار والمجرمين وأهل الردة.

المبحث الثاني: إلتزامات عدم قيام الكثرة الكافرة على القلة المؤمنة

الصحابي كما سبق تعريفه: هو من لقي النبي عليه السلام مؤمناً به ومات على الإسلام^(٢).

فيدخل فيه: من ارتد ثم رجع إلى الإسلام: كالأشعث بن قيس؛ فإنه كان ممن ارتد بعد وفاة النبي عليه السلام، فجيء به أسيراً إلى أبي بكر، فتاب وقبل منه أبو بكر عليه السلام.

(١) الخصال للصدوق ص ٦٤٠، بحار الأنوار (٣٠٥ / ٢٢).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٨ / ١).

ويخرج منه: من آمن بالنبي ﷺ في حياته، ولم يجتمع به: كالنجاشي^(١)، ومن ارتد ومات على ردة: كعبد الله بن خطل^(٢) قتل يوم الفتح، وربيعه بن أمية بن خلف^(٣) ارتد في زمن عمر ومات على الردة.

يقول ابن القيم: (المنافق الذي يظهر الإسلام ومتابعة الرسول ويبطن الكفر ومعاداة الله ورسوله)^(٤).

وبعد هذا البيان التعريفي لكلمتي (الصحابي والمنافق) نخلص إلى أنهما لا يتفقان فالصحابي هو الذي آمن بالنبي ﷺ ومات على الإسلام والمنافق من أظهر الإيمان وأبطن الكفر، فلا يتوافق أن يكون الصحابي منافقاً ولا المنافق صحابياً. وهنا أذكر بعض روايات الرافضة في عدد المتبقين بعد ردة الصحابة عليهم السلام كما يزعمون، فقد روى المجلسي في بحاره عن أبي جعفر أنه قال: (هلك الناس كلهم بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان) وبادر لإزالة الاشكال فقال: (من أن يرتدوا عن الإسلام أي عن ظاهره والتكلم بالشهادتين فإبقاؤهم على ظاهر الإسلام كان صلاحاً للأئمة ليكون لهم ولأولادهم طريق إلى قبول الحق وإلى الدخول في

(١) هو أصحمة، ملك الحبشة، وكان ممن حسن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، وقد توفي في حياة النبي ﷺ - فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، سير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ٤٢٨) و الوافي بالوفيات لصلاح الدي الصفدي (١ / ٨١).

(٢) هو عبد الله بن خطل من بني الأدرم بن تيم بن غالب بن فهر أسلم ثم ارتد، أمر رسول الله ﷺ بقتله ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، الطبقات الكبرى لابن سعد (٤ / ٢٢٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣ / ٩١٨).

(٣) هو ربيعة بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي القرشي الجمحي أخو صفوان، أسلم يوم الفتح، وكان شهد حجة الوداع، وأنه ارتد في زمن عمر رضي الله عنه، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢ / ٤٣٢).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادت لابن قيم الجوزية ص ٦٦٢.

الإيمان في كرور^(١) الأزمان وهذا لا ينافي ما مر وسيأتي أن الناس ارتدوا إلا ثلاثة لأن المراد فيها ارتدادهم عن الدين واقعا وهذا محمول على بقائهم على صورة الإسلام وظاهره وإن كانوا في أكثر الأحكام الواقعية في حكم الكفار^(٢).

وروى المفيد في الاختصاص عن عبد الملك بن أعين: (أنه سأل أبا عبد الله فلم يزل يسأله حتى قال: فهلك الناس إذاً، فقال: أي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون أهل الشرق والغرب، قال: إنها فتحت على الضلال، أي والله هلكوا إلا ثلاثة نفر سلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد ولحقهم عمار، وأبو ساسان الأنصاري، وحذيفة وأبو عمرة فصاروا سبعة)^(٣).

وهؤلاء الثلاثة والسبعة غير متفق عليهم أيضا ويبدو أنه اختلاف بين الفرق الرافضية في تعيين آحادهم وكل يضع من جهته أو لأن من طبيعة الكذب الاختلاف والتناقض، ولسائل أن يسأل هؤلاء الرافضة وأين ذهب أهل بيت النبي بمن فيهم عباس عم النبي، وابن عباس ابن عمه، وعقيل أخ لعلي، وحتى علي نفسه، والحسنان سبطا رسول الله؟

وروى الكليني عن حمران بن أعين قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا وأشار بيده ثلاثة..... الخ)^(٤) وأكثر من ذلك قال الكليني: (إن الناس يفرعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا، إن الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله - صلى الله عليه وآله - أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل

(١) جمع كَرَّ، وهو عود الأزمان مرة بعد أخرى، ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٨٢).

(٢) بحار الأنوار (٢٨/ ٢٣٦).

(٣) الاختصاص ص ٦.

(٤) أصول الكافي (٢/ ٢٤٤).

بخير جعلوا يبائعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية يا سعد! أنت المرجأ،
وشعرك المرجل، وفحللك المرجم^(١) ومعناه أنه لم يبق ولا واحد، لا أبو ذر ولا
سلمان ولا المقداد

ومن يقرأ روايات الرافضة وكلام علمائهم عن الصحابة عليهم السلام سيخلص إلى أن
أهل النفاق أكثر عدداً من الصحابة عليهم السلام الذين يمثلون القلة ممن أحاط بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم
بل لقد استولوا على المراكز القيادية وأن المنافقين قد أظهروا الإسلام وانطوت
سرائرهم على الكفر وقد تقربوا ليكيدوا للإسلام والمسلمين، فإذا كان الصحابة
عليهم السلام منافقون كما يزعم هؤلاء يلزم من ذلك أن كل من رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو صحابي
لعدم اشتراط الإيمان به والموت على ذلك كما تزعم الرافضة، ويلزم من ذلك أن
اليهود والنصارى والمشركين الذين رأوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم سيدخلون في مسمى الصحابة
عليهم السلام لأنه لا يشترط الإيمان في الصحبة، فإذا اعترف الرافضة بأن الصحابي هو
من رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به ومات على ذلك فقد أبطلوا الإدعاء بأن المنافق
صحابي لأنه ليس من أهل الإيمان بالاتفاق، ولا شك أنه يلزم أن يكون علياً وبقية
الصحابة عليهم السلام الذين يترضون عنهم يدخلون في باب المنافقين لأنهم فتحوا الباب
على مصراعيه ولم تحدّدوا من هم الصحابة ومن هم المنافقون وعلى هذا فكل
إنسان ربما يعتقد بمن شاء من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم منافقون بحجة أن أهل
النفاق في الصحابة عليهم السلام، ومن هذا الباب دخل الملاحدة.^(٢)

(١) أصول الكافي (٨/ ٢٩٦).

(٢) الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه
وتعالى، فيدّعي الملحّدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق
والمخلوق في نفس الوقت، وهم لا يدينون بدين، ويتبعون مذاهب تجحد وجود الخالق
سبحانه وتعالى، وهم بعض الفلاسفة، والدهريون، والشيوعيون، وبعض العلمانيين ونحوهم،
وهم كفار ملاحدة، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨٠٣)، =

والزنادقة^(١) والمستشرقون^(٢) للطعن في الإسلام وأهله. وإذا كانت هذه هي أهدافهم وكانوا هم الكثرة فيلزم أن يحيطوا بالرسول ﷺ وصحابته ليقضوا عليهم ويدمروا دولة الإسلام الفتية وخصوصاً أن شوكة المسلمين في بداية الأمر كانت ضعيفة وحتى بعد الهجرة كان اليهود يحيطون بالمدينة؟ ولكن الواقع يشهد بأن الإسلام قد انتصر وانتشر في بقاع الأرض وعلت رايته وتهاوت أمامه رايات الكفر، بل لم يكن المنافقون مجهولين في مجتمع المدينة إنما كانوا فئة مفضوكة فقد علم بعضهم بعينه والبعض الآخر عرف بالأوصاف المذكورة في القرآن ويبين هذه الحقيقة حديث كعب بن مالك - وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك - وذلك حين قال: «فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً^(٣) عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء..... الخ»^(٤).

=وموسوعة الملل والأديان لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف (٢٠ / ١).

(١) جمع الزنديق، وهو القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب، وهو بالفارسية زند كراي يقول بدوام بقاء الدهر، والزندقة الضيق، وقيل الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه، وزندقه أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق، لسان العرب لابن منظور (٣ / ١٨٧١).

(٢) الاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢ / ٦٨٧).

(٣) أي مطعون عليه، العين للفراهيدي (٤ / ٣٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٣ / ٤٤١٨) برقم (٤١٥٦) كتاب المناقب، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } / التوبة ١١٨ / .

ومن أوصاف المنافقين الظاهرة أيضاً وصفهم بالإفساد في الأرض والاستهزاء بدينه وعباده وبالطغيان واشتراء الضلالة بالهدى والصمم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند العبادة والتردد والتذبذب بين المؤمنين والكفار فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والحلف باسمه تعالى كذباً وباطلاً وبعدم الفقه بالدين والجبن وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر وأنهم يحزنون بما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين وبكراحتهم الانفاق في مرضاة الله وسبيله وأنهم يفرحون إذا تخلفوا عن رسول الله ﷺ ويكرهون الجهاد في سبيل الله وأنهم أحلف الناس بالله قد اتخذوا أيمانهم جنة تقيهم من إنكار المسلمين عليهم وأنهم مضرة على أهل الإيمان يقصدون التفريق بينهم والفجور عند الخصام ويؤخرون الصلاة إلى آخر وقتها ويتركون حضور الجماعة وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاء. فهذه بعض صفات المنافقين التي وصفهم الله سبحانه بها، فهل هذه الأوصاف يوصف بها من صحب النبي ﷺ! وهل هذه الأوصاف يستحق من يوصف بها أن يكون الكثرة من الصحابة رضي الله عنهم! ولا شك أن صحابة رسول الله ﷺ هم أبعد الناس من أن يوصفوا بتلك الأوصاف وقد استحقوا رضى الله سبحانه ومرضاته حتى قال فيهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَرَسُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

(٢) سورة الأنفال آية ٦٤

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢)، فالذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم المهاجرون من الصحابة رضي الله عنهم، والذين آووا ونصروا هم الأنصار من الصحابة رضي الله عنهم وقد وصفهم الله بصيغة الجمع بأنهم هم المؤمنون حقاً ثم يأتي بعد ذلك الرافضة ليجعلوا الصحابة رضي الله عنهم والمنافقين في خندق واحد؟

ومن المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علّم بعض أصحابه أسماء المنافقين وقد ثبت أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ترضى عن صحابته وأوجب حبهم والثناء عليهم وحمى أقدارهم من التعرض لهم بسوء فقال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه» (٣).

وهذا يقتضي بالضرورة عدالة جميع الصحابة رضي الله عنهم ولا يمكن بحال إدخال المنافقين في جملة هذه الأحاديث وقد أنزل الله فيهم قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (٤)، و(ال) للاستغراق اللهم إلا إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتناقض في أقواله وحاشاه ذلك.

ولقد فضح الله المنافقين في سورتي (المنافقين، والتوبة) مبنياً حالهم ودسائسهم وما تكنه صدورهم تجاه المؤمنين لذلك سُميت سورة التوبة

(١) سورة الفتح آية ٢٩

(٢) سورة الأنفال آية ٧٤

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٣٤٣) برقم (٤/ ١٩٥) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لو كنت متخذاً خليلاً».

(٤) سورة النساء آية ١٤٥.

بالفاضحة لما أظهرت من صفاتهم ونواياهم ثم أظهرت حال أهل الإيمان من الصحابة ﷺ بشهادة رب العالمين، وبالنسبة لسورة المنافقون فقد نزلت في رأس النفاق عبد الله ابن أبي بن سلول وأصحابه فقد أخرج البخاري في صحيحه عند تفسير سورة المنافقون عن زيد بن الأرقم أنه قال: (كنت في غزاة فسمعت عبد الله ابن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي - أو لعمر - فذكر للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبنى رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد^(١).

أما بالنسبة لسورة التوبة التي فضحت كثيراً من صفات المنافقين وبينت أن المنافقين لا يخرجون إلى القتال ويخترعوا الأعذار كي لا يخرجوا في سبيل الله ومن هؤلاء من يعتذر عن القتال مخافة الفتنة، ومنهم يحلفون بالله كذباً ليرضي الرسول ﷺ، قال الله تعالى حكاية عن حالهم: ﴿ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤) ﴿ إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤٥) ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٤٦) ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ بِبَغْوَتِكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

(١) صحيح البخاري في الصحيح (٤ / ١٨٥٩) برقم (٤٦١٧) كتاب التفسير، باب قوله ﷺ ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا أَتَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴾.

﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذُنُ لِي وَلَا نَفْتَحِيَ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا أَلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَّوَلَوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبْكَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوا إِلَّكَ اللَّهُ مُحْرِجٌ مَا

تَحَذَّرُونَ ^(١)، ومعلوم أن الصحابة عليهم السلام جميعاً قد خرجوا للقتال وقد تخلف في بادئ الأمر أبو ذر وأبو خيثمة ^(٢) ثم لاحقاً بالنبي صلى الله عليه وآله وقد تخلف أيضاً من الصحابة عليهم السلام ثلاثة وهم: (كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع) وهم من الأنصار، وبقي في المدينة أهل النفاق والمعدورين عن الجهاد وقد قال كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة المتخلفين أنه لم يبق في المدينة إلا رجل ممن عذر الله أو رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق وهذا يدل على أن أهل النفاق كانت لهم علامات يعرفهم بها الأصحاب ولا يجهلونهم، وأما قوله تعالى: **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوا رَبَّكَ اللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ يَكْتُمُونَ** ^(٣) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (قال مجاهد: يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يغشى علينا سرنا هذا وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: **وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسَبُكُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُسَّ الْمَصِيرُ** ^(٤) أي أن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين لكم أمركم كقوله تعالى: **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ** ^(٥) - إلى قوله - **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ^(٦) الآية، ولهذا قال قتادة ^(٧): كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين) ^(٨) أي أن الله فضحهم أمام الخلائق وبين حقيقتهم للناس بعد ما كان مكرهم سراً وفي الخفاء.

(١) سورة التوبة آية ٤٤-٦٤.

(٢) هو سعد بن خيثمة السلمي، أبو خيثمة، الذي تخلف بتبوك، وهو بكنيته أشهر. ويقال: اسمه مالك بن قيس، وهو خزرجي، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٧).

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، مات سنة سبع عشرة ومائة بواسط، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٧٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٤).

وقوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أُنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾، هذه الآية نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وجاؤوا يعتذرون للنبي ﷺ وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ليس فيهم أحد من أصحاب النبي ﷺ.

ولازم هذا الوصف المذكور في الآيات أن الصحابة ﷺ ليسوا منافقين بل المنافقون غيرهم المذكورة أوصافهم في هذه الآيات، وأن هذه الأوصاف تنطبق على عبد الله بن أبي وأصحابه الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وإن الصحابة ﷺ الذين خرجوا معه لا ينطبق عليهم وصف النفاق (٩٦).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧) لَا نَقُصُّ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ مَسْجِدًا وَهُمْ يُحِبُّونَ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠٨﴾، هذه الآية أيضاً فضحت المنافقين وذلك عندما بنوا مسجد ضرار لأبي عامر الراهب الفاسق (٩٤) لحرب المؤمنين وأرادوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه فأخبره جبريل بأمرهم فأمر بعض أصحابه بهدمه وأمره بالصلاة في المسجد الذي أسس على التقوى، ولا شك

(١) سورة التوبة آية ٩٥-٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٤).

(٣) سورة التوبة آية ١٠٧-١٠٨.

(٤) هو والد عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ﷺ الذي استشهد في غزو أحد، فكان أبوه يعرف بالراهب في الجاهلية، خرج إلى مكة، ثم قدم مع قريش يوم أحد محارباً، فسماه رسول الله ﷺ أباً عامر الفاسق، فلما فتحت مكة لحق بهرقل هاربا إلى الروم، فمات كافراً عند هرقل، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ٣٨٠).

أن الذين قاموا ببناء مسجد ضرار غير مجهولين عن الصحابة عليهم السلام وأن المسجد الذي يصلي فيه الرسول صلى الله عليه وآله هو مسجد الصحابة عليهم السلام ، والمسجد الذي أمر بهدمه هو مسجد أهل النفاق، فإذا كان أكثر الصحابة عليهم السلام منافقين وصلى الرسول صلى الله عليه وآله في مسجد الصحابة عليهم السلام المنافقين فيلزم أن الرسول صلى الله عليه وآله هدم مسجد المؤمنين ليصلي في مسجد المنافقين أيها السفهاء؟

وفي نفس السورة يخبر الله برضاه عن الصحابة عليهم السلام من السابقين الأولين مهاجرين وأنصاراً بقوله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^(١)، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من صلى الله عليه وآله؟! وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن عليهم السلام ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدعون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنين.

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات كما يلي:

أولاً: اللازم العلمي فهذه الآيات صريحة في مدح الصحابة عليهم السلام من المهاجرين والأنصار وصفاء ضمائرهم وسرائرهم.

(١) سورة التوبة آية ١٠٠.

(٢) سورة التوبة آية ١١٧.

ثانياً: اللازم الجدلي فالآيات تصرح بعدالة الصحابة رضي الله عنهم الأخيار بشهادة الكبير المتعال، ثم رضي الله سبحانه على الثلاثة الذين تخلفوا وهم من جملة الصحابة رضي الله عنهم خلاف بقية المتخلفين عن الغزوة من المنافقين الذين قبل الرسول صلى الله عليه وسلم على ظاهرهم، ومقتضى إعلان توبة الله عن الأنصار والمهاجرين يلزم منه بيان إيمانهم وصلاحهم وبعدهم عن النفاق.

ثالثاً: لازم المذهب بشهادة مشايخهم وكبرائهم بأن الآيات التي نزلت في المنافقين لا يراد بها الصحابة رضي الله عنهم من الأنصار والمهاجرين، وإنما المراد بها عبد الله بن أبي وأصحابه، ولو كان حقاً ما حصل الاختلاف والتضاد بين مشايخهم. وقد ورد عن الطبرسي وهو من أكابر علماء الرافضة بعد أن أورد سبب نزول سورة المنافقين قال: (نزلت الآيات في عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه...) ثم ذكر الروايات التي أوردتها البخاري والتي تثبت ذلك، ومعلوم أن أصحاب ابن أبي كانوا معروفين بأعيانهم عند الصحابة رضي الله عنهم وهذا واضح جداً من سياق الحديث، ويلزم من ذلك براءة الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار من النفاق. وقد أورد العياشي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ رواية تنفي النفاق صراحة عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، رواها عن سلام قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام ^(١) فدخل عليه حمran بن أعين ^(٢) فسأله عن أشياء

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أبو جعفر الباقر، سيد بني هاشم في زمانه، كان أحد من جمع العلم، والفقه، والشرف، والديانة، والثقة، والسؤدد، وهو أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، ولا عصمة إلا للنبي، توفي أبو جعفر سنة أربع عشرة ومائة، تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٣٠٨).

(٢) هو حمran بن أعين الكوفي، كان يتقن القرآن، قال أبو داود: رافضي، ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٦٠٤).

فلما همَّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أخبرنا أطل الله بقاءك وأمتعنا بك إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترقَّ قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا وتهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا؟ قال فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرّة يصعب عليها الأمر ومرّة يسهل، ثم قال أبو جعفر: أما إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله تخاف علينا النفاق، قال: فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ قالوا إنا إذا كنا عندك فذكرتنا روعنا ووجلنا نسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والأولاد والمال يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيء أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا هذا من خطوات الشيطان ليرغبكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنكم تذبون فتستغفرون الله لخلق خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا فيغفر لهم إن المؤمن مفتن تواب أما تسمع لقوله **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾** وقال **﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** ^(١).

ومفاد هذه الإلزامات أن الصحابة عليهم السلام في بداية الإسلام قبل أن يقوى ويشدد كانوا مناصرين للنبي صلى الله عليه وآله ولم يكن فيهم نفاق أو معادة ولا شك أن مقتضى المعادة في ذلك الوقت أولى وفعله أسهل وأحرى، ولما لم يظهر منهم شيء من ذلك في وقت سهولة

(١) تفسير العياشي (١/١٠٩).

حصوله وتوافر دواعيه لزم منه صدق إيمان الصحابة عليهم السلام وعدم نفاقهم ^(١).

المبحث الثالث: الإنزامات عدم تكفير علي عليه السلام لمن خالفه

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يصفهم لشيعة المتخاذلين ^(٢) عن نصرته متأسيًا بهم فيقول: (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فما أرى أحداً يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثاً ^(٣) غبراً ^(٤)، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا ^(٥) كما يمد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب) ^(٦).

وقال أيضاً (ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللّقم ^(٧)، وصبراً على مضض ^(٨) الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان

(١) ينظر: منهاج السنة لابن تيمية (١٧٥ / ٧) بتصرف.

(٢) هو من خذل يَحْذُلُ خَذْلاً وَخِذْلاً: تَرَكَ نُصْرَتَهُ وَعَوْنَهُ، وَخَذَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ تَخْذِيلاً أَيْ حَمَلَهُمْ عَلَى خِذْلَانِهِ. وَتَخَذَلُوا أَيْ خَذَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ينظر: لسان العرب لابن المنصور (٢٠٢ / ١١).

(٣) وهو المُغْبِرُّ الرأس، المتلبّد الشعر جافاً غير دهين، العين للفراهيدي (٢٤٤ / ١).

(٤) وهو تغيير اللون بغير، العين للفراهيدي (٤١٤ / ٤).

(٥) من الميد، وهو الذهاب والمجيء والاضطراب، وتمايل الغصن. ينظر: العين لفراعيدي (٨ / ٨٩)، وجمهرة اللغة لابن دريد (٦٨٥ / ٢).

(٦) نهج البلاغة ص ١٤٣، الكافي (٢ / ٢٣٦)، بحار الأنوار (٦٦ / ٧، ٣).

(٧) هو معظم الطريق، أو وسطه، ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩ / ١٤٧)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ١١٥٨).

(٨) هو ما يجده الإنسان في قلبه من ألم الحزن، جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (٢ / ١٠١١).

تصاول الفحلين يتخالسان^(١) أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه^(٢) ومتبوءاً أوطانه، ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم -يعني أصحابه- ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحتلبنها دماً، ولتتبعنها ندماً^(٣).

وقال أيضاً: (أوصيكم بأصحاب نبيكم لا تسبوهم، الذين لم يحدثوا بعده حدثاً، ولم يؤووا محدثاً؛ فإن رسول الله أوصى بهم الخير)^(٤)
وقال أيضاً عندما سأله أصحابه: (يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك، قال: عن أي أصحابي؟ قالوا: عن أصحاب محمد ﷺ قال: كل أصحاب محمد أصحابي)^(٥).

وقال أيضاً: (هم والله ربوا الإسلام كما يربي الفلو^(٦) مع غنائهم بأيديهم السباط وألستهم السلاط^(٧))^(٨).

(١) من خلس يخلص، والقِرْنان يتخالسان، أيهما يقدر على صاحبه، ويناهز كل واحد منهما = قتل صاحبه، والتخالس هو الصراع، ومحاولة كل من الشخصين قتل صاحبه، ينظر: العين للفراهيدي (١٩٧ / ٤).

(٢) من جرن، ويُقال ألقى فلان على هذا الأمر جرانه ووطن نفسه عليه، وضرب الإسلام بجرانه ثبت واستقر، المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء (١ / ١١٩).

(٣) نهج البلاغة: (ص: ٩١)، بحار الأنوار: (٣٢ / ٥٤٩).

(٤) بحار الأنوار: (٢٢ / ٥، ٣).

(٥) الغارات (١ / ١٧٧).

(٦) هو الجَحش والمُهر، العين (٨ / ٣٣٣).

(٧) من سلاط، والسليط من الرجال والنساء من طال لسانه واشتد صخبه، ينظر: العين للفراهيدي

(٧ / ٢١٣).

(٨) نهج البلاغة (٤ / ١٠٦).

ونقل إجماع الرافضة على تكفير الصحابة عليهم السلام علماؤهم المحققون، وفي هذا يقول شيخ طائفتهم الطوسي في كتابه الاقتصاد: «ظاهر مذهب الإمامية الخارج على أمير المؤمنين عليه السلام والمقاتل له كفر بدليل إجماع الفرقة المحقة على ذلك»^(١). وقال المفيد^(٢): «واتفقت الإمامية، والزيدية، والخوارج، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحرهم أمير المؤمنين، وأنهم بذلك في النار مخلدون»^(٣)، ويقول في موضع آخر: «واتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار»، ويفصح المفيد عن مراده بعبارة أوضح فيقول: «والقول في المتقدمين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ضلال فاسقون وأنهم بتأخيرهم أمير المؤمنين عليه السلام عن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله عصاه ظالمون وفي النار بظلمهم مخلدون»^(٤).

وروى المجلسي في بحاره عن أبي جعفر أنه قال: (هلك الناس كلهم بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان) وبادر لإزالة الاشكال فقال: (من أن يرتدوا عن الاسلام أي عن ظاهره والتكلم بالشهادتين فإبقاؤهم على ظاهر الإسلام كان صلاحا للأئمة ليكون لهم ولأولادهم طريق الى قبول الحق وإلى الدخول في الإيمان في كرور^(٥) الأزمان وهذا لا ينافي ما مر وسيأتي أن الناس ارتدوا إلا ثلاثة لأن المراد فيها ارتدادهم عن الدين واقعا وهذا محمول على بقائهم على

(١) الاقتصاد للطوسي ص ٢٢٦.

(٢) هو محمد بن محمد المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ، من مؤلفاته كتاب (أوائل المقالات) و(الاختصاص).

(٣) أوائل المقالات للمفيد ص ٤٤.

(٤) المرجع السابق ص ٤٢.

(٥) جمع كُرر، وهو عود الأزمان مرة بعد أخرى، ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٨٢).

صورة الإسلام وظاهره وإن كانوا في أكثر الأحكام الواقعية في حكم الكفار^(١).
وروى المفيد في الاختصاص عن عبد الملك بن أعين: (أنه سأل أبا عبد الله
فلم يزل يسأله حتى قال: فهلك الناس إذاً، فقال: أي والله يا ابن أعين هلك الناس
أجمعون أهل الشرق والغرب، قال: إنها فتحت على الضلال، أي والله هلكوا
إلا ثلاثة نفر سلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد ولحقهم عمار، وأبو ساسان
الأنصاري، وحذيفة وأبو عمرة فصاروا سبعة)^(٢).

وروى الكليني عن حمran بن أعين قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك
ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفينناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك،
المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا وأشار بيده ثلاثة..... الخ)^(٣) وأكثر من ذلك قال
الكليني: (إن الناس يفرعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا، إن الناس عادوا بعد ما قبض
رسول الله - صلى الله عليه وآله - أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير جعلوا يبائعون
سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية يا سعد! أنت المرجأ، وشعرك المرجل،
وفحلك المرجم)^(٤) ومعناه أنه لم يبق ولا واحد، لا أبو ذر ولا سلمان ولا المقداد
وقد روى الكليني: (عن أبي جعفر (ع) قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي
صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو
ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير
وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبائعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين
(ع) مكرها فبايع»)^(٥).

(١) بحار الأنوار (٢٨/ ٢٣٦).

(٢) الاختصاص ص ٦.

(٣) أصول الكافي (٢/ ٢٤٤).

(٤) المصدر السابق (٨/ ٢٩٦).

(٥) الكافي الكليني (٨/ ٢٠٠ - ٢٠١).

وروى أيضا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من ادعى الامامة وليس من أهلها فهو كافر»^(١).

ولما كان علي بن أبي طالب عند هؤلاء إماماً معصوماً لا يصح عليه الخطأ ولا الذنب وهو عالم بحقائق الأمور ولا يمكن أن يفوته شيء فإن أقواله المذكورة تدل على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار أفضل الناس وأنهم مؤمنون مناصرون للنبي صلى الله عليه وآله، ولازمه أن الصحابة رضي الله عنهم عدول ومؤمنون وأنهم ناصرُوا النبي صلى الله عليه وآله في نشره للإسلام وأن علياً صادق في كل ما ذكر عنهم من إخلاصهم وإيمانهم وبعدهم عن كل ما يخدش إيمانهم من النفاق والبدع.

ويزعم الرافضة أن علي رضي الله عنه إمامهم الأول وقودتهم وهو معصوم عن الخطأ وينقلون عنه من الأساطير والخرافات بل وصل الأمر إلى أن تحريف القرآن كان بسبب إخفاء فضائل الإمام علي فقد قال الكاشاني في تفسيره: (وأما اعتقاد مشايخنا (ره) في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا. وكذلك أستاذه علي بن ابراهيم القمي فإن تفسيره مملوء منه -أي مملوء من التحريف- فانظر إلى ذلك في قولهم:

(وأما ما هو محرّف فهو قوله «لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي».

وقوله «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك في علي».

وقوله «إن الذين كفروا وظلموا آل محمد»^(٢).

وهذا يوضح عقيدة الكليني صاحب أهم مرجع من أصول الشيعة وكذلك شيخه القمي مما يجعل المطلع على كتبهم يظن أنهم لا يمكن أن يخالفوا الإمام علي رضي الله عنه.

(١) المصدر السابق (١ / ٥٥٢)

(٢) تفسير الصافي (١ / ٤٧).

ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك فإن علياً عليه السلام لم يكفر الصحابة عليهم السلام وكان يشهد لهم بالإيمان، والفضل.

عن أبي جحيفة قال: سمعت علياً، يقول: «ألا أخبركم بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر» ^(١).

وعن الهمداني قال قلت لعلي بن أبي طالب يا أبا الحسن من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قال الذي لا يشك فيه والحمد لله أبو بكر بن أبي قحافة قال ثم قلت من يا أبا الحسن؟ قال الذي لا يشك فيه والحمد لله عمر بن الخطاب ^(٢).

وعن إبراهيم قال ضرب علقمة بيده على المنبر فقال خطب علي على هذا المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنه بلغني أن ناساً يفضلوني على أبي بكر وعمر فلو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكن أكره العقوبة قبل التقدم فمن قال شيئاً من ذلك فهو مفترى عليه ما على المفترى. خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ثم عمر ^(٣).

وعن ابن الحنفية، قال قلت لأبي: من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «أبو بكر» قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر» قلت: فأنت؟ قال: «أبوك بعد رجل من المسلمين» ^(٤).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات كما يلي:

أولاً: اللازم العلمي هو إن كان علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكفر الخوارج الذين قاتلوه وعادوه وكفروه فكيف يقال بعد ذلك بتكفير الصحابة عليهم السلام وهم لم

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٣٠٥)، والسنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢٩٣).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٣٦٤)، والكتاب اللطيف لابن شاهين (ص: ١٧٧).

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٣٣٦)، والكتاب اللطيف لابن شاهين (ص: ١٧٨).

(٤) (مُصنّف ابن أبي شيبة ط السلفية (١٢/ ١٢)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٧٨).

يعادوه ولم يحاربوه، كما علي بن أبي طالب نفى صفة النفاق لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً فكيف بصحابة رسول الله ﷺ الذين ذكرهم بقوله سبحانه {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود...}.

ثانياً: اللازم الجدلي يرد على مذهب الرافضة في اعتقادهم في الصحابة رضي الله عنهم ، إذ أن مقتضى تكفير الرافضة لصحابة رسول الله مع تزكية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهم وشهادته لهم بالإيمان يلزم منه ما يلي:

اللازم الأول: كذب هؤلاء وافتراءهم على الصحابة رضي الله عنهم بنسبة الكفر إليهم. اللازم الثاني: نسبة الجهل إلى علي بن أبي طالب إذ كيف يمدح ويثني على كافر ويشهد له بالإيمان مع كفر الصحابة رضي الله عنهم الظاهر كما يزعمون، ولا يسلمون من هذه اللوازم إلا بإثبات إيمان الصحابة رضي الله عنهم ، وعدم كفرهم؛ لأن نسبة الجهل إلى علي رضي الله عنه كفر عندهم.

اللازم الثالث: نسبة الجبن والخوف إلى علي بن أبي طالب وهذا أمر لا يصح عندهم، فربما يقولون إن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت كانوا أصحاب قوة وتمكين لذلك قال علي هذا القول خوفاً منهم، ولازم هذا أن علياً رضي الله عنه جبان، وهذا لا يليق عندهم بالمعصوم، ولا يسلموا من هذه اللوازم إلا بالتسليم بصحة ما ذكر علي رضي الله عنه من إيمانهم.

اللازم الرابع: يلزم من عدم تكفير علي رضي الله عنه للخوارج عدم تكفيره لغيرهم؛ لأن الخوارج عادوه وقتلوه وحكموا عليه بالكفر وخرجوا عن جماعة المسلمين وناصروا العداة ولم يفعل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ذلك، فيلزم الحكم بإيمان الصحابة رضي الله عنهم لا تكفيرهم.

ثالثاً: لازم المذهب فالروايات المنقولة في كتبهم والتي لم تطالها أيدي التحريف والتبديل تنص على ثناء الإمام علي عليه السلام على الصحابة عليهم السلام فضلاً عن تكفيرهم وقد ذكر ابن قدامة في كتابه المغني رواية لابن عبد البر: (عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سئل عن أهل النهر، أكفارهم؟ قال: من الكفر فرُّوا. قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل فما هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة، فعموا منها وصموا، وبغوا علينا وقتلونا فقاتلناهم).

وروى المجلسي: (عن جعفر عن أبيه أن علياً عليه السلام كان يقول لأهل حربه: إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم نقاتلهم على التكفير لنا ولكننا رأينا أننا على حق ورأوا أنهم على حق).

كما روى: (إن علياً لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق ولكنه كان يقول: هم إخواننا بغوا علينا).

المبحث الرابع: إلزامات أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ رسالته

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بتبليغ الدين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ قُمْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾^(٢).

ولم تزل عقيدة المسلمين أن الله سبحانه وتعالى فضل هؤلاء الصحابة عليهم السلام، وذكر ميزتهم وذكر فضلهم، فقبلوا خبر الله تعالى، وقبلوا ما جاء عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، واعتقدوا ميزة هؤلاء الصحابة عليهم السلام، وفضلوهم؛ لأنهم الذين حملوا هذه الشريعة الإسلامية إلينا، فهم الذين بلغوا القرآن كلام الله، وهم الذين حفظوا سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) سورة المائدة آية ٦٧.

(٢) سورة المدثر آية ١.

وبلغوها لمن بعدهم، وعملوا بقول النبي ﷺ: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»^(١)، وعملوا بقوله: (بلغوا عني ولو آية)^(٢).

ولم يبق بمكة والطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد حجة الوداع^(٣)، ثم انتشر هؤلاء في الآفاق وبلغوا ما سمعوا وحفظوا من رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

فإذا كانوا كما تقول الرافضة منافقين فيلزم عليهم لوازم:

اللازم الأول: كيف يقبل خبرهم؟

اللازم الثاني: وكيف يقبل تبليغهم؟

اللازم الثالث: لو على فرض أننا تجاوزنا من باب الجدل أنه خفي أمرهم على النبي ﷺ، وعلم كفرهم هؤلاء الرافضة فإن هذا يلزم أن الرافضة أعلم من النبي ﷺ، وكيف يخفى على النبي ﷺ حالهم وهو بين ظهرائهم ولم يخفى على هؤلاء، وهم جاءوا بعدهم بزمن ولم يعاشرهم.

اللازم الرابع: لو قالوا إن النبي ﷺ كان عالماً بهم وبكفرهم لكنه لم يذكر ذلك لاعتباره لهم أنهم من جملة المنافقين، للزمهم على ذلك نسبة النبي ﷺ إلى الخيانة في الرسالة، إذ كيف يأمر النبي ﷺ بتبليغ الرسالة من كان مطعوناً في إيمانه ويعتبر من جملة الكافرين.

وينبني على قول الرافضة أن الله ما حفظ شريعته، وأن هذه الشريعة ليست هي

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (١ / ٥١) برقم (١٠٤) كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ - ليبلغ الشاهد... الغائب، ومسلم في الصحيح (٤ / ١٠٩) برقم (٣٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٣ / ١٢٧٥) برقم (٣٢٧٤) كتاب التفسير، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٣) الإصابة (١ / ١٠).

الإسلام؛ لأن طعنهم في الصحابة ﷺ ليس طعنًا في ذواتهم خاصة بل هو طعن في الشريعة، وطعن في الإسلام، وطعن في الدين، وطعن في القرآن، وطعن في السنة، وطعن في الأحاديث النبوية، وطعن في الأحكام، وطعن في الأوامر والنواهي، وطعن في الوعد والوعيد، وطعن في الخبر والأمر، وطعن في كل ما جاء في هذه الشريعة، هذا لازم طعن هؤلاء الرافضة، لكن الله تعالى قيض هؤلاء الصحابة ﷺ حتى حفظوا الشريعة وبلغوها، وقيض لهم تلامذة يتقبلون منهم، ويأخذون عنهم السنة، وقيض للتلامذة آخرين من تلامذتهم إلى أن حفظت الشريعة الإسلامية في الأقوال والأفعال، وصدق الله في حفظ شريعته من الضياع لتقوم الحجة على الآخرين كما قامت على الأولين، فإن الله تعالى له الحجة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١)، وليست الحجة لأحد من خلقه، فإذا كانت الحجة لله سبحانه؛ فإن كلامه لم يتغير، فيكون حجة علينا وحجة على آبائنا وعلى أبنائنا، وعلى الخلق كلهم إلى أن تقوم الساعة، ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، ولئلا يقول الناس: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣). فإذا: قد جاءهم الرسول، وقد بلغ الرسول الشريعة، وقد حفظت شريعته التي بلغها، وقد قيض الله له صحابة أتقياء أنقياء ليس فيهم طعن، اعترفت الأمة بفضلهم، ورأوا فضائلهم التي في القرآن والتي في السنة، وأقروا في شروحاتهم وفي كتبهم ومؤلفاتهم، فتجدون مؤلفات أهل السنة مليئة بذكر فضائلهم، فقد ألف

(١) سورة الأنعام آية ١٤٩.

(٢) سورة المائدة آية ١٩.

(٣) سورة القصص آية ٤٧.

الإمام أحمد كتاباً مطبوعاً في مجلدين سماه: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك في صحيح البخاري كتاب الفضائل، ذكر فيه فضائل الصحابة رضي الله عنهم بدءاً بالخلفاء الراشدين، وهكذا صنع مسلم رحمته الله في كتابه الصحيح، فجعل كتاباً في فضائل الصحابة رضي الله عنهم روى فيه فضائلهم بدءاً بالخلفاء الأربعة على ترتيبهم في الخلافة، وهكذا أكثر المؤلفين ذكروا فضائلهم، ورووها بالأسانيد الصحيحة الثابتة التي لا مطعن فيها؛ اعترافاً منهم بأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم هم أزكى هذه الأمة، وهم الذين حازوا هذه الفضائل، وهم الذين أجمعت الأمة على فضلهم، وأجمعت على تقديمهم، ومع تفاوتهم في الفضل، فأفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهكذا بقية الصحابة رضي الله عنهم، ولم تزل الأمة تترضى عنهم كما رضي الله عنهم ، فعلى المسلم أن يعرف فضلهم، وأن يعترف بفضائلهم، وأن يصدق ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يترضى عنهم ويحبهم، وينشر بين المسلمين فضائلهم، وأن يحذر من الرافضة الذين يطعنون فيهم ويكفرونهم، وينزلون عليهم الآيات التي جاءت في المنافقين، ويجعلونهم منافقين أو مرتدين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات كما يلي:

أولاً: إلزام علمي متعلق باتهام الصحابة رضي الله عنهم بالنفاق وهو الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم لأنه قريهم ومكنهم وتزوج بناتهم بما جعلهم قرييين من مراكز القرار والقيادة ليحققوا مخططهم الانقلابي، وكان الأولى به أن يبعدهم ويتخذ التدابير والاحتياطات لدفع شرهم وكيدهم وخصوصاً مع زعمهم بأنه كان يعلم بنفاقهم وتآمرهم. كما أن الرافضة افتروا ونسبوهم للكفر وهم ليسوا كذلك لأن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ إلزام علمي يدل على إيمانهم.

ثانياً: إلزام جدلي فنسبة الجهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بحالهم مع طول عشرته لهم

لم يعلم أنهم كفار ويحذر منهم وهذا أمر لا يجهله عامة الناس فكيف بعلمائهم وكيف بنبي الأمة وتقرير هذا الإلزام الجدلي أننا لو سلمنا لكم ذلك فكيف يكون الرافضة أعلم منه عليه السلام وأغير على الأمة وكيف تكون عصمته وحفظه من الله وهو يستأمن الكفار على نقل الدين للأمة.

ثالثاً: لازم الذهب فقولهم بعلم النبي عليه السلام بكفرهم فيه لازم لمذهبهم بأن النبي عليه السلام خان الأمانة وأمر الكفار المنافقين بتبليغ الرسالة التي كلف بها.

ومفاد هذه الإلزامات من كلام الرافضة أن دين الله مغير، وأن كلام الله مبدل، وأن شريعة الله غير محفوظة، وأن الله ما صدق في كلامه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ^(١) ولم يحفظ دينه وكتابه، بل وكله إلى كفره فجرة - في زعم أولئك الرافضة - غيروا فيه وكتموا وكذبوا، وزادوا ونقصوا وحرفوا، وقالوا ما يشتهونه، وولوا من يريدونه، وعزلوا من يبغضونه، هذا مقتضى قول هؤلاء الرافضة ^(٢).

المبحث الخامس: إلزامات نصرهم للنبي عليه السلام وقتالهم معه.

إن من يقرأ أي كتاب من كتب السيرة النبوية يجد من التضحيات التي قدمها صحابة رسول الله عليه السلام دفاعاً عن الإسلام ونصرة للدين.

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه يسمع في غزوة أحد أن رسول الله قد مات، وأن رسول الله قد قتل، فيمر على قوم من المسلمين قد ألقوا السلاح من أيديهم، فيقول لهم: ما بالكم قد ألقيتم السلاح؟! فقالوا: قتل رسول الله عليه السلام، فقال أنس: فما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله عليه السلام. واندفع أنس بن النضر في صفوف القتال، فلقي سعد بن معاذ، فقال أنس:

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) للاستزادة انظر كتاب حوار بين السنة والشيعة لعبدالرحمن دمشقية ص ٢٢.

يا سعد والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد، وانطلق في صفوف القتال فقاتل حتى قتل، وما عرفته إلا أخته ببنانه، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم^(١).

وهذا سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه يقول النبي صلى الله عليه وسلم لزید بن ثابت: (يا زید ! ابحث عن سعد بن الربيع بين القتلى في أحد فإن أدركته فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجدك؟) أي: كيف حالك؟ وانطلق زید بن ثابت ليجث عن سعد بن الربيع الأنصاري فوجده في آخر رمق من الحياة، فقال له: يا سعد ! رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام، ويقول لك: كيف تجدك؟ فقال سعد بن الربيع لزید بن ثابت: وعلى رسول الله وعليك السلام، وقل له: إني والله لأجد ريح الجنة، ثم التفت سعد وهو يحتضر إلى زید بن ثابت، وقال: يا زید بلغ قومي من الأنصار السلام، وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إن خالص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكروه وفيكم عين تطرف^(٢).

وهذا عمرو بن الجموح رجل أعرج لا جهاد عليه، قد أسقط الله عنه الجهاد، لكنه يسمع النداء: يا خيل الله اركبي، حي على الجهاد، ويريد أن ينطلق للجهاد في سبيل الله جل وعلا، فيقول أبنائه الأربعة الذين ما تركوا غزوة مع رسول الله؛ يقولون لأبيهم: يا أبانا لقد أسقط الله عنك الجهاد ونحن نكفيك، فيبكي عمرو بن الجموح وينطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشتكي لرسول الله وهو يقول: يا رسول الله! إن أبنائي يمنعوني من الخروج للجهاد في سبيل الله، والله إني لأريد أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فيلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمرو ويقول: يا عمرو فقد أسقط الله عنك

(١) ينظر: مسند البزار (١٣ / ١٨٥).

(٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (٢ / ٥٢٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر القرطبي (٢ / ٥٩٠).

الجهاد، فقد عذرك الله جل وعلا، ومع ذلك يرى النبي رغبة عارمة في قلب عمرو بن الجموح للجهاد في سبيل الله، فيلتفت النبي ﷺ إلى أبنائه الأربعة ويقول لهم: «**لا تمنعوه! لعل الله أن يرزقه الشهادة في سبيله**». وينطلق عمرو بن الجموح، لا أقول يبحث عن النصر، بل يبحث عن الشهادة في سبيل الله جل وعلا، ويرزقه الله الشهادة في سبيله، صدق الله فصدقه الله جل وعلا. ويمر عليه النبي ﷺ بعدما قتل فيقول: «**والله لكأنني أنظر إليك تمشي برجلك في الجنة وهي صحيحة**»^(١).

وهذا عمير بن الحمام شاب كريم مبارك، يسمع النبي ﷺ في غزوة بدر يقول: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**» إنها جنة عرضها السماوات والأرض! فقال عمير بن الحمام: جنة عرضها السماوات والأرض! بخ بخ! فقال النبي ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ يا عمير**»، فيقول عمير: لا والله يا رسول الله إلا أني أرجو الله أن أكون من أهلها، فقال النبي ﷺ: «**أنت من أهلها**» فأخرج عمير بن الحمام تمرات ليتقوى بهن على القتال، فأكل ثمرة، ثم قال لنفسه: والله لئن حييت حتى أكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة، ويلقي بالتمرات ويندفع في صفوف القتال فيقتل؛ لأنه صدق الله جل وعلا فصدقه الله تبارك وتعالى^(٢).

ويقول المقداد بن عمرو رضي الله عنه في غزوة بدر: «يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي

(١) ينظر: مسند أحمد (٣٧ / ٢٤٧)، وقال محققوه: «إسناده حسن» والجامع الصحيح للسنن والمسائيد، لصهيب عبد الجبار (١٤ / ٤٦٥)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج ابن الجوزي (٣ / ١٩٢)، وسير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٥٦٧).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٤ / ١٤٨٧) برقم (٣٨٢٠) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، وصحيح مسلم (٦ / ٤٤) برقم (٤٩٥٠).

بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه»^(١).
ويقول سعد بن معاذ لرسول الله ﷺ في حين استشارته أصحابه لغزوة بدر:
«والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال: فقد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا
أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا، على السمع
والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق، لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما
نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء. لعل الله يريك
منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه
ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله
لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مئة، فبايعنا
رسول الله ﷺ على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت، قال: فبايعناه كلنا إلا الجذّ
بن قيس اختبأ تحت إبط ناقته»^(٣).

وإن الحال التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم تستلزم إيمانهم ونصرهم للحق،
والصحابة رضي الله عنهم ولا سيما المهاجرين منهم قد عانوا أشد العناء فقد كان الإسلام
في ذلك الوقت قبل الهجرة عددهم قليل، والكفار مستولون على عامة الأرض
وقد وجدوا من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله وهم
متجرعون لمرارة البلوى وقد فارقوا الأوطان وهجروا الخلائق محبة لله ورسوله
وجهاد في سبيله»^(٤).

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٦١٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٤).

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٦١٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٢٦).

(٤) منهاج السنة النبوية (٧/ ٤٥٧).

فالمهاجرون والأنصار هم الذين قاتلوا مع رسول الله في غزواته كلها، وأخبر الله بتوبته عنهم في آخر غزوة غزوها مع رسول الله وهي غزوة تبوك وبذلوا أغلى ما يملكون في نصرته هذا الدين إلى أن توفي رسول الله فكيف لعقل أن يتصور تضييعهم لجهادهم وتعبهم ويرتدون بعد ذلك كله.

وأيّن أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله - الذين قاموا بأمر الدين بعد نباهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين، وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلين على أدبارهم ^(١).

فإنه لا أحد من أتباع الأنبياء أوفى من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله وسلم، ولهذا هجروا أو طانهم، وتركوا أموالهم إلى الله ورسوله، ونصروا الله ورسوله، وجاهدوا في الله حتى فتح الله بهم قلوباً غلفاً، وأذاناً صمماً، وفتحوا البلاد وأنجوا العباد وصار لهم من المكانة ما ليس لغيرهم من أتباع الرسل ^(٢).

وحتى الصبيان ضحوا لله ولدين الله جل وعلا، ومن أروع وأعجب ما قرأت ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن عوف: (قال عبد الرحمن بن عوف: بينما أن واقف في الصف يوم بدر إذ التفت عن يميني وعن شمالي فرأيت غلامين من الأنصار، يقول: فلم آمن بمكانهما. خاف الرجل لوجود هذين الغلامين الصغيرين، يقول عبد الرحمن: فغمزني أحدهما سراً من صاحبه وقال لي: يا عم! هل تعرف أبا جهل؟ فقال له عبد الرحمن: نعم، وماذا تصنع بأبي جهل يا ابن أخي! فقال له: لقد سمعت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، يقول عبد الرحمن بن عوف: فتعجبت لذلك! يقول: فغمزني الغلام الآخر وقال لي سراً من صاحبه: يا عم! هل تعرف أبا جهل

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، إبراهيم الرحيلي (ص: ٢٥٦).

(٢) شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين (١/ ٧٤٢).

؟ فقلت: نعم يا ابن أخي، وماذا تصنع بأبي جهل ! فقال: لقد سمعت أنه يسب رسول الله ﷺ، ولقد عاهدت الله جل وعلا إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، يقول: فتعجبت! والله ما يسرني أني بين رجلين مكانهما، يقول: فنظرت في القوم فرأيت أبا جهل يجول في الناس، فقلت لهما: انظرا هل تريان هذا، قالوا: نعم، قال: هذا صاحبكما الذي تسألان عنه! يقول: فانقضا عليه مثل الصقرين فقتلاه! انقض عليه غلامان، تربي هذا الغلام الكريم هو وأخوه في بيت عرفهم كيف تكون التضحية، وكيف يكون البذل لدين الله جل وعلا؛ فانقضا عليه مثل الصقرين فقتلاه، وجرى كل منهما إلى النبي ﷺ يقول: يا رسول الله قتلتك، والآخر يقول: بل أنا الذي قتلت أبا جهل، فقال النبي لهما: هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا: لا، قال النبي ﷺ: أعطني سيفك، وقال للآخر: أعطني سيفك، ونظر النبي ﷺ إلى السيفين فوجد دم أبي جهل على السيفين، فالتفت إليهما وقال: كلاكما قتله والبطلان هما معاذ بن عمرو بن الجموح^(١) ولد ذلكم الرجل الأعرج، ومعاذ بن عفراء^(٢).

وحتى النساء ضحين لدين الله فهذه خديجة، وهذه سمية أم عمار^(٣)، وهذه أم عمار^(٤)، وهذه أسماء، كلهن وغيرهن قد ضحين لدين الله جل وعلا!.

(١) هو معاذ بن عمرو بن الجموح بن يزيد بن حرام الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة، وبدر هو وأبوه عمرو بن الجموح، وهو أحد من قتل أبا جهل، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ١٤١٠) والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٦/ ١١٣).

(٢) معاذ بن عفراء الأنصاري سكن المدينة وروى عن النبي ﷺ، مات في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، معجم الصحابة للبغوي (٥/ ٢٨٥).

(٣) هي أم عمار بن ياسر، كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم فزوجها من حليفه ياسر بن عامر بن مالك العنسي، والد عمار بن ياسر. فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة، وكانت ممن عذبت في الله وصبرت على الأذى في ذات الله، وكانت من المبايعات الخيرات الفاضلات رحمها الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٦٣).

(٤) اسمها نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف، كانت قد شهدت بيعة العقبة، وشهدت أحدا مع=

وفي هذه القصص لم أنقل عن الخلفاء الراشدين والذين سيأتي الحديث عنهم بل هي نماذج لتضحيات بعض الصحابة عليهم السلام ونصرتهم للدين وجهادهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد قال علي عليه السلام واصفا هذه التضحيات: (ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللّقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جراحه، ومتبوءاً أوطانه، ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم -يعني أصحابه- ما قام للدين عمود، ولا أخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحتلبنها دمًا، ولتتبعنها ندماً^(١)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قيل: فالمنافقون كانوا في الظاهر مسلمين ، قيل: المنافقون لم يكونوا متصفين بهذه الصفات ، ولم يكونوا مع الرسول والمؤمنين ولم يكونوا منهم، كما قال تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ^(٤) ».

=زوجها زيد بن عاصم، ومع ابنها حبيب، ثم شهدت بيعة الرضوان، ثم شهدت مع ابنها عبد الله وسائر المسلمين اليمامة، فقالت حتى أصيبت يدها وجرحت يومئذ اثني عشر جرحاً من بين طعنة وضربة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٩٤٨).

(١) نهج البلاغة (ص ٩١)، بحار الأنوار (٣٢/ ٥٤٩).

(٢) سورة المائدة آية ٥٢.

(٣) سورة العنكبوت آية ١٠.

فأخبر أن المنافقين ليسوا من المؤمنين ولا من أهل الكتاب وهؤلاء لا يوجدون في طائفة من المتظاهرين بالإسلام أكثر منهم في الرافضة ، ومن انطوي إليهم^(١) .
فدل هذا على أن المنافقين لم يكونوا من الذين آمنوا ، والذين كانوا منافقين منهم من تاب عن نفاقه وانتهى عنه ، وهم الغالب بدليل قوله تعالى : ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) ، فلم يغره الله بهم ولم يقتلهم تقتيلاً ، بل كانوا يجاورونه بالمدينة ، فدل ذلك على أنهم لم ينتهوا .

وروى مسلم بإسناده إلى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من يصعد الشنية ثنية المزار^(٣) فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل قال : فكان أول من يصعد لها خيلنا خيل بني الخزرج ثم تمام الناس فقال رسول الله ﷺ : كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر . فأتيناه فقلنا له : تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال : والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم ، قال : وكان رجلاً ينشد ضالة له^(٤) ، وبالجمل فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين مقهورين أذلاء ، لا سيما في آخر أيام رسول الله ﷺ ، وفي غزوة تبوك ، لأن الله تعالى قال عنهم : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥) ، فأخبر أن العزة

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٢ - ٤٣) .

(٢) سورة الأحزاب آية ٦٠ .

(٣) قال النووي - رحمه الله - : « هكذا هو في الرواية الأولى المزار وفي الثانية المزار أو المزار بضم الميم وفتحها على الشك وفي بعض النسخ بضمها أو كسرهما والمزار شجر مر وأصل الشنية الطريق بين الجبلين وهذه الشنية عند الحديبية » ، شرح النووي على مسلم (١٧ / ١٢٦) .

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (٨ / ١٢٣) برقم (٧١٣٩) .

(٥) سورة المنافقين آية ٨ .

للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم، فيمتنع أن يكون الصحابة ﷺ الذين كانوا أعز المسلمين من المنافقين، بل ذلك يقتضي أن من كان أعز كان أعظم إيماناً. وهنا تتجلى أنواع الإلزامات كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فإن قتال الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ وبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرته دين الإسلام ورفع قدره يلزم منه الشهادة بإيمان الصحابة ﷺ وإخلاصهم لله تعالى، فإن القتال وتعرض النفس للهلاك ليس بالأمر الهين الذي يبذله العبد، ولا يعرض العبد نفسه لذلك ويبذل نفسه لنصرته ورفع شأنه إلا لإيمانه بأنه أمر يستحق هذه التضحية، ويؤمن العبد إيماناً يقينياً.

ثانياً: احتوى على الزامات جدلية متعددة ترد على مذهب الرافضة في تكفيرهم للصحابة:

الإلزام الأول: إن انتشار الإسلام في عهد الصحابة ﷺ وقمع المشركين وجميع الكفار يدل على نصرته هؤلاء الصحابة ﷺ لدين الله عز وجل، وهذا يلزم منه الشهادة لهم بالإيمان ونفي الكفر عنهم والنفاق، والرد على الرافضة في ذلك.

الإلزام الثاني: إن نصرهم لرسول الله ﷺ في أول الدعوة مع قلة المعين، وقوة بأس المشركين وعدم وجود الناصر إلا الله تعالى يدل على إخلاصهم لربهم وإيمانهم بنبيه، وهذا يلزم منه نفي النفاق والكفر عنهم والرد على الرافضة في مقولاتهم المتعلقة بذلك.

الإلزام الثالث: خروجهم مع النبي ﷺ في غزواته مع إخبار الله عز وجل أنه لم يخرج في هذه الغزوة إلا مؤمن وأن المنافقين لم يخرجوا دلالة على أنهم ليسوا منافقين، وهذا يستلزم تكذيب الرافضة في نسبة النفاق إلى الصحابة ﷺ وبيان كذب هذه المقولة.

ثالثا: لازم المذهب حيث يقول الخوئي واصفا الصحابة عليهم السلام وجهادهم: (إن القرآن هو الذي نور قلوب أولئك العاكفين على الأصنام ، المشتغلين بالحروب الداخلية والمفاخرات الجاهلية ، فجعلهم أشداء على الكفار رحماء بينهم . يؤثر أحدهم حياة صاحبه على نفسه ، فحصل للمسلمين بفضل الإسلام من فتوح البلدان في ثمانين سنة ما لم يحصل لغيرهم في ثمانمائة سنة ، ومن قارن بين سيرة أصحاب النبي وسيرة أصحاب الأنبياء السابقين علم أن في ذلك سرا إلهيا ، وأن مبدأ هذا السر هو كتاب الله الذي أشرق على النفوس ، وطهر القلوب والأرواح بسمو العقيدة ، وثبات المبدأ ، انظر إلى تاريخ الحواريين ، وإلى تاريخ غيرهم من أصحاب الأنبياء تعلم كيف كانوا . كانوا يخذلون أنبياءهم عند الشدائد ، ويسلمونهم عند خشية الهلاك !! ولذلك لم يكن لأولئك الأنبياء تقدم على طواغيت زمانهم بل كانوا يتسترون عنهم بالكهوف والأودية . وهذه هي الخاصة الثانية التي تفضل القرآن على سائر المعجزات) ^(١).

وقال أيضا: (إن اهتمام النبي - ص - بأمر القرآن بحفظه ، وقراءته ، وترتيل آياته ، واهتمام الصحابة عليهم السلام بذلك في عهد رسول الله - ص - وبعد وفاته يورث القطع بكون القرآن محفوظا عندهم ، جمعا أو متفرقا ، حفظا في الصدور ، أو تدوينا في القراطيس ، وقد اهتموا بحفظ أشعار الجاهلية وخطبها ، فكيف لا يهتمون بأمر الكتاب العزيز ، الذي عرضوا أنفسهم للقتل في دعوته ، وإعلان أحكامه ، وهجروا في سبيله أوطانهم ، وبذلوا أموالهم ، وأعرضوا عن نسائهم وأطفالهم ، ووقفوا المواقف التي يبضونها وجه التاريخ) ^(٢).

وقال علي عليه السلام واصفاً تضحيات الصحابة عليهم السلام : (ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) البيان في تفسير القرآن ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٦ .

نقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللّقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جراحه، ومتبوءاً أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم -يعني أصحابه- ما قام للدين عمود، ولا أخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحلبنها دمماً، ولتبعنها ندماً»^(١).

ويقول علي في وصف الصحابة عليهم السلام: «والله لقد رأيت أصحاب محمد عليه السلام فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفراً شعناً غبراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يترأفون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم»^(٢).

ويقول أيضاً في وصفهم: «أين القوم الذي دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الزاهبون، فحق لنا أن نظماً إليهم، ونعص الأيدي على فراقهم»^(٣).

(١) نهج البلاغة (ص ٩١)، بحار الأنوار (٣٢ / ٥٤٩).

(٢) البداية والنهاية (٨ / ٧).

(٣) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعلي الصلابي (٢ / ٩٦٨) نقلاً عن نهج البلاغة.

الفصل الثاني

إلزامات قولهم إن الصحابة ﷺ ارتدوا بعد النبي ﷺ

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد: وفيه قول الرافضة إن الصحابة ﷺ ارتدوا بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة أو سبعة.

إن رسول الله ﷺ قام بتربية الصحابة ﷺ تربية شاملة، وزرع الإيمان في قلوبهم، ورباهم على الإيمان بالله والعقيدة الصحيحة وبغض الشرك وأهله فقد أثرت هذه التربية عليهم حتى أيقنوا أنه لا عز لهم إلا بالإسلام، فيقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخاطباً قضاة: «يا معشر العرب إنكم كنتم أذل أمة وأشقاها حتى أعزكم الله بالإسلام، فكنتم خير أمة أخرجت للناس، فلا تطلبوا العزة بغيره فتذلوا»^(١)، ويقول أيضاً: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً»^(٢). وقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لملك الحبشة النجاشي: «أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسئ الجوار، يستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحمي الجوار ونصلي الله عز وجل، ونصوم له، ولا نعبد غيره، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا»^(٣).

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لجمال الدين ابن الجوزي (٤ / ١٣٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٧٠).

(٣) المصدر السابق (٣ / ٩٣).

وحينما قال رستم قائد الفرس في القادسية لمغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «إنكم معشر العرب كنتم أهل شقاء وجهد» فقال له المغيرة بن شعبة: «لا تذكر لنا جهدا إلا وقد كنا في مثله أو أشد منه، أفضلنا في أنفسنا عيشا الذي يقتل ابن عمه، يأخذ ماله فيأكله، نأكل الميتة والدم والعظام، فلم نزل كذلك حتى بعث الله فينا نبيا، وأنزل عليه الكتاب، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به، فصدقنا من صدقه، وكذبه منا آخر، فقاتل من صدقه من كذبه، حتى دخلنا في دينه، من بين موقن به، وبين مقهور، حتى استبان لنا أنه صادق، وأنه رسول من عند الله، فأمرنا أن نقاتل من خالفنا، وأخبرنا أن من قتل منا على دينه فله الجنة، ومن عاش ملك وظهر على من خالفه، فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله، وتدخل في ديننا، فإن فعلت كانت لك بلادك، لا يدخل عليك فيها إلا من أحببت، وعليك الزكاة والخمس، وإن أبيت ذلك فالجزية، وإن أبيت ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك»^(١).

فكان هؤلاء الأ خيار على هذه العقيدة والثقة بالله تعالى وكان الإيمان قد دخل بشاشة قلوبهم.

وإن القول بردة الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أهل الضلال والزيغ وأعداء الإسلام من الرافضة يريدون به النيل من الإسلام وأهله، ويريدون القدح في حملة هذا الدين، والله تعالى قد رفع شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيّن منزلتهم العالية ومقامهم الشامخ، وأخبر أنهم خير هذه الأمة إيمانا ودعوة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢).

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٥٧٤).

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

وقال الضحاك: «هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة، وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم»^(١).

ومن يعتقد ردة الصحابة عليهم السلام كان يستلزم منه تكذيب الله تعالى وردّ لشهادته. وقد كان الصحابة عليهم السلام أشد الناس عداوة على الكفار بنص كتاب الله تعالى فنصر الله بهم الإسلام في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، وأذل الله بهم أهل الردة، وإن القدح فيهم قدح في الدين، وإن كانوا ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ كما يتفوّه الرافضة فلماذا قاموا بنصرة الدين والجهاد ضد أعدائه من المرتدين وغيرهم؟ ولماذا اجتهدوا بتوحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم على الحق؟.

يقول ابن تيمية - رحمته الله -: «وأصحابه الذين هم أصحابه ليس فيهم نفاق كالذين علموا سنته وبلغوها إليهم وقاتلوا المرتدين بعد موته، والذين بايعوه تحت الشجرة وأهل بدر وغيرهم»^(٢).

فيقال الله أكبر على هؤلاء المرتدين المفترين أتباع أهل الردة الذين برزوا بمعاداة الله ورسوله وكتابه ودينه ومرقوا من الإسلام ونبذوه وراء ظهورهم وشاقوا الله ورسوله وعباده المؤمنين وتولوا أهل الردة والشقاق فإن هذا الفصل وأمثاله مما يحقق أن الرافضة المتعصبين على أبي بكر كالمرتدين الذين قاتلهم الصديق وذلك أن أهل الإمامة آمنوا بمسيلة الكذاب الذي صنف قرآناً وفعل العظائم فبعث أبو بكر الصديق الذي من أفضل أعماله عند الله تعالى قتاله هؤلاء الكفرة جيشاً من أفضل الصحابة عليهم السلام وعليهم خالد سيف الله يقاتلون مسيلة بعد أن قاتلوا طليحة الأسدي^(٣) الذي تنبأ أيضاً وأتبعه أهل نجد ثم أسلم طليحة

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٠٢).

(٢) الإيمان لابن تيمية (ص: ٣٢٧).

(٣) هو طليحة بن خويلد الأسدي ارتد بعد النبي ﷺ، وادعى النبوة، وكان فارساً مشهوراً بطلاً، =

وصلح أمره واستشهد في حرب مسيلمة مثل زيد بن الخطاب^(١) وثابت بن قيس^(٢) وأسيد بن حضير^(٣) وسالم مولى أبو حذيفة^(٤) وأبو دجانة^(٥) و^(٦).

= واجتمع عليه قومه، فخرج إليهم خالد بن الوليد في أصحاب النبي ﷺ، فانهزم طليحة وأصحابه، وقتل أكثرهم، ثم لحق بالشام، فكان عند بني جفنة حتى قدم المدينة مسلماً مع الحاج، فلم يعرض له أبو بكر، ثم قدم زمن عمر بن الخطاب، فقال له عمر: أنت قاتل الرجلين الصالحين - يعني ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محصن والله لا أحبك أبداً، ثم شهد طليحة القادسية، فأبلى فيها بلاء حسناً، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٧٧٣ / ٢).

(١) هو زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي القرشي العدوي أخو عمر بن الخطاب لأبيه ﷺ، يكنى أبا عبد الرحمن، كان زيد أسن من عمر، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وأحداً والخندق وما بعدها من المشاهد، وشهد بيعة الرضوان بالحديبية، ثم قتل باليمامة شهيداً سنة اثنتي عشرة من الهجرة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٥٥٠ / ٢).

(٢) هو ثابت بن قيس بن شماس ابن ثعلبة بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن الحارث بن الخزرج، يكنى أبا محمد، قتل باليمامة شهيداً، وشهد له النبي ﷺ بالجنة، معرفة الصحابة لابن منده (ص: ٣٣٦).

(٣) هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي. أسلم قبل سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير، وكان ممن شهد العقبة الثانية، وهو من النقباء ليلة العقبة، وجرح يوم أحد سبع جراحات، وكان أحد العقلاء الكاملة من أهل الرأي، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي في شعبان سنة عشرين. وقيل: سنة إحدى وعشرين من الهجرة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٣ / ١).

(٤) هو سالم مولى أبي حذيفة من السابقين الأولين، البدرين، المقربين، يكنى أبا عبد الله، أصله من إصطخر، كان مولاً لثيثة بنت يعار الأنصارية، وكانت تحت أبي حذيفة فأعتقته سائبة فتولى أبا حذيفة. وتبناه، فكان يقال سالم ابن أبي حذيفة، أرضعته امرأة أبي حذيفة سهلة بنت سهيل بن عمرو وهو كبير، قتل سالم يوم اليمامة، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦٣ / ٣)، و معرفة الصحابة لابن منده (ص: ٧١٤)، و سير أعلام النبلاء للذهبي (١ / ١٦٧).

(٥) اسمه سماك بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة، شهد بدرًا وكانت عليه يوم بدر عصابة حمراء، أعطاه النبي ﷺ - سيفه يوم أحد على أن يعطيه حقه، وهو فيمن شارك في قتل مسيلمة الكذاب، وقتل يومئذ شهيداً، الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٤٢٠).

(٦) المتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص: ٢٧١).

وفي رواية نقلها صاحب بحار الأنوار عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أن النبي ﷺ قال إنه (لما انهزم الناس يوم حنين: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد**») فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم وهم يقولون: لبيك ... (١).

وهذه العبارة النبوية - وإن كانت ثابتة في غزوة بدر الكبرى (٢) وليس في هذا الموطن في حنين - إلا أن المراد من إيرادها - زيادةً على أثر عودة المقاتلين على سير المعركة - توجيه تساؤل للشيعية المتهمين لعامة الصحابة عليهم السلام بالنفاق والارتداد عن الدين مفاده: أن النبي ﷺ في هذا الدعاء قد ربط بين بقاء هذا الدين وعبادة الله، وبين بقاء هذه العصابة المباركة من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين الذين شملهم هذا الدعاء بأجمعهم، فهل استثنى منهم أحداً؟ وهل دعا النبي ﷺ ربه بأن يُبقي مجموعة من المرتدين أو المنافقين؟! وكيف يربط بين بقاء عبادة الله بمجموعة من الكفرة المرتدين؟! ثم كيف يعقل أن يكون الكفرة المرتدون هم المؤمنون على نقل الدين وبقاء عبادة الله تعالى في الأرض؟! (٣).

وإن أكثر المشاهد التفصيلية المنقولة عن حادثة الردة نقلت عن رواية غير موثقين، فإن أكثر من اعتمد عليه في نقل مشاهدتها: سيف بن عمر التميمي (٤)، ولوط

(١) بحار الأنوار (٢١ / ١٥٠ - ١٥١)

(٢) ينظر: صحيح مسلم (٥ / ١٥٦) برقم (٤٦٠٩).

(٣) رسائل السنة والشيعية لرشيد رضا (٢ / ٣٤).

(٤) هو سيف بن عمر الضبي الاسدي، ويقال التميمي البرجمي، ويقال السعدي الكوفي، صاحب الفتوح والردة، يروي عن هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، وجابر الجعفي، وخلق كثير من المجاهدين، كان أخبارياً عارفاً، قال ابن حبان: اتهم بالزندقة، قال ابن عدي: عامة حديثه منكر، ميزان الاعتدال للذهبي (٢ / ٢٥٥).

بن يحيى بن سعيد^(١)، وهشام بن محمد الكلبي^(٢)، وهؤلاء مقدوح في عدالتهم ومطعون في أخبارهم.

فأخبار أهل الردة متفاوتة فيما بينها، وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك بقوله: (فمن ذلك ما هو متواتر عند الخاصة والعامة، ومنه ما نقله الثقات، ومنه أشياء مقاطيع ومراسيل يحتمل أن تكون صدقاً وكذباً، ومنه ما يعلم أنه ضعيف وكذب)^(٣).

وترجع عوامل الردة إلى عدم تغلغل الإيمان في القلوب لتأخر إسلامهم و بسبب قصر الزمن الذي تم فيه تبليغ الدعوة، وطبيعة الأعراب المتسمة بالجفاء مع ضعف المستوى الثقافي، مما جر إلى ضعف فقه تعاليم الدين وخاصة بالنسبة للزكاة التي اعتبرها البعض ضريبة مهينة، واستثقلوا الصلاة والعبادات الأخرى، كما أن العصية القبلية لازالت عميقة في تلك البلاد النائية و وسط نجد، حيث ترى القبائل أنها أضخم عدداً و عدة من قريش وبالتالي فهي أولى بالزعامة، وعلى الأقل لم تكن ترضى بالخضوع لحكم قريش، وقد اعتمدت الدولة الإسلامية على سند قوي من القبائل و الأفراد الذين ثبتوا على الإسلام في قمع الردة. ولعل ثبات أهل المدينة ومكة والطائف بأكملهما على الإسلام يعود إلى أن سكان هذه المدن الثلاثة نالوا حظاً من التربية الإسلامية والتوجيهات النبوية أكثر من سواهم، وتعرفوا على تعاليم الإسلام عن كثب، وتفقهوا في الدين.

(١) هو لوط بن يحيى، أبو مخنف، أخباري تالف، لا يوثق به، قال ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم، مات قبل السبعين ومائة، ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩).

(٢) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر، أبو المنذر الكلبي النسابة العلامة الإخباري الحافظ، وفيه رفض، قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه، توفي ابن الكلبي سنة أربع ومائتين، تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢١١).

(٣) منهاج السنة النبوية (٨/ ٣٢٥).

وهنا اذكر بعض الروايات المكذوبة والمنقولة في كتب الرافضة المعتمدة والتي تبين حقيقة نظرهم إلى الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ ومنها ما يلي:

ذكر القمي تحت تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ نزل كتاب الله يخبر أصحاب الرسول - ﷺ - فقال: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي لا يكون اختبار، ولا يمتحنهم الله بأمر المؤمنين رضي الله عنهم (فعموا وصموا) قال حيث كان رسول الله - ﷺ - بين أظهرهم (ثم عموا وصموا) حين قبض رسول الله - ﷺ -، وأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليهم فعموا وصموا فيه حتى الساعة^(١).

وروى المجلسي في بحاره عن أبي جعفر أنه قال: (هلك الناس كلهم بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان) وبادر لإزالة الاشكال فقال: (من أن يرتدوا عن الاسلام أي عن ظاهره والتكلم بالشهادتين فإبقاؤهم على ظاهر الإسلام كان صلاحاً للأئمة ليكون لهم ولأولادهم طريقاً إلى قبول الحق وإلى الدخول في الإيمان في كرور^(٢) الأزمان وهذا لا ينافي ما مر وسيأتي أن الناس ارتدوا إلا ثلاثة لأن المراد فيها ارتدادهم عن الدين واقعا وهذا محمول على بقائهم على صورة الإسلام وظاهره وإن كانوا في أكثر الأحكام الواقعية في حكم الكفار^(٣)).

وروى المفيد في الاختصاص عن عبد الملك بن أعين: (أنه سأل أبا عبد الله فلم يزل يسأله حتى قال: فهلك الناس إذاً، فقال: أي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون أهل الشرق والغرب، قال: إنها فتحت على الضلال، أي والله هلكوا إلا ثلاثة نفر سلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد ولحقهم عمار، وأبو ساسان الأنصاري، وحذيفة وأبو عمرة فصاروا سبعة^(٤)).

(١) تفسير القمي (١/ ١٧٥).

(٢) جمع كَرَّ، وهو عود الأزمان مرة بعد أخرى، ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٨٢).

(٣) بحار الأنوار (٢٨/ ٢٣٦).

(٤) الاختصاص ص ٦.

وهؤلاء الثلاثة والسبعة غير متفق عليهم أيضاً ويبدو أنه اختلاف بين الفرق الرافضية في تعيين أحادهم وكل يضع من جهته أو لأن من طبيعة الكذب الاختلاف والتناقض ، ولسائل أن يسأل هؤلاء الرافضة وأين ذهب أهل بيت النبي **بمن** فيهم عباس عم النبي، وابن عباس ابن عمه، وعقيل أخ لعلي، وحتى علي نفسه، والحسنان سبطا رسول الله؟

وروى الكليني عن حمران بن أعين قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفيناهما؟ فقال : ألا أحدثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا وأشار بيده ثلاثة..... الخ) ^(١) وأكثر من ذلك قال الكليني: (إن الناس يفرعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا، إن الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت فلم تعتزل بخير جعلوا يبائعون سعداً وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية يا سعد! أنت المرجأ، وشعرك المرجل، وفحللك المرجم) ^(٢) ومعناه أنه لم يبق ولا واحد، لا أبو ذر ولا سلمان ولا المقداد..

ولو أنهم كانوا مرتدين لكان اللازم أن يذهب الله بهم ويستبدلهم بقوم مؤمنين يجاهدون في سبيل الله كما نص عليه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٣).

يقول الفخر الرازي في تفسيره عن هذه الآية: «ولنا في هذه الآية مقامات: المقام الأول: أن هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية من

(١) أصول الكافي (٢/ ٢٤٤).

(٢) المصدر نفسه (٨/ ٢٩٦).

(٣) سورة المائدة آية ٥٤.

الروافض ، وتقرير مذهبهم أن الذين أقروا بخلافة أبي بكر وإمامته كلهم كفروا وصاروا مرتدين ، لأنهم أنكروا النص الجلي على إمامة علي عليه السلام فنقول : لو كان كذلك لجاء الله تعالى بقوم يحاربهم ويقهرهم ويردهم ويبطل شوكتهم ، فلو كان الذين نصبوا أبا بكر للخلافة كذلك لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرهم ويبطل مذهبهم ، ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد فإن الروافض هم المقهورون الممنوعون عن إظهار مقالاتهم الباطلة أبدا منذ كانوا علمنا فساد مقالاتهم ومذهبهم ، وهذا كلام ظاهر لمن أنصف ^(١).

المبحث الأول: إلزامات الطعن في القرآن الكريم

لقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٢) ، فحفظه يتضمن نقله لنا كما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد انتقلت الأمانة من الله جل وعلا إلى جبريل ومنه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم انتقلت منه على يد الأصحاب إلى العالمين.

ولا بد أن تكون هذه الحلقات الثلاث جميعاً أمانة مؤتمنة، وإلا لم تصل الأمانة إلى غايتها.

لهذا صرح الله تعالى بتوثيق أول الأماناء جبريل فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ ^(٣).

وحفظ ما ينزل به من الوحي من تسلط شياطين الجن فقال: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴾ ^(٤).

(١) التفسير المحيط (١٢ / ٢٠).

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) سورة التكوين آية ١٩.

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٠.

وصرح بتوثيق الأمين الثاني رسوله محمد ﷺ وأقام الدلائل على صدقه فقال: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ (١٠)﴾ (١).

كذلك صرح بتوثيق الأمين الثالث: وهم الصحابة ﷺ فقال: ﴿ثُمَّ دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢). فنصرهم على شياطين الإنس، فاستخلفهم في الأرض، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا.

فما الحكمة أو الفائدة من أن ترسل أمانة إلى شخص بيد رجل أمين يسلمها إلى آخر ليكون الوسيط الأخير -وبعلمك- غير أمين، يستولي هو عليها فلا يوصلها كما استلمها؟!.

وهل تكون أنت قد أدت ما عليك من أمانة تجاه ذلك الشخص المطلوب إيصال الأمانة إليه ما لم يكن الوسيط الأخير أميناً أيضاً؟ وإلا فأنت ملزم بإعادة الكرة مع آخرين أمناء أقوياء حتى تصل الأمانة إلى ذلك الشخص لتبرئ ذمتك أمامه.

هذه صورة طبق الأصل لما يدعيه الشيعة على الله جل وعلا حين طعنوا في صحابة رسوله ﷺ فالصحابه ﷺ وسيط الأمانة بعد جبريل بين الرسول وبين الناس! وبناءً على ما ذكر من تزكية الله للصحابة في كتابه وعلى ما علم من نقل

(١) سورة النجم آية ١.

(٢) سورة الفتح آية ٢٩.

الصحابة ﷺ لكتاب الله تعالى وتبليغهم لمن بعدهم تتضح اللوازم التالية:

النوع الأول: اللازم العلمي.

أن ما ذكره الله من تزكية الصحابة ورضاه عنهم، وما ذكره الله من حفظ كتابه من عبث العابثين ومن إفساد المفسدين، ومعلوم أن كتاب الله ما وصل إلينا إلا عن طريق الصحابة ﷺ، ويلزم من هذا الشهادة بإيمان هؤلاء الصحابة وعدالتهم وأمانتهم في تبليغ كتاب الله عز وجل.

النوع الثاني: اللازم الجدلي، ويتبين من وجهين:

الوجه الأول: شهادة الله عز وجل بأن القرآن محفوظ لا يأتيه الباطل أبداً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (١).

لازمه تكذيب الرافضة في دعواهم تكفير الصحابة، فإن تبليغهم كتاب الله عز وجل على وجهه الصحيح وعدم التعرض له بتغيير في ألفاظه ولا تبديل في معانيه دلالة على حسن إيمانهم، ولو لم يكن كذلك ما شهد الله لهذا الكتاب بهذا الحفظ (٢).

الوجه الثاني: إن قبول أمة محمد ﷺ لكتاب الله تعالى وعدم ظهور من يقدرح في شيء منه يلزم منه تكذيب الرافضة في قدهم إيمان الصحابة ﷺ والحكم بردتهم، فقد روى الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ» (٣). فلو أنهم كفار أو مرتدون لم يكن لما نقلوه قبول في الأمة.

(١) سورة فصلت: ٤١ - ٤٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢١ / ٤٨٠).

(٣) سنن الترمذي (٤ / ٤٦٦) برقم (٢١٦٧) باب لزوم الجماعة، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١ / ٣٧٨) برقم (١٨٤٨).

النوع الثالث: لازم المذهب، ويتبين من أوجه متعددة:

الوجه الأول: إن القدح في عدالة الصحابة رضي الله عنهم وإيمانهم يستلزم القدح في القرآن كله ووجوب رده كله وهذا لم يقل به أحد حتى الرافضة فإنهم قالوا بنقص القرآن ولم يردوا القرآن كله، وعلى هذا يلزم منه أن يرد الرافضة القرآن كاملاً، ولما لم يردوا القرآن كله علم أن دعواهم كاذبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقاً وعلماً وعملاً وتبليغاً فالطعن فيهم طعن في الدين موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع فإنما كان قصده الصد عن سبيل الله وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله ولهذا كانوا يظهرون ذلك بحسب ضعف الملة) ^(١).

ويقول أيضاً: (وأما الرافضة فيطعنون في الصحابة رضي الله عنهم ونقلهم وباطن أمرهم الطعن في الرسالة) ^(٢).

الوجه الثاني: إن القول بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا منافقين أو أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ يلزم منه أن الدين الذي وصل إلينا كله باطل؛ لأنه وصل إلينا عن طريقهم. فطعنهم في الصحابة رضي الله عنهم يوجب (إبطال الدين والشك فيه وتجويز كتمان ما عورض به القرآن وتجويز تغيير القرآن) ^(٣).

وهذا هو معنى ما ذكره أبو زرعة الرازي رحمته الله في قوله: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون

(١) منهاج السنة النبوية (١/١٨).

(٢) المرجع السابق (٣/٤٦٣).

(٣) رسالة في الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤.

أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم الزنادقة^(١).
والمقصود أن طعنهم في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يستلزم الطعن فيما نقلوه من
الكتاب والسنة وفي ذلك إبطال لدين الله وشريعته إلا أن طعنهم بإحدى طريقتين:
إما أن يكون في القرآن الكريم مباشرة كما في قولهم بالتحريف، وكما هو
صنيعهم عندما يسمعون الحق فتجد الواحد منهم يشمئز قلبه عند قراءة الآيات
التي تنشي على الصحابة عليهم السلام، فإذا سمع ذلك قامت قيامته واعتقد أن هذا صنع
أعداء أهل البيت وحاشا أهل البيت أن يعادون صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.
وإما أن يكون طعنهم في القرآن الكريم غير مباشر وذلك بالطعن في الناقلين
وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الوجه الثالث: إن الطعن في إيمان الصحابة عليهم السلام يلزم منه تكذيب القرآن الكريم
فإنه أثنى عليهم ورضي عنهم ووعدهم بجنان تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها أبداً وهذا يقتضي علمه سبحانه وتعالى بإيمانهم وثباتهم عليه ووفاتهم عليه
فلو قيل بردتهم ونكوصهم على أعقابهم لاستلزم وصف الله عز وجل بالجهل
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فكيف يجوز أن يرضى الله عز وجل عن أقوام
ويمدحهم وهو يعلم أنهم سيرتدون على أعقابهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.
وإن الله تعالى عدل الصحابة عليهم السلام وشهد لهم بالإيمان، وبشرهم بالجنة،
وأعلن رضاه عنهم.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢).

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٦٧.

(٢) سورة التوبة: ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢).

وفي هذا المعنى أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (عن ابن عباس رضي الله عنه) قال: أمر الله بالاستغفار لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم أنهم يقتتلون (٣). قال ابن حزم - رحمته الله -: «ونص القرآن بأن الله - تعالى - قد رضي عنه وعن أصحابه الذين بايعوا تحت الشجرة، فو الله ما يبطل هذا كله ذنب من الذنوب غير الردة عن الإسلام فقط، وقد أعاده الله - تعالى - منها برضاه عنه» (٤). والقدر في الصحابة رضي الله عنهم والحكم بردتهم منه رد هذه الآيات والإعراض عنها.

المبحث الثاني: إلزامات قتال الصحابة رضي الله عنهم للمرتدين

لقد اختار الله أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم لقتال المرتدين، وهم المصداق لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (٥).

يقول الحسن البصري - رحمته الله -: «هذا والله أبو بكر وأصحابه» (٦). ويقول الضحاك - رحمته الله -: «هو أبو بكر وأصحابه. لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام» (٧).

(١) سورة الحديد ١٠.

(٢) سورة الفتح: ١٨.

(٣) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٠)، الآجري في الشريعة (٥/ ٢٤٩٢) برقم (١٩٨٠).

(٤) المحلى بالآثار (٧/ ٥٥١).

(٥) سورة المائدة: ٥٤.

(٦) تفسير الطبري (١٠/ ٤١١).

(٧) المصدر السابق (١٠/ ٤١٢).

وعن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾، الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه. فكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحياء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله ^(١).

فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين قاتلوا أهل الردة، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحرهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على رדתه ^(٢).

وللوقوف على حقيقة الردة فقد اختلف العلماء من أهل السنة والجماعة في حقيقة الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهل كان من بينهم أحد من الصحابة المعروفين عليهم السلام.

قال الخطابي ^(٣): (لم يرد من الصحابة عليهم السلام أحد وإنما ارتد قومٌ من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين) ^(٤).

وقد رأى الصحابة أن الجزيرة العربية قد ارتدت بشكل كبير، ورأوا أيضاً أن المدينة المنورة العاصمة أصبحت خالية تقريباً من الجنود، وذلك عندما كان جيش أسامة في الشام، ورأوا كذلك أن هناك بعض القبائل القريبة من شمال المدينة قد أعلنت ردتها، وهي في ذات الوقت علمت بخروج جيش المدينة إلى الشام،

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٥٢).

(٢) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، إبراهيم الرحيلي (ص: ٢٣٠).

(٣) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي البستي فقيه ومحدث لغوي أخذ الفقه عن القفال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة، وسمع الحديث من ابن الأعرابي بمكة وغيره سماه بعض المترجمين له أحمد، وهو غلط، وله من الكتب شرح الأسماء الحسنی، وشرح لصحيح البخاري، مات في بست سنة ٣٨٨ هـ. انظر طبقات الشافعية ٢/ ٢١٨، ومعجم المؤلفين ٤/ ٧٤.

(٤) فتح الباري (١١/ ٣٨٥).

وكانت هذه القبائل قد أرسلت رسولاً مرتداً هو عيينة بن حصن الفزاري^(١) ومعه الأقرع بن حابس^(٢)؛ ليفاوضا المسلمين في المدينة في أن يقبل أبو بكر منهم الصلاة، ويرفع عنهم الزكاة، في مقابل أن يرفع المرتدون أيديهم عن المدينة. وفي هذا الجو المشحون جاء الصحابة رضي الله عنهم إلى أبي بكر يعرضون عليه قبول طرح عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، بل إعطاءهما بعض المال؛ وذلك لتحبيدهما، وتخفيف ضغط الأزمة، لكن الصديق كان له رأي آخر وهو أن يقاتلهم، وعارض عمر بن الخطاب وباقي الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر في قتال المرتدين، وكان عمر يتكلم عن تلك الطائفة من المسلمين التي ترفض دفع الزكاة فقط، ولم تترك الإسلام كُليّة، فهو يعارض أبا بكر في قتالهم؛ لأنهم لم ينكروا الألوهية ولا الرسالة، أما من ارتدّ وادّعى النبوة، وقاتل المسلمين، وأنكر نبوة الرسول، فهو متفق معه على أنهم مرتدون.

فقال الصديق رضي الله عنه: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه»^(٣). ولما رأى الصحابة رضي الله عنهم إصرار أبي بكر على قتال المرتدين ومانعي الزكاة،

(١) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويّة بالجيم، مصغراً، ابن لوزان بن ثعلبة بن عدي فزارة الفزاري، أبو مالك، يقال: كان اسمه حذيفة فلقب عيينة، لأنه كان أصابته شجرة فجحظت عيناه، أسلم قبل الفتح، وشهداها، وشهد حنيناً، والطائف، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني تميم فسبى بعض بني العنبر، ثم كان ممن ارتدّ في عهد أبي بكر، ومال إلى طليحة، فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤ / ٦٣٨).

(٢) هو الأقرع بن حابس بن عقّال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدرامي، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه، قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بني، الإصابة في تمييز الصحابة (١ / ٢٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٦ / ٢٦٥٧) برقم (٦٨٥٥) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم في الصحيح (١ / ٣٨) برقم (٣٢).

ناقشوه في المشكلة الثانية وهي الجيوش التي ستحارب هؤلاء المرتدين؟! ولكن أبا بكر يردُّ عليهم بكلمات خالدة، تكتب بحروفٍ من نور، قال: «لأقاتلهم وحدي حتى تنفرد سالفتي»^(١)، ودخلت كلمات أبي بكر في قلوب الصحابة عليهم السلام فلم تترك شكاً، ولا تحييراً إلا أزالته.

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: اللازم العلمي فإن قتال الصحابة عليهم السلام للمرتدين وبذل أنفسهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمة الله، ومن أجل نصر دين الله، وعدم الركون للعالمية وزينتها، وعدم الجبن والخوف عن نصر دين الله يستلزم الشهادة لهؤلاء الصحابة عليهم السلام بحسن صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إيمانهم بالله عز وجل.

ثانياً: اللازم الجدلي يتضح من عدة أمور وهي:

١- إن الصحابة عليهم السلام بقتالهم هؤلاء المرتدين يرد على الرافضة؛ لأن قتال أهل الردة يلزم منه أنهم غير مرتدين، إذ لو كانوا كذلك لكانوا أعواناً لأهل الردة ولما حاربوهم.

٢- إن نصر دين الله والقتال من أجله يلزم منه الشهادة لهم بمحبة هذا الدين ومحبة نشره، وهذا يتنافى مع اتهامهم بالنفاق كما تزعم الرافضة.

٣- إن القتال ضد المشركين مهلكة، ولا يتعرض لها إلا من تشرب قلبه بمحبة الله رسوله، ويلزم من هذا الرد على الرافضة ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- إن إصرار أبي بكر على قتال المرتدين وموافقة الصحابة عليهم السلام له في ذلك يلزم

(١) السالفة: أعلى العنق، وكنى بانفرادها عن الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت، ينظر: العين للفراهيدي (٧/ ٢٥٨) والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٩٧٤) برقم (٢٥٨١) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

منه أن إعلاء كلمة الله يهيمه ويهم الصحابة عليهم السلام ، وهذا يتنافى مع ما يدعيه الرافضة من ردتهم ونفاقهم.

٥- إن فرح الصحابة عليهم السلام بالنصر على أهل الردة يلزم منه الرد على قول الرافضة بردتهم ويلزم منه نفي النفاق عنهم؛ فإن الفرح بإعلاء كلمة الله لا تكون إلا من مؤمن لا من منافق.

ثالثاً: لازم المذهب حيث يقول الفضل الطبرسي في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (اختلف فيمن عنوا به على أقوال فذكر أربعة أقوال وذكر في آخرها أنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة ثم استدل على ذلك من حديث (الارتداد) فقال (ورابعها أنهم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة عن علي ومثله عن قتادة أنهم الذين كفروا بالارتداد، ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتي إذا رأيتهم اختلفوا دوني فلاقولن أصحابي أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعد إيمانهم ارتدوا على أعقابهم القهقري، ذكره الثعلبي في تفسيره فقال أبو أمامة الباهلي: هم الخوارج ويروي عن النبي أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...) (١)، فهذا هو تفسير الطبرسي في حديث الحوض أنهم أهل الأهواء كالخوارج ونحوهم ، ولم يشر ولو مجرد إشارة إلى أنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا الكاشاني عند تفسيره للآية السابقة يستدل من خلال هذا الحديث على أنهم من أهل الأهواء فيقول (في المجمع عن أمير المؤمنين (ع) هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه الأمة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(١) تفسير مجمع البيان (٢/ ٣٦٠).

والذي نفسي بيده ليردن على الحوض ممن صحبني حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن أصحابي أصحابي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أعقابهم القهقري، ذكره الثعلبي في تفسيره^(١).

المبحث الثالث: إلزامات عدم تضييع الصحابة عليهم السلام لجهادهم وتعبهم

إن الناظر في سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى بطولاتهم ونصرتهم لدين الإسلام والدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله، وتضحيتهم بأموالهم وأنفسهم وأولادهم في سبيل ذلكم، وما ذلكم إلا دليل على إيمانهم، وصلاح سريرتهم، وصلابة في دينهم مع أنهم لا يعلمون أنهم سيملكون الأرض ويمكنون فيها.

ولو كان في قلوبهم مرض أو شك وريبة لم يكن منهم هذه التضحية وهذا التعب، وخصوصاً في بداية الإسلام، وأنه لا يعلم انتصار الإسلام في ذلك الحين. وليس من السهل علينا أن نتصور صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله - الذين فدوا الرسول بأرواحهم وأموالهم وهجروا في سبيل الإسلام أو طانهم وأقرباءهم، وامتزج حب الله وخوفه بدمائهم ولحومهم: أن نتصور هؤلاء الأصحاب يقدمون على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله -^(٢)، أو أنهم يرتدون عن دينهم.

وإن الحال التي كان عليها الصحابة عليهم السلام تستلزم إيمانهم ونصرهم للحق، والصحابة عليهم السلام ولا سيما المهاجرين منهم قد عانوا أشد العناء فقد كان الإسلام في ذلك الوقت قبل الهجرة عددهم قليل، والكفار مستولون على عامة الأرض وقد وجدوا من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله وهم متجرعون لمرارة البلوى وفارقوا الأوطان وهجروا الخلان محبة لله ورسوله وجهاد في سبيله^(٣).

(١) تفسير الصافي (١/ ٣٩٠).

(٢) السنة ومكانتها للسباعي (١/ ٧٦).

(٣) منهاج السنة النبوية (٧/ ٤٥٧).

بل إنه وإن لم يرد في بيان إيمانهم وعدالتهم شيء من النصوص لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين لكانت دليلاً قاطعاً يستلزم عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم وأنهم أفضل من المعدلين والمزكيين الذين يأتون من بعدهم أبد الآبدين^(١). فالمهاجرون والأنصار هم الذين قاتلوا مع رسول الله في غزواته كلها، وأخبر الله بتوبته عنهم في آخر غزوة غزوها مع رسول الله وهي غزوة تبوك وبذلوا أعلى ما يملكون في نصرته هذا الدين إلى أن توفي رسول الله فكيف لعاقل أن يتصور تضييعهم لجهادهم وتعبهم ويرتدون بعد ذلك كله.

وعن أنس بن مالك، قال: غاب عمي أنس بن النضر^(٢) عن قتال أهل بدر، فقال: « غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ، وأما والله لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء لأصحابه، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء للمشركين ثم تقدم، فلقية سعد بن معاذ، فقال: أين يا سعد؟ وها لريح الجنة، إني لأجد ريحها دون أحد قال سعد: فلم أستطع ما صنع، مضى حتى استشهد قال: قال أنس: فما عرفناه إلا ببنانه؛ لأنه مثل به وجدنا فيه بضعا وثمانين أثراً من ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بسهم، فكنا نتحدث أن فيه وفي أصحابه نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٣)»^(٤).

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٦٦.

(٢) هو أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار الأنصاري، عم أنس بن مالك الأنصاري قتل يوم أحد شهيداً، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ١٠٨).

(٣) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٤) السير لأبي إسحاق الفزاري (ص: ٢١٨).

وأصيب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ^(١) في معركة أحد بضعاً وسبعون أو أقل أو أكثر، بين طعنة، ورمية، وضربة، وقد قطعت إصبعه.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: «كان ذاك يوماً كان كله يوم طلحة» ^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً * * على الإسلام ما بقينا أبداً
والنبي يجيئهم ويقول: «اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره، فبارك في الأنصار والمهاجرة» ^(٣).

وعن سهل بن سعد قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتادنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخره . فاغفر للمهاجرين والأنصار» ^(٤).

وعن يعلى بن أمية رضي الله عنه قال: غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة فكان من أوثق أعمالي في نفسي» ^(٥).

(١) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وأبلى طلحة يوم أحد بلاءً حسناً، ووفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت إصبعه، وضرب الضربة في رأسه، وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استقل على الصخرة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٤).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٠٤٣) برقم (٢٦٨٠) كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ص (٤/ ١٥٠٤) برقم (٣٨٧٢) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٧٩٠) رقم الحديث (٢١٤٦) باب الأجير في الغزو.

وقال النبي ﷺ: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهره عثمان^(١).
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا من شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنتقطع حتى أن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنتقطع حتى إن الرجل ينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده»^(٢).

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، في قوله - عز وجل - ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾^(٣) قال: «خرجوا في غزوة تبوك: الرجال والثلاثة على بعير، وخرجوا في حر شديد فأصابهم يوماً عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها، ويشربوها ماءها، فكان ذلك عسرة من الماء، وعسرة من النفقة، وعسرة من الظهير»^(٤).

وعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد»^(٥).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٣٥١) برقم (٢٦٢٦) باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٥٣) رقم الحديث (١٠١) والبخاري في مسنده (١/ ٣٣١) رقم الحديث (٢١٤) والحاكم في المستدرک (١/ ٢٦٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) سورة التوبة: ١١٧.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٢٢٧).

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح (٦/ ٧٠) برقم (٥٠٨٦).

(٦) أخرجه البخاري في الصحيح (٤/ ١٥١٣) برقم (٣٨٩٩) باب غزوة ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾^(١) وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح^(٢).

وأين أصحاب النبي - ﷺ - الذين قاموا بأمر الدين بعد نبينهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين، وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار، من أولئك المنقلين على أدبارهم^(٣).

وقد قال الخوئي واصفا الصحابة عليهم السلام وجهادهم: (إن القرآن هو الذي نور قلوب أولئك العاكفين على الأصنام، المشتغلين بالحروب الداخلية والمفاخرات الجاهلية، فجعلهم أشداء على الكفار رحماء بينهم. يؤثر أحدهم حياة صاحبه على نفسه، فحصل للمسلمين بفضل الاسلام من فتوح البلدان في ثمانين سنة ما لم يحصل لغيرهم في ثمانمائة سنة).

ومن قارن بين سيرة أصحاب النبي وسيرة الأنبياء السابقين علم أن في ذلك سرا إلهيا، وأن مبدأ هذا السر هو كتاب الله الذي أشرق على النفوس، وطهر القلوب والأرواح بسمو العقيدة، وثبات المبدأ.

انظر إلى تاريخ الحواريين، وإلى تاريخ غيرهم من أصحاب الأنبياء تعلم كيف كانوا. كانوا يخذلون أنبياءهم عند الشدائد، ويسلمونهم عند خشية الهلاك!! ولذلك لم يكن لأولئك الأنبياء تقدم على طواغيت زمانهم بل كانوا يستترون عنهم بالكهوف والأودية. وهذه هي الخاصة الثانية التي تفضل القرآن على سائر المعجزات^(٤).

(١) سورة آل عمران ١٧٢.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٢١).

(٣) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، إبراهيم الرحيلي (ص: ٢٥٦).

(٤) البيان في تفسير القرآن ص ٤٥.

وقال أيضا: (فإن اهتمام النبي - ﷺ - بأمر القرآن بحفظه ، وقراءته ، وترتيل آياته ، واهتمام الصحابة رضي الله عنهم بذلك في عهد رسول الله - ﷺ - وبعد وفاته يورث القطع بكون القرآن محفوظا عندهم ، جمعا أو متفرقا ، حفظا في الصدور ، أو تدوينا في القراطيس ، وقد اهتموا بحفظ أشعار الجاهلية وخطبها ، فكيف لا يهتمون بأمر الكتاب العزيز ، الذي عرضوا أنفسهم للقتل في دعوته ، وإعلان أحكامه ، وهجروا في سبيله أوطانهم ، وبذلوا أموالهم ، وأعرضوا عن نسائهم وأطفالهم ، ووقفوا المواقف التي يبضونها وجه التاريخ)^(١). ولا شك أن الدافع لذلك هو إيمانهم بالله ورسوله وثقتهم برهيم وبيدنيهم.

واذكر بعض الروايات في كتب الرافضة والتي تدل على فضل الصحابة رضي الله عنهم وعدم ردتهم ومن ذلك:

وعن موسى بن جعفر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أمانة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يؤعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يؤعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها ما دام فيكم من قد رأي»^(٢).

وعن موسى بن جعفر رضي الله عنه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (القرون أربع: أنا في أفضلها قرناً، ثم الثاني، ثم الثالث، فإذا كان الرابع التقى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فقبض الله كتابه من صدور بني آدم، فيبعث الله ريحاً سوداء، ثم لا يبقى أحد سوى الله تعالى إلا قبضه الله إليه)^(٣).

(١) البيان في تفسير القرآن ص ٢١٦.

(٢) بحار الأنوار (٢٢ / ٩ ، ٣).

(٣) بحار الأنوار (٢٢ / ٩ ، ٣).

ودعا النبي ﷺ بالخير والرحمة لمن سيخلفه من بعده، من غير تعيين منه على معين بالإمامة، وجعل صفة من سيخلفه سيره على هديه ﷺ، للدلالة على اجتماع كلمة الصحابة رضي الله عنهم على من سيختارونه من بعده فعن الرضا رضي الله عنه عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي» - ثلاث مرات - قيل له: يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي ويروون أحاديثي وسنتي، فيسلمونها الناس من بعدي»^(١).

وقال علي رضي الله عنه في وصف جهاد الصحابة رضي الله عنهم (ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللّقم^(٢)، وصبراً على مضض^(٣) الألم، وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان^(٤) أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جراحه^(٥) ومتبوءاً أوطانه، ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم - يعني أصحابه - ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحتلبنها دماً، ولتبعنهن ندماً)^(٦).

(١) المصدر السابق (٢/ ١٤٤).

(٢) هو معظم الطريق، أو وسطه، ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ١٤٧)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ١١٥٨).

(٣) هو ما يجده الإنسان في قلبه من ألم الحزن، جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (٢/ ١٠١١).
(٤) من خلس يخلص، والقرنان يتخالسان، أيهما يقدر على صاحبه، ويناhez كل واحد منهما قتل صاحبه، والتخالس هو الصراع، ومحاولة كل من الشخصين قتل صاحبه، ينظر: العين للفراهيدي (٤/ ١٩٧).

(٥) من جرن، ويُقال ألقى فلان على هذا الأمر جراحه ووطن نفسه عليه، وضرب الإسلام بجراحه ثبت واستقر، المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء (١/ ١١٩).

(٦) نهج البلاغة: (ص: ٩١)، بحار الأنوار: (٣٢/ ٥٤٩).

ويقول في مدح أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «وكان أفضلهم في الإسلام كما زعمت وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق والخليفة الفاروق ولعمري أن مكانهما في الإسلام لعظيم وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد رحمهما الله وجزاهما بأحسن ما عملا»^(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدي أحدا غير سعد سمعته يقول (ارم فذاك أبي وأمي) . أظنه يوم أحد»^(٢).

وأما علي بن الحسين زين العابدين - رحم الله - فكان يذكر أصحاب رسول الله ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد، وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا على دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ علقوا بعروته، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في قرابته، اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم، وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه، ومن أكثره في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يشنهم ريب في بصيرتهم، ولم يخلجهم شك في قفو آثارهم

(١) شرح نهج البلاغة للميثم ١/ ٣١.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٥ / ٢٢٨٧) برقم (٣٥١٩) باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري وبنو زهرة أخوال.

والإتتمام بهداية منارهم، مكافئين وموازين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يهتمونهم فيما أدوا إليهم ^(١).

وهنا نخرج بأنواع الإلزامات المتعددة:

أما الإلزام الأول فهو الإلزام العلمي: وهو أن مناصرة الصحابة عليهم السلام للنبي صلى الله عليه وآله منذ بداية دعوته، ولم يكن يظهر شيء مادي للنصر أو التمكين، والإسلام في ذلك الوقت ضعيف، سوى إيمان الصحابة عليهم السلام بالغيب وبما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله، وبذلهم أموالهم وأنفسهم من أجل تحقيق ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله من النصر والتمكين، كل ذلك يلزم منه الشهادة بإيمان الصحابة عليهم السلام.

أما الإلزام الثاني فهو الإلزام الجدلي، ويتبين من:

الأول: إن جهاد الصحابة عليهم السلام المشركين منذ بداية دعوة النبي صلى الله عليه وآله وعند ضعف الإسلام وقلة المعين يلزم منه تكذيب الرافضة في اتهامهم للصحابة بالنفاق، فإن النفاق لا يكون في حال ضعف من ينافقوا من أجله، وإنما يكون في حال قوته.

الثاني: إن الجهاد في سبيل الله وذل النفس والمال رخيصة في سبيل الله والتعرض لإزهاق النفس وجراح البدن لا يكون إلا من أجل نصرة الدين، إذ أن ازهاق النفس وتعريضها للجراح لا يكون إلا لأمر:

١- دين يعتقده، فيعتقد أن صلاح دنياه وآخرته فيه، فهما بذل من أجله يعتبره رخيصة في سبيله.

٢- مال وجاه أو هوى متبع يرى فيه عزاً لا يتحصل بغير تعريض النفس للأذى، وقوة طلبه طغت في قلبه، لذا أضحي من أجله.

٣- الدفاع عن النفس والعرض والمال، فيعرض نفسه للهلكة حتى يذب عنهم.

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعلي الصلابي (٢/ ٩٦٩) نقلاً عن صحيفة كاملة لزين العابدين.

والناظر في هذه الأمور يجد أن الصحابة عليهم السلام لم يسلخوا باب قتال المشركين إلا من أجل نصره الدين الذي يعتقدوه، وهذا يلزم منه كذب الرافضة في نسبة النفاق أو الردة أو الكفر لهؤلاء الصحابة.

الثالث: إن من بذل نفسه وماله في سبيل الله مرضاة الله عز وجل ينبغي من فعله هذا أن يجازيه الجنة، وهو عالم بما أعدّه الله له في الجنة من النعيم المقيم، وينبغي أن ينقذه الله من نار جهنم وهو عالم بما أعدّه الله من العذاب في نار جهنم، لا شك أنه لن يضيع هذا البذل وهذا التعب وهذا القتال في آخر عمره بردة، إذ لو كان شاكاً ما بذل، ولو كان لم يوقن بما أعدّه الله له ما ضحى، ولو أجزنا وقوع ذلك في شخص أو شخصين، يستحيل وقوعه من عامة الصحابة، ويلزم من هذا كذب الرافضة في دعواهم أن الصحابة ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله.

المبحث الرابع: الإنزامات أن القدح في الصحابة قدح في النبي صلى الله عليه وآله

إن القول بردة الصحابة عليهم السلام يستلزم الطعن في تربية النبي صلى الله عليه وآله لهم وتزكيتهم إياهم طيلة ثلاث وعشرين سنة، وذلك لكونه هو الذي علمهم وزكاهم ومدحهم وأثنى عليهم وأوصى بهم واختار منهم أصفياء وأصهار، ووصى أمته بهم وحذر من عداوتهم.

فإذا كانت دعوة النبي صلى الله عليه وآله وتربيته لأصحابه دامت ثلاث وعشرين سنة فلم ينتج منها إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة أو سبعة، فإن هذا يعني أن تربيته صلى الله عليه وآله أخفقت إخفاقاً لم يواجهه أي مصلح، ناهيك عن أنه لو قيل بنفاقهم في زمن النبي صلى الله عليه وآله للزم منه أشد الطعن في النبي صلى الله عليه وآله وذلك أنه قد عرف بالتواتر ملازمة الصحابة وخصوصاً الخلفاء الراشدين للنبي صلى الله عليه وآله ولم يقدح فيهم بل كان يثني عليهم وعلى هذا يلزم أن يكون صادقاً فيما قاله عنهم أو مدهناً لهم وحاشاه أن يكون كذلك صلى الله عليه وآله.

وعلى ذلك فإن الذين يسبون أصحاب رسول الله ﷺ معرضون للخطر العظيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (فصل في تفصيل القول في سب الصحابة رضي الله عنهم أما من اقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو أنه هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا لاشك في كفره بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره، وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم، وأما من سبهم سباً لا يقدر في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قله العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم، وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل خلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغليظ ولعن الاعتقاد وإما من جاوز ذلك إلى أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقله الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١) وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق وعامة الزنادقة إنما

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

يستترون بمذهبيهم وقد ظهرت لله فيهم مثلات وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات^(١).

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد أخبر أنه أيد نبيه بهم، وألف بين قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) **وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (٢).

فيتقرر من هذه الآية لازم علمي وهو الشاء على الصحابة عليهم السلام بأنهم تأييد من الله سبحانه وتعالى لنبيه، وأن ألفة تجمع قلوبهم تصديقا لكلام الله العالم بما تخفي الصدور.

وقال الإمام مالك وغيره رحمهم الله: «إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين»^(٣).

وقال الشعبي^(٤) لمالك بن مغول^(٥): «يا مالك! وفضلتهم اليهود، والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وقيل للرافضة: من شر

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٥٨٦.

(٢) سورة الأنفال آية ٢٢.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٧/ ٤٥٩).

(٤) اسمه عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي شعب همدان أبو عمرو، من الفقهاء في الدين وجلة التابعين، مات سنة خمس ومائة من الهجرة، وكان قد أدرك خمسين ومائة من الصحابة، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي (ص: ١٦٣).

(٥) هو مالك بن مغول بن عاصم بن غزية بن خراشة البجلي الإمام، الثقة، المحدث، أبو عبد الله الكوفي، من سادة العلماء، وتوفي بالكوفة في آخر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٣٦٥) و سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٧٤).

أهل ملتكم؟ قالوا: حوارى محمد»^(١).

ثانياً: إلزام جدلي متعلق باتهام الصحابة ﷺ بالنفاق وهو الطعن في النبي ﷺ لأنه قريهم ومكنهم وتزوج بناتهم بما جعلهم قريبين من مراكز القرار والقيادة ليحققوا مخططهم الانقلابي، وكان الأولى به أن يبعدهم ويتخذ التدابير والاحتياطات لدفع شرهم وكيدهم وخصوصاً مع زعمهم بأنه كان يعلم بنفاقهم وتأمرهم.

ويلزم من القدح في الصحابة ﷺ القدح بمقام الرسول ﷺ من عدة أوجه:

- ١- أنه استأمنهم على الدين وعلى الدولة الإسلامية، وكيف يستأمن أهل الردة على ذلك، ولا شك أن ذلك خيانة في الرسالة.
- ٢- أنه اتخذ منهم أصهاراً وأزواجاً، وهذا يلزم منه القدح فيه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه اتخذ المنافقين والمرتدين أصهاراً وأزواجاً، ويلزم منه تهاونه في مسألة الإيمان، وتهاونه في الاهتمام بدين الناس ومراعاة ذلك.
- ٣- عدم صلاحية الرسول للقيادة؛ لأنه لا يعرف التمييز في إيكال الأمور العظام إلى من يستحق.

وإن الله عز وجل حمى نبيه في مواقف كثيرة، وأخبره بالمغيبات، وهذا يلزم منه أمور:

- ١- أن الله عز وجل ترك نبيه ليقع في فتنة هؤلاء دون أن يحميه، وهذا يتنزه الله عنه، ويتنافى مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).
- ٢- وإما أن الله حذّره، وهو ترك أمر الله، وهذا يقدر في النبي ﷺ.
- ٣- أو أن الله ترك الأمر لاجتهاده وفهمه، وهذا يقدر في فهم النبي ﷺ وإدراكه.

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٣٣).

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

٤- إن مدح النبي ﷺ لهؤلاء، وهم على هذا الحال كما يزعم الرافضة يلزم منه أن النبي ﷺ مدح المنافقين والمرتدين، وهذا يقدر في جناب النبي ﷺ. وعلى فرض أن يقال إن النبي ﷺ لم يكن يعلم بحالهم، فهذا يلزم منه أمرين: الأول: إن النبي ﷺ ليس في كلامه شرع؛ لأنه قد يتكلم في الشرع على غير الحقيقة، وهذا قدح في النبي ﷺ وفي شرعه. الثاني: إن النبي ﷺ أخبر عن ذلك من غير علم ولم يأت من الله ما يبين خطأ هذا، وهذا يقدر في الشرع أيضاً.

ثالثاً: لازم المذهب فقد روي عن جعفر الصادق رضى الله عنه قوله: (كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً، ثمانية آلاف في المدينة، وألفان في مكة، وألفان من الطلقاء، ولم يرى فيهم قدرى ولا مرجى ولا حرورى ولا معتزلي ولا صاحب رأي، كانوا يكون الليل والنهار، ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير^(١) ^(٢)).

المبحث الخامس: الإنذارات ما حصل على أيدي الصحابة رضى الله عنهم من فتوحات وانتشار للإسلام

إن الله تعالى وعد المؤمنين بالعزة والتمكين في الأرض والاستخلاف فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١) وقد مكّن الله أصحاب رسول الله ﷺ في الأرض ونصرهم وأيدهم في مواطن كثيرة، وتحقق بأيديهم فتوحات كبيرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ

(١) وهو الخبز المخبوز من الشعير والسلت، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٢٨٦).

(٢) الخصال للصدوق ص ٦٤٠، بحار الأنوار (٢٢/ ٣٠٥).

(٣) سورة النور: ٥٥.

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾.

وبشر النبي ﷺ أمته بحصول هذا التمكين، عن عدي بن حاتم^(٢) قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال (يا عدي هل رأيت الحيرة^(٣)). قلت لم أرها وقد أنبت عليها قال (فإن طالت بك الحياة لترين الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله - قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى^(٤)). قلت كسرى بن هرمز؟ قال (كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالا وولدا وأفضل عليك؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم). قال عدي سمعت النبي ﷺ يقول «اتقوا النار ولو بشق تمره فمن لم يجد شق تمره فبكلمة طيبة». قال عدي فرأيت

(١) سورة التوبة: ٢٥ - ٢٦.

(٢) هو عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، مهاجري، يكنى أبا طريف، قدم عدي على النبي ﷺ في شعبان من سنة سبع، ومات بالكوفة سنة سبع وستين في أيام المختار، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٥٧).

(٣) الحيرة: بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، معجم البلدان (٢/).

(٤) هو كسرى بن هرمز ملك الفرس، كتب إليه رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتاب رسول الله ﷺ شققه، وقال: يكتب إلي هذا الكتاب وهو عبدي. ودعا عليه رسول الله ﷺ «اللهم مزق ملكه» فقتله ابنه شيرويه، ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣/ ٢٨٢).

الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم عليه السلام ^(١).

وقال عليه السلام: «**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحما ، أو قال ذمة وصهرا**» ^(٢).

وقد أنجز الله هذه الفتوحات للصحابة عليهم السلام ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وسقطت بأيديهم ممالك تلو الأخرى، وانتشر الإسلام بجهودهم في ربوع الأرض ومناكبها.

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ غير جزيرة العرب ولما توفي أكمل إظهار الدين في الخلافة الراشدة فقوض الله بهم عروش أهل الباطل وفتحوا البلاد.

ولا شك أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هم الذي قاتلوا المرتدين وقهروهم وفتحوا الأمصار وغلبوا فارس والروم وكانوا أزهّد الناس وعلي رضي الله عنه كان معهم.

بل أن كل مؤمن للصحابة رضي الله عنهم لهم فضل عليه إلى يوم القيامة وكل خير فيه الرافضة وغيرهم هو بركة الصحابة رضي الله عنهم، وخير الصحابة رضي الله عنهم تبع لخير الخلفاء فهم

كانوا أقوم لكل خير في الدين والدنيا، بهذا يتبين أن وعد الله حق لا يقع الخلف فيه وإن ما وقع لهم من النصر والعز والتمكين فهو لإيمانهم وعملهم الصالحات ^(٣).

ولم يقتصر انتشار الإسلام على أهل المدينة فحسب، بل قام بعض المسلمين من خارج مكة بتبليغ الدعوة إلى قبائلهم، كما فعل أبو ذر الغفاري والطفيل بن

عمر الدوسي رضي الله عنه، ولما قامت دولة الإسلام بالمدينة اهتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإرسال الدعوة إلى البوادي لدعوة القبائل رغم الأخطار التي كانت تحدق بالوفود، كما

حدث في الرجيع وبئر معونة، ولما كان عام صلح الحديبية وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٣/ ١٣١٦) برقم (٣٤٠٠) باب علامات النبوة في الإسلام.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٧/ ١٩٠) رقم الحديث (٦٥٨٦).

(٣) للاستزادة انظر منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٥).

الرسائل إلى ملوك وأمراء العالم في ذلك الوقت ، ثم كان فتح مكة عام (٨هـ) ، وتبعه دخول الطائف عام (٩هـ) ، وقد شكل هذا المحور مركز الثقل الإسلامي في حروب الردة .

وهذا يدل على تمكين الله لهم في الأرض دون بقية الأمم ، وفي زمن أبي بكر وعمر وعثمان عليهم السلام لم نرى أعظم من هذا التمكين فلو كانوا منافقين مرتدين لكان ما وعد الله به المؤمنين من التمكين غير حاصل بل لكان التمكين واقعا للمنافقين والمرتدين فيلزمهم إما وصف الله بالجهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أو إثبات إيمان الصحابة عليهم السلام الذين وقع لهم التمكين في الأرض والاستخلاف فيها . وفي هذه المسألة أنواع الإلزامات الثلاثة :

أما النوع الأول وهو الإلزام العلمي ، ويتبين كما يلي :

فإن فتوحات الصحابة عليهم السلام للبلدان وتمكين الله لهم في الأرض ودحر الكفر والكافرين يلزم منه الشهادة لهؤلاء الصحابة عليهم السلام بالإيمان وتقوى الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥٥) ﴿ (١) .

فإن الله تعالى لا يخلف وعده ، ويحقق لهذه الفئة المؤمنة ما وعدهم به ما داموا أنهم جاءوا بما اشترط الله عليهم من الإيمان والعمل الصالح ، وبما حصل لهم التمكين فلا شك أنهم جاءوا بما أمر الله به وإلا لم يحصل لهم ذلك .

أما النوع الثاني وهو الإلزام الجدلي ويتبين كما يلي :

١ - إن نصر الله وتمكينه للصحابة عليهم السلام في الأرض يلزم منه تكذيب الرافضة ورد

قولهم في الطعن في إيمان الصحابة عليهم السلام والطعن في صلاحهم، إذ لو لم يكونوا مؤمنين صالحين ما مكن الله لهم.

٢- إن نصر الله الصحابة عليهم السلام، وجعل العاقبة لهم على أعدائهم دون سائر الأمم والأقوام يلزم منه الرد على الرافضة في قدهم في الصحابة عليهم السلام.

٣- إن ما ترتب على انتصار الصحابة عليهم السلام على الكافرين من إقامة دين الله عز وجل ونشر توحيد الله تعالى والدعوة إليه يلزم منه القدح في تشكيك الرافضة في إيمان الصحابة عليهم السلام وبيان كذبهم وافتراءهم.

لو كان الصحابة عليهم السلام منافقين أو كان همهم الدنيا للزم من ذلك اكتفاءهم بما تحصلوا عليه من مغنم دنيوية ولم يسعوا إلى القتال مرة أخرى، ولكن لما كان حالهم غير هذا الحال فلم ينظروا إلى متاع الدنيا واستمروا في قتال المشركين من أجل إعلاء كلمة الله، علم كذب من وصفهم بالمنافق أو المرتد.

أما النوع الثالث وهو لازم المذهب، فلو كان هؤلاء الرافضة على الحق للزم تمكينهم في الأرض على وفق وعد الله، وكانت العاقبة لهم، ولكن حالهم مخالف لذلك، فإنهم على مر التاريخ في خذلان، ولم يمكنهم الله على الكافرين، بل كانوا متعاونين ومظاهرين الكفار في الحروب ضد المسلمين كما أيد ابن العلقمي التتار في إسقاط الخلافة الإسلامية^(١).

ولو كان هؤلاء الرافضة على الحق للزم منهم نصره دين الله تعالى، ونشر توحيده، ولكن الوضع مخالف لذلك.

وبهذه الفتوحات على أيدي الصحابة عليهم السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقرر الإلزام العلمي والجدلي بعدم ردتهم وثباتهم على نصره هذا الدين.

(١) ينظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢٣٦).

الباب الثاني

الإلزامات التي تلزم الرافضة في موقفهم من الخلفاء الراشدين

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: إلزامات قولهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الفصل الثاني: إلزامات قدحهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الفصل الثالث: إلزامات قدحهم في عثمان بن عفان رضي الله عنه

الفصل الرابع: إلزامات في القدح في الخلفاء الثلاثة جميعاً

الفصل الأول

إلزامات قولهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وفيه تمهيد وستة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان قدهم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

من المعلوم أن مذهب الرفض مبني على اعتقاد إمامة علي رضي الله عنه وأولاده من بعده بالنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمهم، فيعتقد الرافضة أن الخلافة تصير إلى علي رضي الله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة بلا فصل، لذلك يعتقدون بطلان خلافة أبي بكر رضي الله عنه ويعتبرونها إغتصاباً لحق الأئمة؛ علي رضي الله عنه وأولاده من بعده. قال المفيد: «واتفقت الإمامية على أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - استخلف أمير المؤمنين رضي الله عنه في حياته ونص عليه بالإمامة بعد وفاته، وأن من دفع ذلك فقد دفع فرضاً من الدين»^(١).

وقال غيره: «إن الإمام أمير المؤمنين أضحى خليفة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) بلا فصل، ثم تلاه الإمام الحسن فالإمام الحسين إلى الإمام الحجة المهدي»^(٢). فبناء على ذلك تلمسوا أمورا تقدح في خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أبي بكر رضي الله عنه، وتطعن في إيمانه وخلافته، كي يبطلوا أحقيته للخلافة، حتى يستدلوا بذلك على إمامة أئمتهم واستحقاق علي رضي الله عنه بالخلافة بعد وفاة رسول الله مباشرة، ثم أولاده من بعده.

(١) أوائل المقالات ص ٤٠، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ص ٣٢٣، حق اليقين (١٩٥/١)، مجمع البيان (١٢٨/٢).

(٢) الإمامة ص ٨١.

فمن أجل ذلك طعن الرافضة في شخص أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي خلافته، فطعنوا في إيمانه، وفي صفاته وأخلاقه وشمائله، وكذلك قدحوا في ثبوت خلافته وفي حكمه وسياسته.

ومن الأمور التي طعنت فيها الرافضة في إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه اتهامه بالردة حاشاه رضي الله عنه لتخلفه عن جيش أسامة رضي الله عنه.

قال أبو القاسم الكوفي: «ومن بدعه (يعني أبو بكر) العظيمة الشنيعة الموجبة للكفر من غير تأويل، أن الأمة مجمعة في روايتها على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد ضمه قبل وفاته إلى أسامة بن زيد مع صاحبه (يعني عمر) وجماعة من رؤساء المهاجرين والأنصار...»^(١).

وكذلك اتهموه رضي الله عنه بالنفاق، حيث زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما صحبه في الهجرة خوفاً من كيده ومكره لنفاقه، ويزعمون أن الله «ذكر السكينة في الغار بين جميع ما أنزل الله تعالى في كتابه مفردا لرسول الله صلى الله عليه وآله ليس لصاحبه فيها حظ، وأنه جل ذكره، قال: ﴿ثَاقِبَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾»^{(٢) (٣)}.

وقد أفصح بذلك ابن المطهر حيث قال: «إنه لا فضيلة له في الغار: لجواز أن يستصعبه حذرا منه لئلا يظهر أمره»^(٤).

فتبين أن الرافضة يقدحون في إيمان أبي بكر الصديق رضي الله وصحة إسلامه، ويعتقدون رده عن الإسلام، لكن هذا مما يتبين بطلانه، لأنه معارض

(١) الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي (١ / ٢٠ - ٢٢)،

(٢) سورة التوبة: ٤٠.

(٣) المسترشد - محمد بن جرير الطبري (الشيعة) - (١ / ٣٧٤).

(٤) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (١٤ / ٨).

لنصوص الكتاب والسنة المستفيضة الدالة على صدق إيمانه وحسن إسلامه، حتى شهد له ﷺ بالجنة.

ومما قدح به الرافضة في خليفة الرسول ﷺ؛ أبي بكر الصديق رضي الله عنه في صفاته وشمائله أنهم اتهموه بالجبن، وأنه من أبعد الناس عن الحمية، ووصفوه بالخوف من العدو، والجزع عند لقاء الكفار، وضعف البصيرة، قال المفيد: «كون أبي بكر وعمر مع رسول صلى الله عليه وآله في العريش ببدر فلسنا ننكره، لكنه لغير ما ظننتموه، والأمر فيه أوضح من أن يلتبس بما توهمتموه، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما علم من جبنهما عن الحروب، وخوفهما من البراز للحتوف^(١)، وجزعهما من لقاء الأبطال، وضعف بصيرتهما، وعدم ثباتهما في القتال بما أوجب في الحكمة والدين والتدبير، حبسهما في ذلك المكان، ومنعهما من التعرض إلى القتال، والاحتياط عليهما، لأن لا يوقعا في تدبيره الفساد.»^(٢).

وهذا كله منقوض بما تواتر من حسن سيرته وعظيم شجاعته، وله المواقف الفذة التي تدل على أنه أشجع الصحابة رضي الله عنهم، لأنه صحب النبي ﷺ في الهجرة دفاعاً عنه ﷺ، وكان الناس يطلبوه ويبحثوا عنه ليفتكوا به وهو لا معين له يومئذ إلا الله، وأنه شهد المشاهد كلها معه ﷺ، وكان معه ﷺ في جميع المواقف ليدافع عنه ﷺ، وكذلك ما كان من إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، وقتال المرتدين ومانعي الزكاة، وغير ذلك مما يدل على فرط شجاعته، ونفوذ بصيرته وحسن تدبيره.

وما سبق هو مما طعن به الرافضة في شخص أبي بكر رضي الله عنه ليقدحوا في أحقيته للإمامة واستحقاقه للخلافة بعد رسول الله ﷺ.

ومما قدحوا به في أبي بكر الصديق رضي الله عنهم في ثبوت خلافته،

(١) جمع حتف، وهو الموت، ينظر: العين للفراهيدي (٣/ ١٩٣).

(٢) الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين ص ١٩٣.

وقد حهم في تدبيره وسياسته وحكمه، ومن ذلك ادعاء عدم أهليته للخلافة لكفره في الجاهلية، قال ابن المطهر: «قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أخبر بأن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم والكافر، لقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولا شك في أن الثلاثة كانوا كفارا يعبدون الأصنام إلى أن ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم»^(١).

ولكن هذا مردود بأن الإسلام يجب ما قبله، فإذا أسلم المرء سقطت ذنوبه ورجع كيوم ولدته أمه. والآية إنما تتناول من كان متلبسا بالظلم لا من تاب وأحسن إيمانه.

ومما قد حواه في ثبوت خلافته إنكار حصول الإجماع على صحة خلافته، قال المفيد: «لا نحكم بإجماع أمة الإسلام على الرضا بما صنعه المتقدمون على أمير المؤمنين عليه السلام فكيف نحكم بذلك ونحن نعلم يقينا - كالاضطرار - خلاف الأنصار في عقد الإمامة على المهاجرين، وإنكار بني هاشم وأتباعهم على الجميع في تفردهم بالأمر دون أمير المؤمنين عليه السلام، وقد جاءت الأخبار مستفيضة بأقوال جماعة من وجوه الصحابة عليهم السلام في إنكار ما جرى، وتظلم أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك برفع الصوت والإجهار؟!

وهذا يبطل ما ظنه الخصم من اعتقاد الإجماع على إمامة المتقدم على أمير المؤمنين عليه السلام»^(٢).

لكن هذا منقوض بما ثبت أن خلافة أبي بكر الصديق انعقدت بإجماع من الصحابة عليهم السلام»^(٣).

(١) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (١٤ / ٥)

(٢) الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) انظر الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصفهاني (ص: ٢٧٣).

وكذلك اتهموا الصديق بالشك في صحة خلافته، قال البياضى في قول أبي بكر رضي الله عنه: «ليتني كنت سألت رسول الله هل للأنصار في هذا الأمر حق»^(١)، وهذا شك منه في أمره، وقد دفع الأنصار بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله الأئمة من قریش»^(٢).

وهذا الأثر يحتاج إلى الثبوت، فإذا لم يصح، ولم يثبت فلا حجة فيه. وكذلك اتهمهم له بطلب الإقالة^(٣)، قال ابن المطهر: «قال يوم السقيفة: (أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم)^(٤)».

(١) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٦٢) رقم الحديث (٤٣)، والأموال لابن زنجويه (١/ ٣٠٥) رقم الحديث (٤٦٧)، وقال الهيثمي - رحمته الله - في مجمع الزوائد - الفكر (٥/ ٣٦٦) رقم الحديث (٩٠٣٠): «رواه الطبراني وفيه علوان بن داود البجلي وهو ضعيف وهذا الأثر مما أنكر عليه» وقال ابن تيمية - رحمته الله - في منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٨١) «أن هذا كذب على أبي بكر - رضي الله عنه -، وهو لم يذكر له إسناد» وقال أيضاً في المصدر السابق (٨/ ٢٨٩): «ومن قال: إن الصديق قال: ليتني كنت سألت النبي - صلى الله عليه وآله: هل للأنصار في الخلافة نصيب؟ فقد كذب؛ فإن المسألة عنده وعند الصحابة أظهر من أن يشك فيها؛ لكثرة النصوص فيها عن النبي - صلى الله عليه وآله - وهذا يدل على بطلان هذا النقل».

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم - (ص: ٣٠١).

(٣) هي الفسخ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٣٤).

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ١٥١) بلفظ: (أقيلوني بيعتكم، كل ذلك يقول له علي: لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن ذا يؤخرك؟)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٩/ ٧٤٦)، وقال ابن الملقن رحمته الله في البدر المنير (٨/ ٥٥٣): «وهذا غريب»، وقال ابن حجر رحمته الله في التلخيص الحبير (٤/ ١٢٨): «رواه أبو الخير الطالقاني في السنة، من طريق شبابة بن سوار، عن شعيب بن ميمون، عن محمد بن بكير، عن حدثه عن أبي بكر، وهو منكر متنا، ضعيف منقطع سنداً»، وقال ابن تيمية - رحمته الله - في منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٦٨): «أن هذا كذب، ليس في شيء من كتب الحديث، ولا له إسناد معلوم»، وقال أيضاً في المصدر السابق (٨/ ٢٨٨): «إن صح هذا عن أبي بكر لم تجز معارضته بقول القائل: الإمام لا يجوز له طلب الإقالة؛ فإن هذه دعوى مجردة لا دليل عليها، فلم لا يجوز له طلب الإقالة إن كان قال ذلك؟ بل إن كان قاله لم يكن معنا إجماع على نقيض ذلك ولا نص، فلا يجب الجزم بأنه باطل. وإن =

وهذا الكلام إنما قاله أبو بكر رضي الله عنه تواضعا، وهذا مثل قول علي رضي الله عنه: «دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان . لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول . وإن الآفاق قد أغامت ^(١) والمحجة قد تنكرت ^(٢) . واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب . وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أمير» ^(٣) .

إن دل كلام أبي بكر على عدم ثبوت خلافته، كذلك يدل كلام علي رضي الله عنه على عدم أحقيته بالخلافة، وينقض عقيدة الرافضة في الإمامة.

ومما طعن به الرافضة في أبي بكر رضي الله عنه قدحهم في حكمه وسياسته، مما يدل على عدم صحة خلافته، ومن ذلك اتهامهم إياه بظلم فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنعها من الميراث، قال العاملي: «منعه فاطمة قريتين من قرى خيبر نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وقد ادعتها مع عصمتها في آية التطهير، وأورد في مناقبها: فاطمة بضعة مني ^(٤) يريني ما أراها، ومن أغضبها فقد أغضبني، وليس

=لم يكن قاله فلا يضر تحريم هذا القول، وأما تثبت كون الصديق قاله، والقدر في ذلك بمجرد الدعوى، فهو كلام من لا يبالي ما يقول، وقد يقال: هذا يدل على الزهد في الولاية والورع فيها، وخوف الله أن لا يقوم بحقوقها. وهذا يناقض ما يقوله الرافضة: إنه كان طالبا للرياسة، راغبا في الولاية».

(١) من الغيم، وهو السحاب، يقال: غامت السماء، وتغيمت، وأغامت، ينظر: العين للفراهيدي (٤ / ٤٥٥)، وجمهرة اللغة لابن دريد (٢ / ٩٦٣).

(٢) من تنكر الأمر، إذا تغير. وكل شيء استبهم عليك فقد تنكر لك، جمهرة اللغة لابن دريد (٢ / ٧٩٩).

(٣) نهج البلاغة - (١ / ١٨١).

(٤) صحيح البخاري (٣ / ١٣٧٤) رقم الحديث (٣٥٥٦)، ولفظه: (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)، باب مناقب فاطمة عليها السلام، وصحيح مسلم (٧ / ١٤١) رقم الحديث (٦٣٨٩)، ولفظه: (إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها).

للنبي أن يغضب لغضبها إلا وهو حق وإلا لجاز أن يغضب لغضب كل مبطل وقد شهد لها علي مع قول النبي صلى الله عليه وآله فيه: علي يدور معه الحق حيث دار، وقوله: علي مع الحق والحق مع علي^(١)، وأم أيمن واسمها بركة وهي حاضنة النبي صلى الله عليه وآله وقد كانت تخبر بفضائله قبل ظهور حاله، مع أنه روي أنها كانت في يدها فأخرج عمالها منها^(٢).

وهذا منقوض بأصل مذهب الشيعة في توريث النساء كما سيأتي ذلك إن شاء الله في مبحث خاص به.

ومما اتهموه به عدم إقامة الحد على سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه قال المرتضى: «صنع خالد في قتل مالك بن نويرة^(٣) واستباحة ماله وزوجته لنسبته

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار (٤ / ٩٧)، قال الهيثمي رحمته الله - في مجمع الزوائد (٧ / ٤٧٦): «رواه البزار وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه وبقيّة رجاله رجال الصحيح»، وقال ابن تيمية رحمته الله في منهاج السنة النبوية (٤ / ٢٣٨): «قولهم: (إنهم رووا جميعاً أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال: علي مع الحق، والحق معه يدور حيث دار، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض) من أعظم الكلام كذبا وجهلا، فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي - صلى الله عليه وآله - لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، فكيف يقال: إنهم جميعاً رووا هذا الحديث؟ وهل يكون أكذب ممن يروي عن الصحابة والعلماء أنهم رووا حديثاً، والحديث لا يعرف عن واحد منهم أصلاً؟ بل هذا من أظهر الكذب. ولو قيل: رواه بعضهم، وكان يمكن صحته لكان ممكناً، فكيف وهو كذب قطعاً على النبي - صلى الله عليه وآله -؟!».

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (٢ / ٢٨٢).

(٣) هو مالك بن نويرة بن جمرة بن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي يكنى أبا حنظلة، ويلقب الجفول، كان شاعراً شريفاً فارساً معدوداً في فرسان بني يربوع في الجاهلية وأشرفهم، وكان من أرداف الملوك، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعمله على صدقات قومه، فلما بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمسك الصدقة وفرّقها في قومه، فقتله ضرار بن الأزور الأسدي صبراً بأمر خالد بن الوليد بعد فراغه من قتال الردة، ثم خلفه خالد على زوجته، فقدم أخوه متمم بن نويرة على أبي بكر فأنشده مرثية أخيه، وناشده في دمه وفي سبيهم، فردّ أبو بكر السبي، الإصابة في تمييز الصحابة (٥ / ٥٦٠).

إلى الردة التي لم تظهر بل كان الظاهر خلافها من الاسلام، فعظيم ويجري مجراه في العظم تغافل من تغافل عن أمره»^(١).

وهذا مردود بأن مالكا قد ارتد ورد على قومه صدقاتهم، وقد اعترف لعمر عليه السلام بذلك^(٢).

ومن ذلك اتهامهم الصديق عليه السلام بالجهل بالأحكام^(٣)، قال العاملي: «إنه خالف المشروع فقطع يسار سارق، وأحرق السلمي بالنار»^(٤) مع قول النبي صلى الله عليه وآله: (لا يعذب بالنار إلا رب النار) ولم يعرف ميراث الجدة ولا الكلاله، وقال: (أقول فيها برأبي)^(٥) فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ

(١) الشافي في الإمامة (٤ / ١٦٢).

(٢) يقول محمد بن شاعر المعروف بصلاح الدين في «فوات الوفيات (٣ / ٢٣٤): «ومما يؤيد خالد وأن مالكا مات مرتداً، أن متمماً لما أنشد عمر مراثيه في مالك قال له عمر: والله لوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت أخاك، فقال متمم: لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته، فقال عمر عليه السلام ما عزاني أحد عن أخي بأحسن مما عزاني به متمم» ويرجع ابن عبد البر رحمته الله بأن خالداً قتله خطأً، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣ / ١٣٦٢).

(٣) وهذا بهتان عظيم كيف يخفي عليه أكثر الأحكام ولم يكن من يقضي ويفتي بحضرة النبي عليه السلام إلا هو ولم يكن النبي عليه السلام أكثر مشاورة لأحد منه له ولعمر - عليه السلام - وذكر عن غير واحد الإجماع على أنه أعلم الأمة، المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص: ٣٤١).

(٤) إن إحراق علي الزنادقة بالنار أشهر، فقد ثبت في الصحيح أن علياً أتى بقوم زنادقة فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي عليه السلام أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقول النبي عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه، المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص: ٣٤١).

(٥) وإجماع الصحابة على التفسير بالرأي، وإنما أرادوا بالرأي: التفسير للحادثة الخاصة بالعموم اللغوي لكي لا يوهموا أنهم سمعوا ما حكموا به عن النبي - عليه السلام - بالنصوصية. ألا ترى أن الكلاله في اللغة مطابقة لتفسير أبي بكر؟ فلم يكن تفسيره رأياً محضاً، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٨ / ٣٢٥).

فمني ومن الشيطان^(١)، وفي هذا تجويز كون الحاكم جاهلاً وصيباً ومجنوناً، وغير ذلك من وجوه النقص، إذا كان الحكم بالخبط والاتفاق، ولا يخفى ما فيه من تعطيل أحكام الله بالاطلاق^(٢).

وغير ذلك من الطعن والقدح في شخصه وفي خلافته، لإسقاط أحقيته بالخلافة، ليثبتوا بذلك أحقية الخلافة والإمامة لعلي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة ولأولاده من بعده.

المبحث الأول: إلزامات مدح أئمتهم لأبي بكر الصديق.

قد سبق أن الرافضة يطعنون في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويقدحون في خلافته كي تسقط أحقيته بالخلافة ويثبتونها لعلي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة ثم لأولاده من بعده، لكن إذا نظرنا في كتب القوم نجد نصوصاً كثيرة منقولة عن علي عليه السلام وغيره من أئمتهم يشنون على أبي بكر رضي الله عنه، ويمدحونه ويقرون بخلافته، ما يلزم الرافضة القول بخلافة أبي بكر رضي الله عنه، وبطلان عقيدتهم في الإمامة، أو تكذيب أئمتهم والطعن فيهم لأنهم أثنوا على من لا يستحق الثناء، وأقروا بخلافة من لا يستحقها، أو يرجع الأمر إلى فقدان الثقة بكتبهم التي تنقل عن أئمتهم هذه المرويات.

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٢٣) رقم الحديث (١٢٦٢٩)، وسنن الدارمي (١/ ٢٢١) رقم الحديث (٢٦) باب الكلالة، وقوله في حكم الكلالة من أعظم علمه فإن الرأي الذي رآه عليه جماهير العلماء وأخذوا بقوله وهو أنه من لا ولده ولا والد، وقد وافق قوله في الجد بضعة عشر صحابياً، وهو ومذهب أبي حنيفة وبعض الشافعية والحنابلة وهو الأظهر في الدليل، وأما قول علي في الجد فلم يذهب إليه الأئمة، المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص: ٣٤٢).

ينظر: تفصيل الأجوبة على هذه الاعتراضات والشبه في المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص: ٣٤١)، وشرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين التفتازاني (٢/ ٢٩٣).

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ص ٣٠٥.

ومما ورد في كتب الرافضة من الثناء على أبي بكر رضي الله عنه ما نقله ابن مزاحم في كتاب علي رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه يعدد نعم الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: «وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم - زعمت - في الإسلام، وأنصحهم لله ورسوله الخليفة، وخليفة الخليفة.

ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء»^(١).

ومما ورد في كتب الرافضة من الثناء على أبي بكر رضي الله عنه ما نقله ابن مزاحم في كتاب علي رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه يعدد نعم الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: «وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم - زعمت - في الإسلام، وأنصحهم لله ورسوله الخليفة، وخليفة الخليفة.

ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء»^(٢).

ومما رووا عن علي رضي الله عنه ما يدل على رضاه عن سياسة أبي بكر وعن أحكامه أنه رضي الله رضي بقضاء أبي بكر رضي الله عنه في فدك^(٣)، حيث قضى أبو بكر رضي الله عنه بمنع فاطمة رضي الله عنها أرض فدك لما طلبته ميراثاً لها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث، ولما تولى علي رضي الله عنه طولب منه أن يرد فدك لفاطمة رضي الله عنها فقال: «إني لأستحي من الله أن أرد

(١) وقعة صفين (١ / ٨٨ - ٨٩)، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢٥٣ / ٥).

(٢) وقعة صفين (١ / ٨٨ - ٨٩)، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢٥٣ / ٥).

(٣) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله، صلى الله عليه وسلم، في سنة سبع صلحاً، معجم البلدان لياقوت (٤ / ٢٣٨).

شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر»^(١).

في هذا إقرار لخلافة أبي بكر وعمر عليهما السلام، ورضى بحكمهما وقضاءهما، بحيث أنه يستحي أن ينقض حُكماً حَكَمَ به عليهما السلام، وهذا يتضمن الإلزام بالثناء عليهما لأنه بين أنه يسير على سيرتهما.

عن علي عليه السلام قال: «قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع المسلمون على أبي بكر فسمعت وأطعت، ثم حضر أبو بكر، قلت: أرى أنه لا يعدلها عني فولاها عمر، فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عني فجعلها في ستة أنا منهم، فولوها عثمان فسمعت وأطعت»^(٢).

ونقل المرتضى في نهج البلاغة عن علي عليه السلام من كتابه الذي كتبه إلى معاوية عليه السلام: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى)^(٣)، وهنا يستدل الإمام على عليه السلام على صحة خلافته وانعقاد بيعته بصحةبيعة من سبقه.

وهذا يعني بوضوح أن علياً عليه السلام كان يعتقد بشرعية خلافة أبى بكر وعمر وعثمان، كما يذكر في هذا النص الواضح في معناه والذي كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان عليه السلام، بأن الإمامة والخلافة تنعقد باتفاق المسلمين واجتماعهم على شخص، وخاصة في العصر الأول باجتماع الأنصار والمهاجرين فإنهم اجتمعوا

(١) الشافي في الإمامة (٦٦ / ١).

(٢) تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٣٦٩).

(٣) نهج البلاغة ص ٢٤٧.

على أبي بكر وعمر، فلم يبق للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.
وقد روى الجوهري قول علي، والزبير رضي الله عنه: (ما غضبنا إلا في المشورة، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف له سنة، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله، بالصلاة بالناس وهو حي) ^(١).

وقال علي لأبي سفيان رضي الله عنه: «إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً» ^(٢).
فأثنى علي رضي الله عنه على الصحابة رضي الله عنهم الذين اجتباهم الله واختارهم لصحبة نبيه، وجعلهم الله أعواناً وأيده بهم، وبين ما للصحابة من المنازل عند النبي صلى الله عليه وآله، وأن أفضلهم وأنصحهم لله هو خليفة الرسول صلى الله عليه وآله؛ أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه من بعده، وأقر بعضهم مكانتهم في الإسلام، فأثنى عليهم ودعا لهم بالخير.

في هذا الكلام أمران:

١- ثناء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على الصحابة رضي الله عنهم عموماً، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خصوصاً، فقد أثنى عليهما وأقر بمكانتهما وأفضليتهما على جميع الأمة وأن مكانتهما في الإسلام لعظيم.
في هذا إلزام على الرافضة في طعنهم في إيمان أبي بكر رضي الله عنه ودينه وشمائله، وإقرار بأنه أفضل الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٢- إقرار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بخلافة أبي بكر رضي الله عنه وهذا بين من هذا الكلام، حيث قرر بأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلازم ذلك على أنه يعتقد إمامته وخلافة.
ومما رووا عن علي رضي الله عنه ما يدل على رضاه عن سياسة أبي بكر وعن أحكامه أنه رضي الله عنه رضي بقضاء أبي بكر رضي الله عنه في فذك، حيث قضى أبو بكر رضي الله عنه بمنع فاطمة

(١) السقيفة وفذك للجوهري ص ٤٧.

(٢) المستدرک على الصحيحین للحاکم (٣/ ٨٣)، وصححه الذهبي، وفضائل الخلفاء الراشدين لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٥٢).

رضي الله عنه أرض فدك لما طلبته ميراثا لها، لأن النبي ﷺ لا يورث، ولما تولى علي رضي الله عنه طولب منه أن يرد فدك لفاطمة رضي الله عنها فقال: «إني لأستحي من الله أن أرد شيئا منع منه أبو بكر وأمضاه عمر»^(١).

في هذا إقرار لخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورضى بحكمهما وقضاءهما، بحيث أنه يستحي أن ينقض حُكما حَكَمَ به ﷺ، وهذا يتضمن الإلزام بالثناء عليهما لأنه بين أنه يسير على سيرتهما.

وبهذا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولا: الإلزام العلمي فهذا بعض ما ورد في كتبهم من الثناء على أبي بكر رضي الله عنه ما يدل على أن عليا رضي الله عنه وأولاده يعتقدون صدق إيمان أبي بكر رضي الله عنه وصحة إسلامه، وأنه أفضل هذه الأمة، وأنه صديق، وأنه خليفة رسول الله ﷺ.

ثانيا: يلزم الرافضة الذين يقدحون في أبي بكر رضي الله عنه ويطعنون في إيمانه وخلافته لازم جدلي وهو:

١- يلزمهم إعتقاد صدق إيمان أبي بكر رضي الله عنه وحسن إسلامه وصحة دينه، وأفضليته على جميع الأمة بعد نبيها ﷺ، وأن يعتقدوا صحة خلافته وأحقيته بها من غيره، كما اعتقد ذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه والأئمة من بعده، إن كانت الرافضة صادقين في ولائهم لعلي رضي الله عنه وأولاده، وأنهم مقتدين بهم.

٢- وإلا فيلزمهم تخطئة علي رضي الله عنه وأولاده وأنهم عصاة، لإقرارهم بإيمان الكافر، والرضى بخلافة الظالم الذي لا يستحق الخلافة.

بهذا يتبين أن الرافضة كاذبون في ادعاء ولائهم لعلي رضي الله عنه وأولاده، وفي زعمهم الاقتداء بهم.

(١) الشافي في الإمامة (٦٦ / ١).

ثالثاً: لازم المذهب فمما روى الرافضة في كتبهم من ثناء أئمتهم على أبي بكر رضي الله عنه ما روه عن أبي جعفر في توليه لأبي بكر رضي الله عنه والإقرار له بالصدقية، ما يدل على أنه يعتقد صحة إيمانه وأنه في مرتبة الصديقية، وأنه إمام يقتدى به. فنقلوا عن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي ع عن حلية السيوف فقال: «لا بأس به قد حلي أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه» قلت: فتقول الصديق؟ قال فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: «نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا ولا في الآخرة»^(١). في هذا بيان أن أبا جعفر يعتقد صحة إيمان أبي بكر رضي الله عنه، لأنه يعتقد أنه صديق، ويتوعد من لا يعتقد ذلك، وأنه يعتقد فيه الإمامة، وأنه إمام يقتدى به لذلك استدل بسنة أبي بكر رضي الله عنه في جواز حلية السيوف، لأن النبي صلى الله عليه وآله أرشد الأمة وأمرهم بالأخذ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده.

المبحث الثاني: إنزامات دفن أبي بكر الصديق مع النبي صلى الله عليه وآله

إن من نعم الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن اختاره الله صاحباً لنبيه صلى الله عليه وآله في حياته وبعد مماته، فقد كتب الله تعالى أن يكون أبو بكر رضي الله عنه بجوار صاحبه في البرزخ كما كانا في الدنيا، فقدّر الله أن يُدفن أبو بكر رضي الله عنه في الحجرة النبوية بجوار صاحبه صلى الله عليه وآله.

وقد عد ذلك من مناقبه جمع من أهل العلم، بحيث أجمعوا على أنه فضيلة من فضائله، ومنقبة من مناقبه، لأن ذلك يدل على أنه سبق في علم الله الأزلي أن أبا بكر رضي الله عنه من أحق الناس بالنبي صلى الله عليه وآله، وأنهما خلقا من تربة واحدة. قال الإمام الآجري^(٢): «لم يختلف جميع من شمله الإسلام، وأذاقه الله

(١) كشف الغمة (٣ / ١٣٨)

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، الإمام، المحدث، القدوة، شيخ =

الكريم طعم الإيمان أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دفنا مع النبي صلى الله عليه وآله في بيت عائشة رضي الله عنها، وليس هذا مما يحتاج فيه إلى الأخبار والأسانيد المروية: فلان عن فلان، بل هذا من الأمر العام المشهور الذي لا ينكره عالم ولا جاهل بالعلم، بل يستغني بشهرة دفنهما مع النبي صلى الله عليه وآله عن نقل الأخبار: والدليل على صحة هذا القول: أنه ما أحد من أهل العلم قديما ولا حديثا ممن رسم لنفسه كتابا نسبته إليه من فقهاء المسلمين، فرسم كتاب المناسك، إلا وهو يأمر كل من قدم المدينة ممن يريد حجا أو عمرة أو لا يريد حجا ولا عمرة، وأراد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والمقام بالمدينة لفضلها إلا وكل العلماء قد أمروه ورسموه في كتبهم وعلموه كيف يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وكيف يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما علماء الحجاز قديما وحديثا، وعلماء أهل العراق قديما وحديثا، وعلماء أهل الشام قديما وحديثا، وعلماء أهل مصر قديما وحديثا، وعلماء خراسان قديما وحديثا، وعلماء أهل اليمن قديما وحديثا، فله الحمد على ذلك. فصار دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله من الأمر المشهور الذي لا خلاف فيه بين علماء المسلمين، وكذلك هو مشهور عند جميع عوام المسلمين ممن ليس من أهل العلم، أخذوه نقلا وتصديقا ومعرفة، لا يتناكرونه بينهم في كل بلد من بلدان المسلمين. ولا يمكن أن قائل يقول: إن خليفة من خلفاء المسلمين قديما ولا حديثا أنكر دفن أبي بكر وعمر مع النبي صلى الله عليه وآله منذ خلافة عثمان بن عفان وخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وخلافة بني أمية، لا يتناكر ذلك الخاصة والعامة، وكذلك خلافة ولد العباس رضي الله عنه لا يتناكرونه إلى وقتنا هذا، وإلى أن تقوم الساعة» انتهى ^(١).

=الحرم الشريف، صاحب التواليف، منها: كتاب (الشرعية في السنة) مات بمكة في المحرم سنة

ستين وثلاث مائة، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٦ / ١٣٣).

(١) الشرعية للأجري (٥ / ٢٣٦٨ - ٢٣٦٩)

وكذلك روي مثل هذا عن مالك رحمته الله في جوابه لهارون الرشيد ^(١) لما سأله عن منزلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فروى ذلك الآجري عن يحيى بن سليمان بن نضلة الكعبي قال: قال هارون الرشيد لمالك بن أنس: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال مالك رحمته الله: «كقرب قبريهما من قبره بعد وفاته». فقال: شفيتني يا مالك، شفيتني يا مالك ^(٢).

قال الآجري - رحمته الله -: «فلا الرشيد بحمد الله أنكر هذا من قول مالك، بل تلقاه من مالك بالتصديق والسرور، ومالك فقيه الحجاز أخبر الرشيد عن دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وسلم بما لا ينكره أحد، لا شريف ولا غيره. فله الحمد ^(٣).

فدفن أبي بكر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم يدل على إيمانه؛ لأن الكافر لا يدفن في مقابر المسلمين، فكيف بجوار النبي صلى الله عليه وسلم وفي بيته.

ثم أورد الآجري مسألة وأجاب عليها بطريقة الإلزام الجدلي، وهي مما تدل على أفضلية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهي أنهما خلقا والنبي صلى الله عليه وسلم من تربة واحدة، فقال: «ولو قال قائل: إن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهم خلقوا من تربة واحدة لصدق في قوله. فإن قال قائل: وما الحجة في ما قلت؟ قيل: روي أن النبي

(١) هو هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أمير المؤمنين الرشيد ابن المهدي ابن المنصور؛ كان شجاعاً كثير الحج والغزو، حج في خلافته ثماني حجج، وقيل تسع، وغزا ثماني غزوات، وكان في أيامه فتح هرقله، وبويع له بمدينة السلام في ربيع الأول سنة سبعين ومائة يوم موت الهادي، وتوفي بطوس في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكانت مدة خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوماً، فوات الوفيات لمحمد بن شاعر الملقب بصلاح الدين (٤ / ٢٢٥).

(٢) الشريعة للآجري (٥ / ٢٣٧٠)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧ / ١٣٧٨)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠ / ٣٩٧)، (٤٤ / ٣٨٣).

(٣) الشريعة للآجري (٥ / ٢٣٧٠).

ﷺ مر بقبر فقال: «من هذا؟». فقالوا: فلان الحبشي. فقال: «سبحان الله، سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها»^(١). فدل بهذا القول أن الإنسان يدفن في التربة التي خلق منها من الأرض. كذا النبي ﷺ خلق هو وأبو بكر وعمر من تربة واحدة، دفنوا ثلاثتهم في تربة واحدة»^(٢).

وقال ابن حجر تعليقا على قول مالك: «فزكاهما بالقرب معه في البقعة المباركة والتربة التي خلق منها فاستدل على أنهما أفضل الصحابة ﷺ باختصاصهما بذلك»^(٣).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولا: الإلزام العلمي فمما سبق يتبين لنا أن الله تعالى خلق رسوله محمد ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما من تربة واحدة، وعلى فرض صحة ذلك فهما أقرب الناس إليه ﷺ وأحق الناس به، لذلك جمعتهما في مكان واحد بعد مماتهما كما كانوا مجتمعين في حياتهما، فكانت منزلتهما وقربهما منه ﷺ كمنزلتهما وقربهما منه ﷺ في مضجعهم.

فتبين أنه سبق في علم الله وكتابته أن أبا بكر رضي الله عنه أحق الناس برسول الله ﷺ وأقربهم إليه في الدنيا والآخرة.

ثانيا: الإلزام الجدلي فيلزم الرافضة على عقيدتهم في القدح في أبي بكر الطعن

(١) رواه الحاكم وغيره، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» وأنيس بن أبي يحيى الأسلمي هو عم إبراهيم بن أبي يحيى، وأنيس ثقة معتمد، ووافقه الذهبي فقال: «صحيح وأنيس ثقة وله شواهد صحيحة». المستدرک على الصحيحين للحاكم (١/ ٥٢١)، وحسنه الألباني حيث قال: «قلت: فالحديث عندي حسن بمجموع طرقه، والله أعلم». سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤٧٤).

(٢) الشريعة للأجري (٥/ ٢٣٧٠ - ٢٣٧١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٠٨).

في علم الله وحكمته وخلقه، حيث كتب الله أن يكون الكافر صاحب نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة، لا يفارقه في مكان، وأن الله خلق النبي ﷺ وكافرا من تربة واحدة. وحكمة الله تأبى ذلك، لأن القرين الطيب مع الطيب والخبيث مع الخبيث في الحكم كما في قوله تعالى ينزهه نبيه ﷺ أن يكون زوجا لخبيثة، قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١).

فلما نزه الله أن يكون زوجا لخبيثة كذلك تقتضي حكمته أن ينزهه عن أن يكون قرينا وصاحباً لخبيث، ودلت الآية على براءة الصحابة رضي الله عنهم مما تقوله الرافضة في حقهم.

ثالثاً: لازم المذهب فممن روي عنه أنه عد ذلك من فضائل أبي بكر رضي الله عنه ومناقبه علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنه، فيما رواه اللالكائي بإسناده عن عبد العزيز ابن أبي حازم (٢)، عن أبيه قال: قيل لعلي بن الحسين: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ؟ قال: «كمنزلتهما اليوم وهما ضجيعاه» (٣).

المبحث الثالث: إلزامات عدم مقاتلة علي لأبي بكر في الخلافة

إن مما أجمع عليه الناس سنة وشيعة عدم قتال علي رضي الله عنه أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الخلافة، بل كان علي رضي الله عنه يسمع ويطيع أبا بكر رضي الله عنه ويعترف بأنه خير هذه الأمة بعد نبيها.

(١) سورة النور آية ٢٦.

(٢) هو أبو تمام عبد العزيز بن أبي حازم سلمة بن دينار مولى لبني أشجع، ومات سنة أربع وثمانين ومائة فجاء بالمدينة يوم الجمعة في مسجد النبي ﷺ - وبيعت داره فوجد فيها أربعة آلاف دينار، وكان كثير الحديث دون الدراوردي، الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٩٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ١٣٧٨)، فضائل الصحابة للدارقطني ص ٦١، الاعتقاد للبيهقي ص ٣٦٢.

يقول علي عليه السلام: «قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير ما قبض عليه نبي من الأنبياء، وأثنى عليه صلى الله عليه وسلم، قال: ثم استخلف أبو بكر، فعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنته، ثم قبض أبو بكر على خير ما قبض عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، ثم استخلف عمر، فعمل بعملهما وسنتهما، ثم قبض على خير ما قبض عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر»^(١).
ويقول أيضاً: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ولو شئت لحدثتكم بالثالث»^(٢).

ويقول أيضاً: «بلغني أن أناساً يفضلوني على أبي بكر وعمر، لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى»^(٣).
ومجمل ما نقل عند الرافضة عن تكفير أبي بكر واتهامه باغتصاب الخلافة مع تناقض كبير في رواياتهم ولتقف على بعض الروايات التي تدل على مدى المحبة والتوافق الذي كانت بينهما ومن تلك الروايات ما يلي:
ما رواه المرتضى^(٤) في كتابه الشافي: (عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً من قریش جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: سمعتك تقول في الخطبة أنفا: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هما؟ قال: حبيبي، وعماك أبو

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٣).

(٢) مسند أحمد (٢/ ٢٢٤) برقم (٨٨٠)، والسنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢٩٣).

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٢٩٤).

(٤) هو علي بن الحسين بن موسى المشهور بالسيد المرتضى الملقب بعلم الهدى، ولد سنة ٣٥٥، ومات ٤٣٦، هو رن من أركان المذهب الشيعي ومؤسسيه، وقد بالغ الشيعة في مدح أخيه الشريف رضى صاحب نهج البلاغة مبالغاً لا نهاية لها، قال فيه الخوانساري: كان شريف المرتضى أوحد عصره علماً وفهماً، كلاماً وشعراً، وجاهاً وكرماً.. وأما مؤلفات السيد فكلها أصول وتأسيسات غير مسبوقه بمقال منها «كتاب الشافي» في الإمامة، أقول: وهو كاسمه شاف واف» (روضات الجنات ج ٤ ص ٢٩٥ إلى ما بعد).

بكر وعمر، وإماما الهدى، وشيخا الإسلام. ورجلا قريش، والمتقدي بهما بعد رسول الله - ﷺ -، من اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هدى إلى صراط المستقيم^(١).

هذا وقد كرر في نفس الكتاب هذا (إن علياً ﷺ قال في خطبته: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»)، ولم لا يقول هذا وهو الذي روى «أننا كنا مع النبي - ﷺ - على جبل حراء إذ تحرك الجبل، فقال له: قر، فإنه ليس عليك إلا نبي وصديق وشهيد»^(٢).

فهذا هو رأي علي ﷺ في أبي بكر، نعم! رأي علي الخليفة الراشد الرابع عندنا، والإمام المعصوم الأول عند الرافضة مما يجعل التسليم بفضل أبي بكر لازماً على كل مسلم عاقل^(٣).

والرافضة يعتقدون كفر الصحابة ﷺ وأنهم مرتدون كما سبق، وأن الخلفاء الثلاثة؛ أبا بكر وعمر وعثمان - ﷺ - كفار ظالمون اغتصبوا الخلافة من علي ﷺ، لأن الخلافة كانت حقاً لعلي ﷺ ثم لأولاده من بعده.

وقد روى الكليني: (عن أبي جعفر (ع) قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمر المؤمنين (ع) مكرها فبايع»^(٤).

(١) الشافي ص ١٧١.

(٢) تلخيص الشافي (٢ / ٤٢٨).

(٣) للاستزادة انظر كتاب الشيعة وأهل البيت ص ٥٣.

(٤) الكافي الكليني (٨ / ٢٠٠ - ٢٠١).

وروى أيضا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من ادعى الامامة وليس من أهلها فهو كافر»^(١).

فدلت هاتان الروايتان أن الرافضة تعتقد كفر الصحابة عليهم السلام وارتدادهم عن الدين، وذلك لأنهم لم يبايعوا عليا عليه السلام للخلافة، وعلى رأسهم في الكفر أبو بكر عليه السلام لأنه ادعى الخلافة وليست له.

فإذا ثبت عندهم كفر أبي بكر عليه السلام وردته فيلزم على علي عليه السلام أن لا يصلي خلفه فقد روى محمد بن علي الحلبي عنه عليه السلام أنه قال: «لا تصل خلف من يشهد عليك بالكفر، ولا خلف من شهدت عليه بالكفر»^(٢).

ويلزم أن يقاتله ويرد حقه وقاتله لسببين؛ لكفره وظلمه وغصبه للخلافة وادعائه حقا ليس له، ولأن عليا عليه السلام هو المنصوص عليه بالخلافة والوصي بها كما يقولون، وأنها أصل الدين، فلا بد من قتال من ادعاهها وغصبها وصار كافرا مرتدا بذلك.

لكن مع هذه الجريمة النكراء لم نجد عليا عليه السلام ترك الصلاة خلف أبي بكر أو قاتل أحدا من الصحابة عليهم السلام على هذا الحق المنصوص عليه، ولم يدع أحدا إلى القتال معه كي يسترد حقه المغصوب منه. وكيف يمكن لأبي بكر عليه السلام أن يغتصب لعلي عليه السلام حقه من الخلافة وبنو تميم أقل عددا ومنعة من بني هاشم؟!

وكيف يترك علي عليه السلام حقه الواجب بالنص ولا يسترده من ظالم كافر وبنو هاشم أكثر عددا ومنعة وعزة من بني تميم، فلو طلب منهم الوقوف معه ليرد حقه من الكافر الظالم لفعلوا لأن الدواعي متوفرة؟!

وقد نقل الكليني: (عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أطاع رجلا في معصية فقد عبده)^(٣).

(١) المصدر السابق (١ / ٥٥٢)

(٢) من لا يحضره الفقيه (١ / ٣٨).

(٣) الكافي للكليني (٢ / ٣٩٨).

كما نقل: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أرضى سلطانا بسخط الله خرج عن دين الإسلام) ^(١).

ونقل المجلسي: (قال علي: والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت) ^(٢). فلو كان علي عليه السلام مظلوما مع شرفه وشرف قبيلته وأقاربه، وهم يعلمون أنه مظلوم لأصبح لازما إما أن يكونوا عاجزين عن نصرته، وإما أن يكون لهم معارض عارض إرادة النصر من ظلمه وغصب منه حقه، وكلا الأمرين باطل؛ لا سيما وجمهور قريش والأنصار والمسلمين لم يكن لعلي إلى أحد منهم إساءة، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، ولا قتل أحدا من أقاربهم، فإن الذين قتلهم علي لم يكونوا من أكبر القبائل، وهذا وغيره مما يبين أن الأمر على نقيض ما تقوله الرافضة من أكاذيبهم، وأن القوم كانوا يعلمون أن عليا لم يكن مظلوما أصلا، فكيف ينتصر القوم لعثمان حتى سفكوا دماءهم، ولا ينتصرون لمن هو أحب إليهم من عثمان، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله - وأهل بيته؟!

وكيف يقاتلون مع معاوية حتى سفكت دماؤهم معه، وقد اختلف عليه بنو عبد مناف، ولا يقاتلون مع علي وبنو عبد مناف معه؟ فالعباس بن عبد المطلب أكبر بني هاشم، وأبو سفيان بن حرب أكبر بني أمية، وكلاهما كانا يميلان إلى علي، فلم لم يقاتل الناس معه إذ ذاك، والأمر في أوله؟ والقتال إذ ذاك لو كان حقا كان مع علي أولى، وولاية علي أسهل؛ فإنه لو عرض نفر قليل فقالوا: الأمر لعلي، وهو الخليفة والوصي، ونحن لا نبايع إلا له، ولا نعصي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا نظلم وصيه وأهل بيته، ولا نقدم الظالمين أو المنافقين من آل تيم على بني هاشم، الذين هم خيرنا في الجاهلية والإسلام - لكان القائل لهذا يستجيب له

(١) المصدر السابق (٥/ ٦٣).

(٢) بحار الأنوار (٢١/ ٢٦).

جمهور الناس، بل يستجيئون له إلا القليل، لا سيما وأبو بكر ليس عنده رغبة ولا رغبة»^(١).

فتبين أن الحق لو كان مع علي عليه السلام للزم أن يطالب بحقه، وللزم أن يقاتل معه الناس وبنو هاشم وهم أكثر وأعز، والعباس بن عبد المطلب عليه السلام أكبر بني هاشم، وأبو سفيان بن حرب عليه السلام أكبر بني أمية وهما يميلان إلى علي عليه السلام ومع ذلك لم يقاتل علي عليه السلام ولا أحد من بني هاشم ولا من بني عبد مناف ولا بني مخزوم. فدل ذلك على أن عليا عليه السلام لا يعتقد أن الخلافة حقه المنصوص عليه، وأنه الوصي بالنص، وكذلك لا يعتقد كفر أبي بكر عليه السلام ولا ظلمه.

ويلزم الرافضة إلزام علمي وهو تخطئة علي عليه السلام لعدم القتال على حقه الواجب المنصوص عليه المغصوب منه، وعلى عدم قتال الخليفة الكافر الظالم، لأنه يجب عليه قتاله وإزالته لقدرته على ذلك لوجود أقاربه وقبيلته الذين يتعاونون معه على إزالة الكافر الظالم، وقبيلته أكثر عددا وأعز منعة. ويلزمهم لازم جدلي من ترك علي مقاتلة أبي بكر الصديق لا يخرج من الأمر عن واحد منها:

١ - إما جبن علي ولذلك لم يقاتل أبا بكر وحاشه من هذا الاتهام الذي يقدر في شجاعته وإيمانه.

عن علي عليه السلام قال: «قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع المسلمون على أبي بكر فسمعت وأطعت، ثم حضر أبو بكر، قلت: أرى أنه لا يعدلها عني فولأها عمر، فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عني فجعلها في ستة أنا منهم، فولوها عثمان فسمعت وأطعت»^(٢).

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٦٠ - ٣٦٢) بتصرف.

(٢) تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٣٦٩).

- ٢- وإما ترك علي للحق وهو راض عن ذلك وبذلك تنتفي عنه العصمة.
- ٣- وإما أن الحق في غير ما يقوله الرافضة من استحقاق علي للخلافة ورضاه بخلافة أبي بكر وهذا هو الحق كما تبين سابقا.

المبحث الرابع: الإنزامات خروج أبي بكر مع النبي ﷺ في الهجرة.

إن أبا بكر رضي الله عنه هو صاحب رسول الله في سفره للهجرة إلى المدينة، وهو صاحبه الذي دخل معه الغار حينما خرج المشركين في طلبه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرِبُكَ فِي السَّمَاءِ فَتُفَكِّكُنَّ فِجَاجَ غَنَاقٍ تُعَذِّبُهُمْ ذُرَاقَةُ السَّيْفِ وَإِن تَعْذِّبُهُمْ فَإِنَّكَ تَعَذِّبُهُمْ﴾ (١)، وقد عد علماء المسلمين أن ذلك من فضائله ومناقبه، بل من خصائصه رضي الله عنه.

قال ابن حزم (٢): «ومن فضائل أبي بكر المشهورة قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٣) فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في أنه أبو بكر فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في إخراج مع رسول الله ﷺ في أنه خصه باسم الصحبة له وبأنه ثانيه في الغار وأعظم من ذلك كله أن الله معهما وهذا ما لا يلحقه فيه أحد» (٤).

(١) سورة التوبة آية ٤٠.

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الفارسي أبو محمد الإمام، البحر، ذو الفنون والمعارف، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفردا، وذهدا سيالا، وكتبنا نفيسة كثيرة، وكان والده من كبراء أهل قرطبة، مات في سنة ٤٥٦ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ١٨٤).

(٣) سورة التوبة آية ٤٠.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١١٣).

وقال ابن حجر الهيتمي^(١): «أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعاً»^(٢).

فتبين من هذه المنقبة أن الله تعالى نص على صحبة أبي بكر رضي الله عنه لنبه عليه السلام، وأنه كان معه في جميع أحواله، وأن الله تعالى كان معهما معية خاصة، ويمتنع أن يحصل ذلك لكافر أو منافق.

فعلى هذا يلزم الرافضة تكذيب هذه الآية فيكفرون بهذا التكذيب كما فعل ذلك شيطان الطاق محمد بن جعفر الرافضي^(٣)، لما قال أبو إسحاق إبراهيم النظام^(٤) وبشر بن خالد^(٥) له: «ويحك اما استحيت من الله أن تقول في كتابك في الإمامة أن الله تعالى لم يقل قط في القرآن: ﴿ثَاقِبَ أَشْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لَنَعْلَمُ مَعْنَا﴾»^(٦).

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيثم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته، توفي في سنة (٩٧٤هـ) الأعلام للزركلي (١ / ٢٣٤).

(٢) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندق (١ / ١٩٠).

(٣) هو محمد بن علي بن النعمان الكوفي أبو جعفر يتشيع توفي في حدود الثمانين ومائة وكان معتزلياً وكان أحول، والرافضة تتحلله وتسميه ميمون الطاق كان صيرفياً بالكوفة بطاق المحامل اختلف هو وصيرفي في نقد درهم فغلبه هذا وقال أنا شيطان الطاق فغلب عليه هذا الاسم، الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (٤ / ٧٨).

(٤) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد، الضبيعي، البصري، المتكلم، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ، وتوفي في سنة (٢٢٧هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٠ / ٥٤١).

(٥) هو بشر بن خالد العسكري الفرائضي نزيل البصرة روى عن غندر وأبي أسامة وشبابه وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وأبو بكر بن أبي داود وكان ثقة مأمونا توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين، الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (١٠ / ٩٢).

(٦) سورة التوبة آية ٤٠.

قالا: فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كأننا نحن الذين أذنبنا»^(١) وهذا إلزام علمي.

ومع دلالة هذه الآية على أفضلية أبي بكر رضي الله عنه لكن الرافضة أولوا هذه الآية وأبطلوا دلالتها على منقبة أبي بكر رضي الله عنه فجعلوها ذمًا له وأنه عاص بحزنه في الغار، فقال المفيد: «وإذا صح أن أبا بكر كان عاصيا لله سبحانه بحزنه المجمع على وقوعه منه في الغار، دل على استحقاقه الذم دون المدح، وكانت الآية كاشفة عن نقصه بما بيناه»^(٢).

ويترتب على هذا الاعتقاد إلزامهم بالقدح في من نسب إليه الخوف والحزن من أولي العزم من الرسل ومن غيرهم من الأنبياء بأنهم عصاة ناقصين، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾^(٣). وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾^(٤). وقال عن داود عليه السلام: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾^(٥).

والشواهد على الحزن هي قول الله تعالى عن يعقوب: ﴿وَأَيُّضْتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٦) وقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٧) بل يزعمون أن فاطمة رضي الله عنها جعلت له بيتًا يسمونه بيت الأحران تبكي فيه على فراق أبيها، فإن كان صدور الحزن ذمًا فقد صدر من

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٣٩)

(٢) الافصاح (١ / ١١٦).

(٣) سورة هود آية ٧٠.

(٤) سورة طه آية ٦٧.

(٥) سورة ص آية ٢٢.

(٦) سورة يوسف الآية (٨٤).

(٧) سورة النحل الآية (١٢٧).

الأنبياء ومن الزهراء مثله.

فيلزم الرافضة بقدهم في أبي بكر رضي الله بالنقص والعصيان من أجل الخوف والحزن القدح في أنبياء الله ورسله، وذلك كفر وخروج من الملة. وهناك لازم آخر في صحبته في الغار مفاده كيف يصحب شخصاً يكنُّ له العداء في أخطر سفر في حياته وهو سفر الهجرة وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة فقال:

«وأيضاً فمعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي يعاديه فيه الملاء الذين هم بين أظهرهم ويطلبون قتله وأولياؤه هناك لا يستطيعون نصره فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره وقد أظهر له هذا حزنه وهو مع ذلك عدو له في الباطن والمصحب يعتقد أنه وليه وهذا لا يفعله إلا أحمق الناس وأجهلهم، فقبح الله من نسب رسوله الذي هو أكمل الخلق عقلاً وعلماً وخبرة إلى مثل هذه الجهالة والغباوة.

ولقد بلغني عن ملك المغول خدابنده^(١) الذي صنف له هذا الرافضي كتابه هذا في الإمامة أن الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام إن أبا بكر كان يبغض النبي ﷺ وكان عدوه ويقولون مع هذا إنه صحبه في سفر الهجرة الذي هو أعظم الأسفار خوفاً قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برأ الله رسوله منها

(١) هو السلطان خربندا محمد بن أرغون بن أبغا بن هولكو ابن جنكز خان المغلي القان غياث الدين وخدامندا معناه بالفارسية عبد الله وإنما الناس غيروه وقالوا خربندا، ومعناه عبد الحمار، وهو صاحب العراق وأذربيجان وخراسان ملك بعد أخيه غازان وكانت دولته ثلث عشرة سنة، وكان شاباً مليحاً لكنه كان أعور جواداً لعباً محباً للعمارة أنشأ مدينة جديدة بأذربيجان وهي مدينة سلطانية، وكان مسلماً فما زال به الأمامية إلى أن رفضوه وغير شعار الخطبة وأسقط ذكر الخلفاء من الخطبة سوى علي رضي الله عنه، وتوفي في رمضان سنة ست عشرة وسبع مائة ودفن بسلطانية في تربته، ينظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي (٢/ ١٢٩).

لكن ذكرها على من افترى الكذب الذي أوجب أن يقال في الرسول مثلها حيث قال كان قليل العقل، ولا ريب أن من فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل وقد برأ الله رسوله وصديقه من كذبهم وتبين أن قولهم يستلزم القدح في الرسول»^(١). فتأمل اللازم الذي أورده شيخ الإسلام وخصوصاً قول خدابنده المغولي بحق نبينا بأنه قليل العقل.

المبحث الخامس: إزمات قولهم بأن فعل علي مع أبي بكر محمول على التقية.

لما قبض النبي ﷺ كان أبو بكر غائباً، فأقبل على فرس من مسكنه بالسنة^(٢) حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشي بتوب جبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها، ثم خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: «أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت». قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣) قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها»^(٤).

(١) منهاج السنة (٨ / ٤٣٠-٤٣١).

(٢) بضم أوله وثانيه، بعده حاء مهملة: منازل بنى الحارث ابن الخزرج بالمدينة، بينها وبين منزل رسول الله ﷺ ميل، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد الأندلسي (٣ / ٧٦٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٤٤).

(٤) ينظر: صحيح البخاري (٤ / ١٦١٨) رقم الحديث (٤١٨٧)، باب مرض النبي صلى الله عليه

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبيعوا سعد بن عباد، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فأراد عمر أن يتكلم، فنهاه أبو بكر، فتكلم أبو بكر، فلم يترك شيئاً نزل في الأنصار، فقال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر فلا بايعك، فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر، فأنت أقوى لها مني قال: وكان عمر أشد الرجلين، قال: وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها، ففتح عمر يد أبي بكر وقال: إن لك قوتي مع قوتك قال: فبايع الناس واستثبتوا للبيعة^(١). وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم علىبيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما^(٢)، والدليل على ذلك ما رواه البيهقي والحاكم عن أبي سعيد الخدري قال: (قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عباد، وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم ولو قلتم غير هذا لم نبايعكم فأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، وقال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا الزبير فجاء قال: قلت: ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أردت أن تشق عصا المسلمين، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا بعلي بن أبي طالب قال: قلت: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه^(٣)).

و سلم ووفاته .

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري (٣/ ٢٠٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٣٣).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٤٣) رقم الحديث (١٦٩٧٩)، والمستدرک علی الصحیحین

ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا سألتها الله في سر ولا علانية، فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير ما تأخرنا إلا لأننا أخرجنا عن المشورة، وإننا نرى أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار، وإننا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي^(١).

وهذا اللائق بعلي رضي الله عنه والذي تدل عليه الآثار من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذي القصة بعد موت رسول الله ﷺ، وبذله له النصيحة والمشورة، بين يديه، وأما ما يأتي من مبايعته إياه بعد موت فاطمة، وقد ماتت بعد أيها الصلاة بستة أشهر، فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزلت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك^(٢).

وهنا تتجلى أنواع الالتزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فلما كان علي رضي الله عنه لم يقاتل أحداً على هذا الحق المزعوم، ولا طلبه من أحد، ولا استرده مما يدل على بطلان عقيدة الإمامة وعدم وجود النص المزعوم على الأئمة حاول الرافضة تأويل ذلك بأنه فعله تقية. قال الشريف المرتضى: «اعلم أنا قد بينا في الكتاب (الشافي) في الكلام، وفي كتابنا المعروف بـ (الذخيرة) في باب الإمامة منه الكلام في إظهار أمير المؤمنين رضي الله عنه مبايعة أبي بكر، وكفه عن منازعته.

والذي منعه رضي الله عنه من أن يقوم مقاماً يذكرهم فيه حقه هو ما ذكرنا بعضه وأشارنا

للحاكم (٣/ ٨٠) رقم الحديث (٤٤٥٧)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٣٣).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٣٣).

إلى جميعه ، فكيف يطمع في رجوع القوم بالتذكير والتبصير ، وهو عليه السلام قد شاهدتهم خالفوا الرسول جهارا وعيانا ، وعدلوا عمن نص عليه وأصر بالإمامة إليه . هذا مع قرب العهد الذي لا يقع في مثله نسيان ممن لم يطع ربه تعالى وخالف نبيه صلى الله عليه وآله ، كيف يطمع طامع في إجابته ويرجو رجوعه وطاعته على نفسه طاعته . وإنما أظهر بحكم الضرورة أنه قد رضي بأن كف عن المنازعة والمجادبة بعد أن كان أظهر السخط والكرهية هو وجماعة بني هاشم وجماعة من المهاجرين والأنصار تأخروا عن البيعة ، وجرت في ذلك من المراسلات والمراجعات والمعاتبات والتهويلات والتهديدات ما هو مسطور في كتب العامة فضلا عن الخاصة ، فأوجبت الحال الكف عن إظهار المنازعة والإمساك عن المخالفة حتى لا ينتشر الجبل ويتفرق الشمل»^(١).

لكن هذا منقوض بما سبق في المبحث السابق من أن الدواعي لنصرة علي عليه السلام لاسترداد حقه متوفرة ، لكثرة عدد قبيلته وعزتها ومنعتها ، وأن عمه العباس عليه السلام يميل إليه ، وهو أكبر بني هاشم ، وكذلك أبو سفيان عليه السلام يميل إليه أيضا وهو أكبر بني أمية ، فهم يستطيعون نصرته وإعانتة في رد حقه إليه .

ثانيا: الإلزام الجدلي فيلزم الرافضة بزعمهم أن عليا عليه السلام ترك حقه تقية القدح فيه ، لأنه يدل على ضعفه وجبنه ، ولا يستحق الإمامة والخلافة وسياسة الأمة من اتصف بذلك على حسب مذهبهم .

ثالثا: لازم المذهب فكيف يلجأ أبوبكر الصديق عليه السلام إلى التقية مع ما له من أسباب القوة والنصرة في حقه الواجب المنصوص عليه ، مع أن الإمامة هي أصل الدين وأساسه ، وأنها أفضل أركان الإسلام؟

روى الكليني عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بني الاسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن»^(١).

وكذلك التقية إنما تكون في حالة الخوف والضعف لا في حالة القدرة والقوة والعزة والمنعة.



(١) الكافي الكليني (٢ / ٢٨)

الفصل الثاني

إلزامات قدهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان مذهبهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي، أبو حفص، وأمه حنمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، ولد عمر رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان رضي الله عنه من أشرف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة^(١).

فكان إسلامه عزا ظهر به الإسلام بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجر، فهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا وبيعة الرضوان، وكل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض، وولي الخلافة بعد أبي بكر، ببيع له بها يوم مات أبو بكر رضي الله عنه باستخلافه له سنة ثلاث عشرة، فسار بأحسن سيرة وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس، وفتح الله له الفتوح بالشام، والعراق، ومصر، وهو دون الدواوين في العطاء، ورتب الناس فيه على سوابقهم، كان لا يخاف في الله لومة لائم، وهو الذي نور شهر الصوم بصلاة الإشفاع فيه، وأرخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس إلى اليوم، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين، قتل عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر^(٢).

(١) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ١١٤٤).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١١٤٥).

وقد أجمعت الأمة على بيعه عمر رضي الله عنه والرضا به ^(١).

وإن الرافضة يقدحون في عمر رضي الله عنه كما يقدحون في أبي بكر رضي الله عنه، فقد قدحوا في شخصه وخلافته، فقدحوا في إيمانه وأنه تنقص من مقام النبوة، واتهموه بالشك في دينه. ذكر العاملبي «أن النبي صلى الله عليه وآله طلب دواة وكتب ليكتب لهم كتابا لا يختلفون بعده، وأراد النص على علي رضي الله عنه وتوكيد ما قال في حقه يوم الغدير وغيره، فلما أحس عمر بذلك منعه وقال: إنه يهجر» ^(٢).

وقال ابن جرير الشيعي: «أليس قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد تغرغر: إيتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم ما لا تضلون معه بعدي، فقال الثاني ^(٣): هجر رسول الله!! ثم قال: حسبنا كتاب الله!، وفي هذا القول كفر بالله العظيم» ^(٤). وكذلك طعنوا في صفاته وشمائله، فادعوا أن عمر الفاروق رضي الله عنه تزوج من أم كلثوم بغير رضاها، فروى الكليني عن زرارة، عن أبي عبد الله (ع) في تزويج أم كلثوم فقال: «إن ذلك فرج غصبناه» ^(٥).

واتهموه بالخور والشك عند موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: «وتشكك في موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى تلا عليه أبو بكر: (إنك ميت وإنهم ميتون فقال: كأني لم أسمع هذه الآية» ^(٦).

وذكر العاملبي «أنه بلغ به الجهل إلى إنكار موت النبي حتى قال له أبو بكر:

(١) عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، أكرم ضياء العمري (ص: ٥٥).

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (٣ / ٣).

(٣) في الحاشية قال محقق الكتاب: وفي نسخة «ح»: عمر.

(٤) المسترشد (٢ / ٩٦)

(٥) الكافي الكليني - (٥ / ٤٩٤)

(٦) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص ٥١٢.

(إنك ميت وإنهم ميتون) (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فقال: «الآن أيقنت بوفاته، وكأني لم أسمعها، إن قيل: كان ذلك سهوا قلنا: كيف يقع السهو في الأمور المحسوسة، وخاصة في احترام خاتم النبوة، ومتى جاز السهو في هذه، جاز في جميع الأحكام فلا يوثق بها، وغلبة السهو توجب انعزال قاضي الأمة فضلا عن إمام الأمة»^(١).

كذلك قدحوا في خلافته حيث قدحوا في ثبوت خلافته، وكذلك طعنوا في سياسته وتدبيره، فاتهموه بعدم العدل في قسمة العطاء، ومنع أهل البيت الخمس، وطعنوا في علمه، وزعموا أنه يتناقض في الأحكام، وادعوا أنه حرم متعة الحج ونكاح المتعة، واتهموه كذلك بالابتداع في الدين، واتهموه بالمداهنة في الحدود وغير ذلك من التهم الكثيرة، التي يقدحون بها خلافته وسياسته للأمة الإسلامية^(٢).

المبحث الأول: إلزامات تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر.

قد ثبت أن عليا عليه السلام زوج عمر رضي الله عنه من ابنته أم كلثوم، وولدت له زيد بن عمر، فقد روى الحاكم وغيره عن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب خطب إلى علي أم كلثوم فقال: أنكحنيها، فقال علي: إني أرصدها لابن أخي جعفر، فقال عمر: أنكحنيها، فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصد، فأنكحه علي، فأتى عمر المهاجرين فقال: ألا تهنئوني؟ فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي، وابنة فاطمة بنت رسول الله، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة، إلا ما كان من سببي ونسبي»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب ونسب»^(٣).

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (٥٤ / ٢)

(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (٥٠ / ١٤)

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣ / ١٥٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم =

قال الآجري - رَحِمَهُ اللهُ -: « لما علم علي رضي الله عنه بفصائل عمر رضي الله عنه وحسن منزلته من الله تعالى ومن رسوله ﷺ زوجه ابنته أم كلثوم رضي الله عنها ، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ورضوان الله على فاطمة ، وولدت منه ، ولقد قتل عمر رضي الله عنه وهي عنده رضي الله عنها » (١).

ولكن الرافضة يقدحون في أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ويطعنون في دينه وإيمانه، وفي شمائله.

ولكن زواجه من أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه من فاطمة رضي الله عنها ، مما يلزم الرافضة من التناقض في قدحهم في عمر رضي الله عنه ، لأن ذلك يدل على عدم اعتقاد علي رضي الله عنه لكفر عمر رضي الله عنه ونفاقه كما تزعم الرافضة، فإنه لو كان عمر رضي الله عنه كافرا فمن الممتنع شرعا أن يزوج علي رضي الله عنه ابنته لكافر لا يؤمن بالله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

فمفهوم هذه الآية أن الكافر المشرك لا ينكح إلا زانية أو مشركة، فإذا لم تكن أم كلثوم زانية أو مشركة فلا يجوز لعلي رضي الله عنه أن يزوجها لكافر منافق. وكذلك يلزم الرافضة على قوله بكفر عمر رضي الله عنه ونفاقه القدح في أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها ، بأنها كانت زانية أو مشركة، لأن الكافر نكحها.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (٣)، فالآية تدل على أن قرين الخبيث خبيث، وقرين

= يخرجاه «، والسنن الكبرى للبيهقي (٦٣ / ٧) رقم الحديث (١٣٧٧٦)، وفصائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٦٢٥ / ٢) رقم الحديث (١٠٦٩)، والشرعة للآجري (٥ / ٢٢٢٨).

(١) الشريعة للآجري (٥ / ٢٣٢٩).

(٢) سورة النور آية ٣.

(٣) سورة النور آية ٢٦.

الطيب طيب، فإذا كان عمر عليه السلام كافراً خبيثاً، يلزم أن تكون أم كلثوم كافرة خبيثة، فيلزم الرافضة القدح في ابنة علي عليه السلام، والقدح فيها إيذاء لعلي عليه السلام ولأمها فاطمة عليها السلام، وإيذاؤها إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها**»^(١)، وإيذاؤه إيذاء لله تعالى، وقد لعن الله من آذى الله ورسوله وأعد له العذاب المهيّن، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٢).

وقد حاول علماء الرافضة تأويل هذا الزواج لما يلزمهم من اللوازم فقالوا بأن الزواج كان كرها ولم يكن باختيار علي عليه السلام، لذلك يروون عن أبي عبد الله (ع) في تزويج أم كلثوم فقال: «إن ذلك فرج غصبناه»^(٣).

وقد قال بهذا القول جمع من محققيهم منهم المرتضى (ت ٤٣٦) في كتابه الشافي، وتنزيه الأنبياء، والمجموعة الثالثة من رسائله^(٤)، وفي بعض روايات وأقوال الكليني في الكافي، والكوفي في الاستغاثة^(٥)، والقاضي النعمان في شرح الأخبار^(٦)، والطوسي في تمهيد الأصول والاقتصاد^(٧)، والطبرسي في إعلام الوري^(٨)، والمجلسي في مرآة العقول وبحار الأنوار^(٩)، وغيرهم.

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم، صحيح البخاري (٧/ ٣٧)، صحيح مسلم (٤/ ١٩٠٣)

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٧.

(٣) الكافي (٥/ ٤٩٤)

(٤) الشافي (٣/ ٢٧٢).

(٥) الاستغاثة ص ٨٠، مستدرك الوسائل (١٤/ ٤٤٣).

(٦) شرح الاخبار (٢/ ٥٠٧).

(٧) تمهيد الأصول ص ٣٨٦، الاقتصاد ص ٣٤٠.

(٨) اعلام الوري (١/ ٣٩٧).

(٩) بحار الانوار (٤٢/ ١٠٩).

ولكن يلزمهم على هذا التأويل القدح في علي عليه السلام ووصفه بالجبن وعدم الغيرة، لأنه بلغ منه الجبن وعدم الشجاعة والغيرة إلى أن يزوج ابنته أم كلثوم بنت فاطمة عليها السلام من كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر على أصلهم. فإذا كان علي عليه السلام متصفا بهذه الصفات الدنيئة فلا يستحق أن يتولى شيئا من أمور المسلمين فضلا أن يكون إماما عاما خليفة للمسلمين.

المبحث الثاني: إلزامات دفن عمر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قد سبق في الفصل الأول أن من مناقب أبي بكر رضي الله عنه أنه دفن بجوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فدل ذلك على أنهما خلقا من تربة واحدة، وهذا من أعظم الفضائل. كذلك حصلت هذه المنقبة وهذه الفضيلة لعمر الفاروق رضي الله عنه حيث شرفه الله تعالى بالدفن بجوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا كان على علم من الله تعالى وقضائه وقدره، لأنه قد سبق في علم الله أن عمر رضي الله عنه يستحق هذه المنزلة وهذه الفضيلة، لأن الله تعالى يختار من عباده لفضائله من كان مستحقا لها، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(١)، فدلّت الآية على أن كل من خصه الله بفضيلة من الفضائل فهو على علم من الله تعالى بأنه كان أهلا لهذه الفضيلة.

وفي الصحيح عن عمرو بن ميمون الأودي قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «يا عبد الله بن عمر اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام ثم سلها أن أدفن مع صاحبي قالت كنت أريده لنفسه فلا وثرنه اليوم على نفسه فلما أقبل قال له ما لديك؟ قال أذنت لك يا أمير المؤمنين قال ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني ثم

(١) سورة القصص آية ٦٨.

سلموا ثم قل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فادفنوني وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين»^(١).

وفي الحديث دليل على عظيم حب عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ مع غزير علمه، حيث ذكر أنه ما كان شيء في الدنيا يهمله ويفكر فيه أعظم من مجاورته النبي ﷺ بعد موته، قال: «ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع»^(٢).

وإن عليا رضي الله عنه كان يرى أن عمر رضي الله عنه أحق الناس بجوار النبي ﷺ في حال موته كما كان ألزم الناس به في حياته، وفي الصحيح عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكفاه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي فإذا علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك وحسبت إنني كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول «ذهب أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»^(٣).

وكذلك يدل ذلك على أن الله تعالى خلق عمر رضي الله عنه من التربة التي خلق منها النبي ﷺ، وهذا مما يدل على فضله وشرف منزلته عند الله تعالى ورسوله وقربه من النبي ﷺ في الدنيا والآخرة^(٤).

لأن النبي ﷺ مر بقبر فقال: «من هذا؟». فقالوا: فلان الحبشي.

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٦٩) رقم الحديث (١٣٢٨) باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٢) شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأحمد عبد الفتاح زواوي (٢/ ٢٨٧).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٣٤٨) رقم الحديث (٣٤٨٢) باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) الشريعة للأجري (٥/ ٢٣٦٨)، فضائل الصحابة للدارقطني ص ٦١، فتح الباري (١٣/ ٣٠٨).

فقال: «سبحان الله ، سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها»^(١).

وفيه أنه لا يدفن عبد إلا في طينته التي خلق منها^(٢).

فعلى هذا طينة النبي - ﷺ - التي خلق منها من المدينة وطينة أبي بكر وعمر من طينة النبي وهذه منزلة رفيعة^(٣).

وهنا تتجلى أنواع الإنزيمات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فنجد الرافضة تقدح في عمر ﷺ وتطعن في إيمانه، وتصفه بالكفر والنفاق، لكن يلزم من ذلك القدح في علم الله وحكمته وخلقه حيث خلق الكافر من التربة التي خلق منها خليله ورسوله محمد ﷺ، وجعله بجواره في القبر، لأن ذلك يتناقض مع حكمته، فكيف يجمع الله الطيب والخبيث في الخلق ويجعلهما في مضجع واحد؟

ثانياً: إلزام جدلي ففي دفن عمر ﷺ بجوار النبي ﷺ دليل على فضله وخيريته، ولما رأت عائشة رضي الله عنها كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها، فقال أبو بكر: «إن صدقت رؤياك دفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، فلما مات النبي ﷺ قال لها أبو بكر: خير أقمارك يا عائشة»^(٤).

(١) رواه الحاكم وغيره، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» وأنيس بن أبي يحيى الأسلمي هو عم إبراهيم بن أبي يحيى، وأنيس ثقة معتمد» ولهذا الحديث شواهد، وأكثرها صحيحة»، ووافقه الذهبي فقال: «صحيح وأنيس ثقة وله شواهد صحيحة». المستدرک علی الصحيحین للحاکم (١ / ٥٢١)، وحسنه الألباني حيث قال: «قلت: فالحديث عندي حسن بمجموع طرقه، والله أعلم». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ / ٤٧٤).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٦ / ١١٢).

(٣) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لمحمد بن أحمد المكي الفاسي (٢ / ٤٥٤).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٢٣ / ٤٨).

المبحث الثالث: إلزامات تولية عمر لعلي المدينة.

قد ثبت أن عمر رضي الله عنه لما أراد أن يسير إلى بيت المقدس لفتحها استخلف عليا رضي الله عنه على المدينة، قال ابن كثير: «ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر^(١)، وملخص ما ذكره، هو وغيره، أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق، كتب إلى أهل إيلياء^(٢) يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب. فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه. فركب إليهم في جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم؛ ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار علي بن أبي طالب بالمشير إليهم؛ ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوي ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان. وسار بالجيش نحوهم، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته»^(٣).

هذا مما يدل على أن عليا رضي الله عنه كان معينا وناصرًا لعمر رضي الله عنه في خلافته، وأنه يعتقد ثبوت خلافته وصحتها، حتى أنه يقلد له عمر رضي الله عنه القيادة ويستخلفه على

(١) هو سيف بن عمر الاسدي التميمي البغدادي كوفي الاصل من اصحاب السير توفي ببغداد في خلافة الرشيد سنة ٢٠٠ له، كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي، وكتاب الفتوح الكبير والردة، هدية العارفين لإسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي.

(٢) بكسر أوله واللام، وياء، وألف ممدودة، اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، وفيه القصر ولغة ثالثة، حذف الياء الأولى فيقال: إلباء بسكون اللام والمد، وقيل: إنما سميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، معجم البلدان (١/ ٢٩٣).

(٣) البداية والنهاية (٩/ ٦٥٥)، وانظر تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٨)، وفتوح الشام للواقدي (١/ ٢٢٧).

المدينة ويخوله أمرها وتدير شؤونها حتى يرجع إليها، وبهذا يلزم الرافضة أن يعتقدوا صحة خلافة عمر رضي الله عنه كما اعتقد صحتها علي رضي الله عنه، وإلا يلزمهم القدح في علي رضي الله عنه حيث قبل الاستخلاف من الكافر وصار عاملاً له، فيأثم بذلك ويكون عاصياً لله تعالى لأنه قبل الولاية من الكافر بدلاً من أن يزيله منكرًا للمنكر، مع قدرته على ذلك، وتوفر الدواعي.

وكذلك كان عمر رضي الله عنه يستشير علياً رضي الله عنه في شؤون الخلافة وأمور الفتوحات والقتال، ويشير إليه بما يراه رأياً سديداً، فإنه ورد أن عمر رضي الله عنه لما أراد أن يخرج إلى دفع فتنه نهاوند ^(١) استشار علياً رضي الله عنه فقال له علي: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعده وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع. ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان النظم من الخرز يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظم تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيه أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام وعزيزون بالاجتماع، فكن قطبا، واستدر الرحي بالعرب...» ^(٢).

وأيضاً وقد استشاره عمر رضي الله عنه في الخروج إلى غزو الروم بنفسه فقال له علي رضي الله عنه: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتكذب لا تكن للمسلمين كافئة» ^(٣) دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث

(١) بفتح النون الأولى وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مهملة، هي مدينة عظيمة في قبلة همدان بينهما ثلاثة أيام، وهي أعتق مدينة في الجبل، وكان فتحها سنة ١٩، ويقال سنة ٢٠، وقيل: سنة ٢١ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأمير المسلمين النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه، معجم البلدان لياقوت الحموي (٥ / ٣١٣).

(٢) نهج البلاغة (٢ / ٢٠).

(٣) سائرة، والهاء للمبالغة، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤ / ٢٠٥).

إليهم رجلا محاربا، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الاخرى كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين»^(١).

«فعلم بالصراحة أن عليا عليه السلام كان معينا وناصرا وناصحا أميناً لعمر بن الخطاب، ولو كان بينهما نفاق والعياذ بالله لأشار عليه بالذهاب إلى العجم، وإذا اشتغل عمر وأهل عسكره بالقتال تصرف الأمير بالحجاز التي كانت دار الإسلام واتبعه الناس طوعا أو كرها»^(٢).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولا: الإلزام العلمي فقد دل ما سبق على أن عليا عليه السلام يعتقد صحة خلافة عمر عليه السلام، لذلك كان له ناصرا ومعينا، وخليفة ووزيرا مستشارا.

ثانيا: الإلزام الجدلي فبقدرح الرافضة في خلافة عمر عليه السلام يلزمهم التناقض والقدح في علي عليه السلام، لأنه رضي بخلافة عمر رضي حتى كان له وزيرا، فيصير - على أصلهم - إما جبانا أو منافقا وغاشا للأمة الإسلامية، فلا يستحق الإمامة عندئذ.

المبحث الرابع: إلزامات الفتوحات التي حصلت في عهد عمر.

شهد عهد عمر عليه السلام الذي امتد حوالي عشر سنوات بالفتوحات الواسعة والإنجازات الكبيرة النافعة للأمة الإسلامية، حيث توسعت الدولة الإسلامية وفتح العراق وفارس، فكانت موقعة الجسر^(٣) بين جيش المسلمين والفرس

(١) نهج البلاغة (٢ / ١٣).

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٧١.

(٣) بكسر الجيم: إذا قالوا الجسر ويوم الجسر ولم يضيفوه إلى شيء فإنما يريدون الجسر الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة، ويعرف أيضا بيوم قس الناطف، ويقال بل كان الجسر قديما هناك لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد، وذلك في سنة ١٣ للهجرة، معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ / ١٤٠).

بقيادة أبي عبيد بن مسعود رضي الله عنه ^(١) ^(٢)، ثم كانت موقعة البويب ^(٣) بقيادة المثنى بن حارثة ^(٤) التي انتهت بهزيمة الفرس ثم كانت موقعة القادسية ^(٥) بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، حيث انتهت بهزيمة الفرس شر هزيمة ^(٦)، وبقتل قائدهم رستم ^(٧).

(١) هو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، صاحب المنبر الذي استشهد في جماعة من المسلمين في قتال الفرس، فيقال: قتل يوم جسر أبو عبيد، وهو والد المختار بن أبي عبيد الذي غلب على الكوفة في خلافة عبد الله بن الزبير سنة ثلاث عشرة، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٧ / ٢٢٣)، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤ / ١٧٠٩).

(٢) ينظر: فتوح البلدان للبلاذري (ص: ٢٤٨).

(٣) نهر كان بالعراق موضع الكوفة، كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق، وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه في الجوف العتيق، معجم البلدان لياقوت (١ / ٥١٢).

(٤) هو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيان الرّبيعي الشيباني، كان إسلامه وقدمه في وفد قومه على النبي ﷺ سنة تسع، وقيل: سنة عشر، وبعثه أبو بكر سنة إحدى عشرة في صدر خلافته إلى العراق قبل مسير خالد بن الوليد إليها، وكان المثنى شجاعاً شهماً بطلاً، ميمون النّية، حسن الرأي والإمارة، أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد، وكتب عمر بن الخطاب في سنة ثلاث عشرة حين ولي الخلافة، وبعث أبا عبيد بن مسعود في ألف من المسلمين إلى العراق، وكتب إلى المثنى بن حارثة أن يتلقى أبا عبيد بن مسعود، فاستقبله المثنى في ثلاثمائة من بكر بن وائل ومائتين من طيء وأربعمائة من بني ذبيان وبني أسد، وذلك في سنة ثلاث من ملك يزيد جرد، فالتقوا مع الفرس، واستشهد أبو عبيد، برك عليه الفيل، وسلم المثنى بن حارثة، قتل المثنى سنة أربع عشرة قبل القادسية، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٤٥٦)، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥ / ٥٦٨).

(٥) بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، وهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في سنة ١٦ من الهجرة، وقتل فيها رستم قائد الفرس ولم يبق للفرس بعده قائمة، معجم البلدان (٤ / ٢٩١).

(٦) ينظر: تاريخ الطبري (٣ / ٤٨٦).

(٧) هو رستم صاحب يزيد جرد كان قائد الفرس في القادسية، وقتل فيها، انظر: تاريخ الطبري (٣ / ٥٦٤).

وبعد موقعة القادسية وانتصار المسلمين بها توجه المسلمون إلى المدائن^(١) عاصمة دولة الفرس ففتحوها بعد هروب يزدجر^(٢) ملك الفرس، وبعد ذلك فتحوا جلولا^(٣) وحلوان^(٤) وتكريت^(٥) والموصل^(٦) وغيرها من مدن العراق وفارس، وكذلك فتحوا نهاوند^(٧) بقيادة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بعد استشهاد النعمان بن مقرن^(٨) رضي الله عنه.

(١) كانت سبع مدن من بناء الأكاسرة على طرف دجلة، وقيل: إنها من بناء كسرى الخير أنوشروان. سكنها هو وملوك بني ساسان بعده إلى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما اختار هذا الموضع للطافة هوائه وطيب تربته وعذوبة مائه، وكان فتح المدائن كلها على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، آثار البلاد وأخبار العباد للقريني (ص: ٤٥٣)، ومعجم البلدان لياقوت (٥/ ٧٥).

(٢) هو يزدجرد بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف، الملقب بالأثيم، وكان آخر ملوك الفرس، كان فظا غليظا ذا عيوب كثيرة، وكان ملكه في قول بعضهم اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما وفي قول آخرين إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما، تاريخ الطبري (٢/ ٦٣).

(٣) بالعراق في أول الجبل، وهي مدينة صغيرة عامرة بها نخل وزروع، ومنها إلى خانقين سبعة وعشرون ميلا، وعليها كانت الواقعة أيام عمر رضي الله عنه بالفرس، وكان فتحها يسمى فتح الفتوح قتل فيها من الأعاجم مائة ألف وذلك سنة تسع عشرة، الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص: ١٦٧)، ومعجم البلدان لياقوت (٢/ ١٥٦).

(٤) بالضم ثم السكون مدينة بعراق، وهي بقرب الجبل، وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وفتح جرير حلوان صلحا، وكان فتحها في سنة ١٩ هـ، ينظر: معجم البلدان لياقوت (٢/ ٢٩٠).

(٥) بفتح التاء والعامية يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، وافتتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب في سنة ١٦، أرسل إليها سعد بن أبي وقاص جيشا عليه عبد الله بن المعتم فحاربهم حتى فتحها عنوة، معجم البلدان لياقوت (٢/ ٣٨).

(٦) بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، معجم البلدان لياقوت (٥/ ٢٢٣).

(٧) بكسر أوله، ثم السكون: موضع بالشام، كانت للمسلمين مع الروم به وقعة، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن البغدادي (٣/ ١٠١٨).

(٨) هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، كان صاحب لواء مزينة يوم الفتح، وهو الذي قدم بشيرا على عمر بفتح القادسية، وهو الذي فتح أصبهان، واستشهد بنهاوند، سكن البصرة، ثم تحول=

وأما الفتوحات في بلاد الشام فكانت بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بعد عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قيادة الجيش بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه، ففتح المسلمون فحل، كما عاد أبو عبيدة بجيوش المسلمين إلى دمشق ففتحوها واستخلف أبو عبيدة رضي الله عنه عليها يزيد بن أبي سفيان ^(١) رضي الله عنه، ثم توجه هو وخالد بن الوليد رضي الله عنه إلى مدينة حمص وفتحوها صلحا، ثم كانت موقعة اليرموك ^(٢) بين المسلمين والروم التي انتهت بهزيمة جيش الروم، ثم فتحوا فلسطين المقدس بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، حتى سار عمر رضي الله عنه بنفسه من المدينة إلى بيت المقدس في نحو أربعة آلاف ففتحها صلحا، ثم فتح الله قيسارية ^(٣) على يد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعد وفاة أخيه يزيد رضي الله عنه، الذي قلده أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لقيادة الجيش بعد وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه، وفتح معاوية رضي الله عنه عسقلان ^(٤) صلحا.

ثم كانت فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، كل هذا كان في عهد عمر رضي الله عنه. وهنا تتجلى أنواع الإنجازات المتعددة كما يلي:

= إلى الكوفة، وكان موته سنة إحدى وعشرين، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٥٠٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٣٥٧).

(١) هو يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان أفضل بني أبي سفيان. كان يقال له يزيد الخير، أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بغير وأربعين أوقية وزنها له بلال، واستعمله أبو بكر الصديق وأوصاه وخرج يشيعه راجلاً، وولى يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وناحيتها، بعد موت معاذ بن جبل رضي الله عنه، وكان موته في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وقيل: سنة تسع عشرة بعد أن افتتح قيسارية، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٤ / ١٥٧٥).

(٢) واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المتنته، كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، معجم البلدان لياقوت (٥ / ٤٣٤).

(٣) مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم حاصرها معاوية سبع سنين إلا أشهراً ثم فتحها الله للمسلمين، معجم البلدان (٤ / ٤٢١).

(٤) بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم قاف، وآخره نون، وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام، معجم البلدان (٤ / ١٢٢).

أولاً: الإلزام العلمي فكل هذه الفتوحات التي كانت للدولة الإسلامية إنما جعلها الله تعالى على يد عمر رضي الله عنه في عهد خلافته، وهو مما شرف الله به هذا الخليفة الذي نصر الله به دينه وأعلى به كلمته، واختاره الله لهذه المهمة العظيمة، وكل ذلك كان بما سبق في علم الله أن عمر رضي الله عنه أهل لهذه المهمة العظيمة، التي لا يقوم بها إلا من اختاره الله تعالى من بين عباده لما له من الصفات العظيمة ولما تميز به من الفضائل الشريفة والمنزلة الرفيعة عنده وعند رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد مكن الله تعالى لعمر رضي الله عنه الأرض ووسع له البلاد، وظهره الله على الكفار بسبب إيمانه بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (١).

قال ابن عباس: «يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها، ويظهر دينهم على جميع الأديان» (٢).

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» قال الرواي: «وكان أحبهما إليه عمر» (٣).

فجعل الله دعوة رسوله لعمر بن الخطاب فبنى عليه الإسلام وهدم به الأوثان (٤). قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «كان إسلام عمر عزا، وكانت هجرته نصرا، وكانت

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) التفسير الوسيط للواحيدي (٣/ ٣٢٧).

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٦١٧) رقم الحديث (٣٦٨١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر»، وسنن ابن ماجه (١/ ٣٩) وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٨٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ٣٠) برقم (٦٨٤٣).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ١٥٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٨٩).

خلافته رحمة ، والله ما استطعنا أن نصلي ظاهرين حتى أسلم عمر، وإني لأحسب أن بين عيني عمر رضي الله عنه ملكا يسدده فإذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر»^(١).

وقال أبو عمر بن عبد البر: «فكان إسلامه عزا ظهر به الإسلام بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجر، فهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرا وبيعة الرضوان، وكل مشهد شاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عنه راض، وولي الخلافة بعد أبي بكر، ببيع له بها يوم مات أبو بكر رضى الله عنه باستخلافه له سنة ثلاث عشرة، فسار بأحسن سيرة وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس، وفتح الله له الفتوح بالشام، والعراق، ومصر، وهو دون الدواوين في العطاء، ورتب الناس فيه على سوابقهم، كان لا يخاف في الله لومة لائم، وهو الذي نور شهر الصوم بصلاة الإشفاع فيه، وأرخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس إلى اليوم، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين»^(٢).

ثانيا: الإلزام الجدلي فيلزم أن هذه المهمة العظيمة والفضيلة الكريمة يمتنع أن يجعلها الله على يد كافر ظالم منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فكيف يكرم الله الكافر بهذه الأعمال الجليلة، والفتوحات الإسلامية الواسعة، ولا يجعلها في علي رضي الله عنه عبده المؤمن التقي؟

فإذا تصور هذا يلزم الرافضة القدح في حكمة الله تعالى، وأنه يفعل بلا حكمة، لأن الحكمة تأبى أن يكرم الله الكافر بالأعمال الجليلة ويترك عبده المؤمن لا يجعل نصرة الإسلام وهذه الفتوحات الكبيرة الواسعة النافعة على يديه.

ثالثا: لازم المذهب فقد ورد في كتب الرافضة (أن رسول الله سأل ربه أن يعز الإسلام بعمر بن الخطاب)^(٣).

(١) الشريعة للأجري (٤ / ١٧٣٦)، والمعجم الكبير للطبراني (٩ / ١٨٢).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣ / ١١٤٥).

(٣) بحار الأنوار (١٢ / ٧٥) تفسير العياشي (٢ / ٣٥٥)، البرهان (٢ / ٤٧٢) تفسير الصافي (٣ / ٢٤٦).

الفصل الثالث

إلزامات قدهم في عثمان بن عفان رضي الله عنه

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان قدهم في عثمان بن عفان رضي الله عنه

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الله، وأبا عمرو، كنيّتان مشهورتان له، ولد في السنة السادسة بعد الفيل، هاجر إلى أرض الحبشة فارادينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكان أول خارج إليها، وتابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة^(١).

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة^(٢)، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض^(٣).
حفر بئر رومة، وجهز جيش العسرة، ووعد بهما رسول الله ﷺ الجنة^(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما ضر عثمان ما عمل، غفر الله لك يا عثمان»^(٥).

- (١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ١٠٣٧).
- (٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ١١٤) رقم الحديث (٨٥)، ومُصنف ابن أبي شيبة (١٢/ ١٥) رقم الحديث (٣٢٦١٦)، ومُسند أحمد (٣/ ٢٠٩) رقم الحديث (١٦٧٥) وقال محققوه: «إسناده قوي على شرط مسلم»، وسنن أبي داود (٤/ ٣٤٣) رقم الحديث (٤٦٥١)، وصححه الشيخ الألباني في الحكم عليه، وسنن ابن ماجه (١/ ٤٨) رقم الحديث (١٣٣).
- (٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٣٩).
- (٤) ينظر: صحيح البخاري (٣/ ١٠٢١) رقم الحديث (٢٦٢٦)، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- (٥) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٥١٨) رقم الحديث (٨٥٤)، وسنن الترمذي (٥/ ٦٢٦) رقم الحديث (٣٧٠١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»،

وقال عليه السلام: «ألا أستحيي من رجل لتستحيي منه الملائكة»^(١).

وعن قتادة أن أنسا رضي الله عنه حدثهم قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال «اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»^(٢).

وقال عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لقد كان من خيرنا وأوصلنا للرحم»^(٣).
وقال عبد الله بن مسعود حين استخلف عثمان رضي الله عنه: «لقد استخلفنا أفضل من وجدنا، ولم نأل»^(٤).

وإن الرافضة كانت تقدح في عثمان رضي الله عنه في شخصه وخلافته، فطعنوا في إيمانه واتهموه بالكفر كما نقل ذلك الحلي: «وقيل لزيد بن أرقم: بأي شيء أكفرتم عثمان؟ فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وآله بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله، وكان حذيفة يقول: ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنني أشك في قاتله: لا أدري، أكان قتل كافرا؟ أو مؤمنا خلص إليه النية، حتى قتله أفضل المؤمنين إيمانا»^(٥).

وقال الحاكم في المستدرک (٣/ ١٠٢): «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٢٠١) برقم (٣٧٠١).
(١) مسند أحمد (٤٢/ ١٢٠) رقم الحديث (٢٥٢١٦)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والمعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٣٢٧) رقم الحديث (١٣٢٥٣)، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣/ ١٠٨): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٣٥٣) رقم الحديث (٣٤٩٦) باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(٣) المجالسة وجواهر العلم للدينوري المالكي (٢/ ١٦٢)، وتثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٣٠٧).
(٤) معجم ابن المقرئ الأصفهاني (ص: ١٢٣)، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٦١).
(٥) منهاج الكرامة ص ٤٨.

فكان الرافضة يكفرون عثمان رضي الله عنه، ويتهمونه بالعظائم، لكن هذا منقوض بما تتواتر من إيمانه وفضائله ومصاهرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذلك قدحوا في خلافته وسياسته، ومن ذلك قالوا بعدم ثبوت خلافته لكونه كافرا في الجاهلية ثم أسلم، فلذلك لا يمكن أن يكون إماما للمسلمين، بشبهة عندهم في قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (١٢٤)، قال الحلبي: «أخبر بأن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم والكافر، لقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولا شك في أن الثلاثة كانوا كفارا يعبدون الأصنام إلى أن ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» (٢).

فهذا الاستدلال يتناقض مع ما دلت عليه أدلة الشريعة من أن الإسلام يجب ما قبله، بحيث إذا أسلم المرء صار كيوم ولدته أمه، لا يضره ما سبق من الذنوب التي ارتكبها في حالة كونه كافرا أو عابدا للأوثان في الجاهلية. والمراد بالظالم في الآية هو من كان متلبسا بالظلم لا من تاب عنه واقلع عنه.

وكذلك طعنوا في سياسته، فاتهموه بتضييع الحدود، قال الحلبي: «وضع حدود الله، فلم يقد عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين رضي الله عنه بعد إسلامه، وكان أمير المؤمنين رضي الله عنه يطلب عبيد الله لإقامة القصاص عليه، فلحق بمعاوية وأراد أن يعطل حد الشرب في الوليد بن عقبة، حتى حده أمير المؤمنين رضي الله عنه، وقال: لا يبطل حد الله وأنا حاضر» (٣).

واتهموه بتولية غير الأكفاء وتولية أقاربه واتهموه بالابتداع في الدين وغير ذلك من التهم والطعن في خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الهجرتين وزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٢) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (١٤ / ٥).

(٣) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (٩ / ١٢).

المبحث الأول: إنزامات تزويج النبي ﷺ ابنتيه لعثمان.

قد ثبت أن رسول الله ﷺ زوج عثمان رضي الله عنه ابنتيه رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما، عن ابن اسحق قال: «وعاشت رقية حتى تزوجها عثمان بن عفان، فلما ماتت زوجها رسول الله ﷺ أم كلثوم»^(١).

تزوج عثمان بن عفان برقية بنت رسول الله ﷺ في الجاهلية، فولدت له عبدالله بن عثمان به، كان يكنى عثمان أول أمره حتى توفي وكنى بعد ذلك بأبي عمرو بن عثمان وبكل قد كان يكنى، ثم توفيت رقية رضي الله عنها زمن بدر فتخلف عثمان رضي الله عنه على دفنها، وكان عثمان رضي الله عنه هاجر إلى أرض الحبشة وهاجر برقية رضي الله عنها معه وتوفيت رقية بنت رسول الله ﷺ يوم قدم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ببشرى فتح بدر^(٢).

«وإنهما لأول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام»^(٣). ثم تزوج بأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث من الهجرة، فلم تزل عنده حتى ماتت، ولم تلد له، وكانت وفاتها في شعبان سنة تسع من الهجرة^(٤).

وقال ﷺ: «يا عثمان، هذا جبريل عليه السلام يخبرني أن الله عز وجل، قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها»^(٥).

وقال أيضاً: «فلو كان لي عشر لزوجتهن عثمان، وما زوجته إلا بوحى من السماء»^(٦).

(١) السير والمغازي لابن اسحاق ص ٢٤٥.

(٢) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٥ / ٣٧٥)، وينظر: المعجم الكبير للطبراني (٢٢ / ٤٣٥) رقم الحديث (١٠٥٨)، والسنن الكبرى للبيهقي (٦ / ٣٣٥) رقم الحديث (١٣٣٠٦).

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٤ / ٥٠).

(٤) ينظر: تاريخ الطبري (١١ / ٥٩٥).

(٥) الشريعة للأجري (٤ / ١٧٤٧)، والكنى والأسماء للدولابي (١ / ٢٠).

(٦) الشريعة للأجري (٤ / ١٧٤٧) والمعجم الكبير للطبراني (٢٢ / ٤٣٦) رقم الحديث (١٠٦١).

وإنه إنما يسمى عثمان ذا النورين ، لأنه لم يجمع بين ابنتي نبي في التزويج واحدة بعد الأخرى من لدن آدم عليه السلام ، إلا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلذلك سمي ذا النورين ، فهذه أحد مناقبه الشريفة ^(١).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فكان هذا التزويج والمصاهرة مما يدل على رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان رضي الله عنه ، وأنه ممن كان كفواً لبنات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان مؤمناً بالله ورسوله ، لأنه لو كان كافراً فلا يجوز أن يزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو واحدة ، فضلاً أنه تزوج ابنتيه ، لأن الله تعالى نهى عن تزويج الكفار ، فقال تعالى: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) ^(٢) ، فإن حرم الله تعالى أن ترجع المؤمنات إلى الكفار ، فكيف بتزويجهن لهم ؟ فعلم الله تعالى أنهن لسن حلالاً لهم ، فلا يجوز تزويجهن للكفار ، لأنه لا زواج بينهم .

ثانياً: الإلزام الجدلي فإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج ابنتيه لعثمان رضي الله عنه ، لزم أن يكون عثمان رضي الله عنه مؤمناً لا كافراً ، لأنه يمتنع أن يزوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته للكافر ، وإن لم يعلم بكفره تقتضي حكمة الله أن يوحى الله تعالى إليه ويعلمه بكفره ، حتى لا يزوج ابنته للكافر ، لأن ذلك لا يجوز شرعاً .

فإذا لم يكن ذلك لزم الرافضة القدح في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه عصى ربه ، لأنه زوج ابنته ثم الأخرى للكافر بعد أن نهى الله عن ذلك .

فيلزم الرافضة جدلياً في هذا الموقف أحد أمرين ، إما أن يعتقدوا إيمان عثمان رضي الله عنه كما اعتقد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه والمسلمون ، وإما أن يقعوا في قدح النبي صلى الله عليه وسلم في عصمته ، وذلك كفر مخرج من الملة باتفاق المسلمين .

(١) الشريعة للأجري (٤ / ١٧٤٧) .

(٢) سورة الممتحنة آية ١٠ .

المبحث الثاني: إزامات جمع القرآن في مصحف واحد بأمر عثمان.

قد تكفل الله بحفظ كتابه الكريم، فحفظه تعالى من الضياع والتحريف والزيادة والنقصان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا يستطيع أحد أن يعبث بالقرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، وقد جعل الله لذلك أسباباً ووسائل، ومنها أنه تعالى جعل القرآن محفوظاً في صدور الرجال، كما قال تعالى: ﴿هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٢)، فكان القرآن محفوظاً في صدور الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم الخليفة عثمان رضي الله عنه، كان من حفظة كتاب الله، وكان أول من عرض القرآن على رسول الله ﷺ، لذلك جعله الحافظ الذهبي على رأس الطبقة الأولى فقال:

«باب الطبقة الأولى الذين عرضوا على رسول الله ﷺ:

١ - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أمير المؤمنين أبو عمرو، وأبو عبد الله القرشي الأموي ذو النورين رضي الله عنه. أحد السابقين الأولين وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ»^(٣). وقال ابن الجزري: «عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله وأبو عمرو القرشي الأموي أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأولين وأحد من جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ وعرض عليه»^(٤)، فكان عثمان رضي الله عنه مهتماً بالقرآن اهتماماً بالغاً منذ عهد رسول الله ﷺ، حتى جعله الله تعالى ثاني خادم للقرآن حيث قام بجمعه في مصحف واحد.

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٩.

(٣) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ص ٩.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء (١ / ٥٠٧).

ومن تلك الأسباب والوسائل التي جعلها الله لحفظه تعالى للقرآن جمع القرآن، كما جمعه الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث جمعه في الصحف، وجمع الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث جمعه في مصحف واحد من الصحف التي جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن فيها، فكان سبب جمع عثمان رضي الله عنه هو الخوف من الاختلاف والشقاق في القرآن.

كما روى البخاري (عن أنس بن مالك، حدثه: أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، وإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف، أن يحرق^(١).

وروى ابن أبي داود: (عن أبي قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٨٣).

فيه فتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً، وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماماً^(١).

وكان ذلك باعتماد القراءات المتواترة التي يمكن أن يقرأ بها القرآن الكريم، وكان ذلك بإجماع الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكن ذلك اجتهاد من عثمان رضي الله عنه وحده، حتى تمنى علي رضي الله عنه أن يفعل مثل ما فعل من جمع القرآن في مصحف واحد، لأنه مما ترجحت مصلحته وتبينت منفعته، وظهر مأخذه.

قال البغوي: «ثم إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرءون القرآن بعده على الأحرف السبعة التي أقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله عز وجل، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان، وعظم الأمر فيه، وكتب الناس بذلك من الأمصار إلى عثمان، وناشدوه الله تعالى في جمع الكلمة، وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر، وقدم حذيفة بن اليمان من غزوة أرمينية، فشافه بذلك، فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار، وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد، ليزول بذلك الخلاف، وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه، وحضوه عليه، ورأوا أنه من أحوط الأمور للقرآن، فحينئذ أرسل عثمان إلى حفصة، أن أرسل إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، فأرسلت إليه، فأمر زيد بن ثابت، والرهط القرشيين الثلاثة فنسخوها في المصاحف، وبعث بها إلى الأمصار، وإن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يقولون: أحسن والله عثمان»^(٢).

قال ابن بطّة: «وكذلك كانت متابعة علي لعثمان - رضي الله عنه - في جمع الناس على مصحف واحد، وتصويبه رأي عثمان فيه، وإنكاره على من أنكر ذلك على عثمان، وقال: (لو وليت لفعلت الذي فعل عثمان في المصاحف)»^(٣).

(١) المصاحف لابن أبي داود ص ٩٥.

(٢) شرح السنة للبغوي (٤/ ٥٢٣) وما بعدها.

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطّة (٨/ ٤٠٤).

وقال ابن بطلال: «فجمع عثمان المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا على جمع القرآن وعرضه وأخذه للناس بما صح وثبت من القراءات المشهورة عن النبي - ﷺ -، وطرح ما سواها واستصوبوا رأيهم، وكان رأيا سديدا موقفا»^(١).

وكان هذا العمل الجليل الذي قام به عثمان رضي الله عنه من خدمة كتاب الله وجمعه في مصحف واحد، قد عده المسلمون من مناقبه ومن أعظم فضائله ومحاسنه، لأنه قد حسم الله به الخلاف والشقاق والنزاع في القرآن بين المسلمين، وجمع به كلمة المسلمين، وكان ذلك تحقيقا لوعده الله تعالى بحفظ القرآن. وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولا: الإلزام العلمي فمما يلزم الرافضة الإقرار بإيمان عثمان رضي الله عنه وصحة خلافته، حيث كان مهتما بالقرآن حفظا في الصدر والمصحف، فلا يتهم من جمع الله القرآن في صدره بالكفر والنفاق إلا زائغ حاقد، وكذلك جمعه في المصحف مما يدل على صحة خلافته، لأنه لو كانت خلافته باطلة لما وفقه الله لهذا العمل الجليل، الذي تحقق به وعده الله تعالى بحفظ كتابه الكريم، حتى تمنى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يفعل مثله.

ثانيا: الإلزام الجدلي فمما يلزم الرافضة أن هذا العمل الذي قام به عثمان رضي الله عنه لم يكن اجتهاد فردي الذي لم يوافق عليه، بل قد وافق عليه جميع الصحابة رضي الله عنهم كما شهد بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى تمنى أن يكون له مثل هذا العمل لجلالته، هذا مما يرد كل ما افتراه الرافضة، وما زعموا من التهم في جمع عثمان للقرآن الكريم.

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطلال (١٠ / ٢٢٣).

ثالثاً: لازم المذهب فقد روى ابن أبي داود (عن سويد بن غفلة الجعفي قال: والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من علي بن أبي طالب عليه السلام سمعته يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت قال: فقل: أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرأهم زيد بن ثابت، فقال: ليكتب أحدهما ويمل الآخر ففعلاً وجمع الناس على مصحف. فقال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل) ^(١).

المبحث الثالث: الإنذارات تجهيز عثمان لجيش العسرة.

المراد بجيش العسرة، هو جيش غزوة تبوك، ويسمى جيش العسرة؛ لأنهم أمروا بالخروج لما طابت الثمار واشتد الحر وطاب لهم الظلال، وشق عليهم الخروج لبعده المسافة، وعسرة من الماء، وعسرة من النفقة والظهر، وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأغنياء على النفقة والحملان ^(٢)، وقيل: سميت جيش العسرة؛ لأنها كانت زمان شدة الحر وجذب البلاد، وكانت المناهضة إلى عدو جم العدد شديد البأس ^(٣).

وخرج إليها عليه السلام يوم الاثنين غرة رجب ورجع سلخ شوال ^(٤)، وكان سبب

(١) المصاحف لابن أبي داود ص ٩٧، وشرح السنة للبغوي (٤ / ٥٢٤).

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودي (١ / ٢٣٥).

(٣) ينظر: شرح المشكاة للطبري (١٢ / ٣٨٧٣).

(٤) المحبر لأبي جعفر البغدادي (ص: ١١٦).

هذه الغزاة أن هرقل أظهر قصد رسول الله ﷺ بنفسه فقال النبي تهَيَّؤوا لغزاة الروم^(١).

قال ابن كثير: « فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله^(٢) ».

روى عبد الرحمن بن خباب قال: (شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله، علي ثلثمائة بعير بأحلاسها في سبيل الله؛ فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «**ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه**»^(٣)).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كفه - حين جهز جيش العسرة - فنثرها في حجره ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها في حجره ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»^(٤).

(١) البدء والتاريخ للمقدسي (٤ / ٢٣٩).

(٢) البداية والنهاية (٥ / ٥).

(٣) أحمد «٤ / ٧٥» والترمذي «٥ / ٦٢٥ / ح ٣٧٠٠» في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ. وأبو بكر بن مالك في زوائد فضائل الصحابة «ح ٨٢٢ و ٨٢٣». وإسناده ضعيف فيه الفرقد أبو طلحة وهو تابعي صغير مجهول. ويشهد له الذي بعده.

(٤) أحمد «٥ / ٦٣»، والترمذي «٥ / ٦٢٦ / ح ٣٧٠١» في المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ. وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وفيه كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة. قال الحافظ: مقبول. وقد وثقه العجلي وابن حبان. وروى عنه عدة فحديثه حسن.

وقال عليه السلام: «من جهز جيش العسرة غفر الله له»^(١).

وقال قتادة: «إن عثمان رضي الله عنه جهز في جيش العسرة تسعمائة وثلاثين بعيرا وسبعين فرسا»^(٢).

ثانيا: الإلزام الجدلي فلا شك أن الإنفاق في سبيل الله من أعظم دلائل الصدق فالإنسان مجبول على حب المال فكيف بمن يخرج هذا المال في وقت الضيق وينال شهادة تزكية من نبي الأمة محمد صلى الله عليه وآله ويلزم من ذلك أن عثمان رضي الله عنه مات على الإيمان والتوفيق من الله جل وعلا.

المبحث الرابع: الإنزامات عدم منازعة علي لعثمان الخلافة مع قدرته على ذلك.

قال عمر رضي الله عنه: «فإن عجل بي أمر ، فالخلافة شوري بين هؤلاء الستة»^(٣) ، ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن»^(٤).

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «إنكم لا تستقيمون على أمر وأنتم خمسة ، فليعاد كل رجل منكم ، وأنا عديد الغائب» ، فتعاد علي والزبير ، فولى الزبير أمره عليا ، وتعاد عثمان وسعد ، فولى سعد أمره عثمان ، فقال عبد الرحمن للزبير وسعد: وليتما أمركما عليا وعثمان ، فاعتزلا ، وخلا عبد الرحمن وعلي وعثمان ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أنتما بنو عبد مناف ، فاخترارا: إما أن تتبرءا من

(١) مسند أبي داود الطيالسي (١ / ٨٠) ، ومُصنف ابن أبي شيبة (١٢ / ٤٠) ، وصححه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠ / ٦٢).

(٢) الشريعة للأجري (٤ / ١٧٤٨) ، ومُصنف ابن أبي شيبة (١٢ / ٤٣) ، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١ / ٤٥٣).

(٣) صحيح مسلم (٢ / ٨١) رقم الحديث (١١٩٥).

(٤) صحيح البخاري (٣ / ١٣٥٣) رقم الحديث (٣٤٩٧) باب البيعة والانفاق.

الإمرة، فأوليكما الأمر، فتختارا لأمة محمد ﷺ رجلا، وإما أن تولياني ذلك وأبرأ من الإمرة. فولياه ذلك، فدعاه ربه ساعة، ورفع يديه، ثم أخذ بيد علي فقال: الله عليك راع إن أنا بايعتك لتعدلن في أمة محمد ﷺ، ولتقين الله عز وجل وإن أنا لم أباعك لتسمعن ولتطيعن لمن بايعت. فقال علي رضي الله عنه: نعم ثم أخذ بيد عثمان رضي الله عنه فقال: الله عليك راع إن أنا بايعت غيرك، لتسمعن ولتطيعن، قال عثمان: نعم، ثم صفق على يد عثمان رضي الله عنه أجمعين^(١).

فرضي القوم بعثمان بن عفان رضي الله عنه، فبايعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله عنهم، لم يختلف عليه واحد منهم لعلمهم بفضله، وقديم إسلامه، ومحبة الله ولرسوله، وبذله لماله لله ولرسوله، ولفضل علمه ولعظيم قدره عند رسول الله ﷺ، وإكرام النبي ﷺ له، لا يشك في ذلك مؤمن عاقل، وإنما يشك في ذلك جاهل شقي قد خطئ به عن سبيل الرشاد، ولعب به الشيطان، وحرّم التوفيق^(٢).

وقال ابن بطة: «فاجتمعوا ثلاثة أيام متوالية لا يألون جهدا والأمة نصحا، فرضوا أجمعون بعثمان بن عفان رضي الله عنه، فكان أول من بايعه علي بن أبي طالب وبقية الرهط، ثم على أثرهم جميع الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار وهم به، وبخلافته راضون، لم يختلف فيه اثنان، ولم تفرق فيه فئتان، وذلك لما عرفوا من فضله، وسبق إسلامه وتقديم رسول الله له، وما كان من عظيم عنائه في الإسلام، وحسن بلائه، وكثرة مناقبه وسوابقه، والمآثر التي كانت منه في مصالح المسلمين وتأييد الإسلام، حتى شاعت وذاعت وكثرت فشهرت، لا يشكك فيها أحد تذوق طعم الإيمان، ولا أحد تنشق روائح الإسلام، ولا ينكرها ويأبى قبولها إلا عبد شقي يغمص الإسلام وأهله، قد غل صدره ونغل قلبه وحرّم التوفيق،

(١) الشريعة للأجري (٤/ ١٧٥٢).

(٢) الشريعة للأجري (٤/ ١٧٤٦).

وَعُدِلَ بِهِ عَنِ الرَّشَادِ، وَغَلَبَهُ الْهَوَى، فَحُلَّ بِهِ الشَّقَاءُ»^(١).

قال عبد الله بن مسعود حين استخلف عثمان: «أمرنا خير من بقي ولم نألوا»^(٢).

بويح عثمان رضي الله عنه غرة المحرم سنة أربع وعشرين، وهو يومئذ ابن تسع وستين^(٣).
عن عائشة، قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلام كلمه، أن ضرب منكبه، وقال: «يا عثمان، إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصا، فإن أراذك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني، يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصا، فإن أراذك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثا^(٤).

قال ابن بطال: «يعنى الخلافة، وكان قد أخبر عليه السلام أنه يموت شهيدا على بلوى تصيبه، فلذلك لم ينخلع من الخلافة، وأخذ بالشدة على نفسه طلبا لعظيم الأجر، ولينال الشهادة التي بشره الرسول بها»^(٥).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتح له وبشره بالجنة». ففتحت له

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٨ / ٤٧).

(٢) الشريعة للأجري (٤ / ١٧٥٤).

(٣) المعارف للدينوري (١ / ١٩٤).

(٤) مسند أحمد (٤١ / ١١٣)، رقم الحديث (٢٤٥٦٦)، وقال محققوه: «إسناده صحيح»، وسنن الترمذي (٥ / ٦٢٨) رقم الحديث (٣٧٠٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣ / ١١٣): «هذا حديث صحيح عالي الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠ / ٥٢).

(٥) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢ / ٣٢٥).

فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ «**افتح له وبشره بالجنة**». ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه). فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ثم قال الله المستعان»^(١).

قال القاضي عياض: «إعلام من النبي - عليه الصلاة والسلام - بأن أبا بكر وعمر وعثمان من أهل الجنة، والقطع لهم بمثل ما أعلمنا بمعنى ذلك، وإعلامه بما يصيب عثمان من البلاء من الناس وهو خلعه وقتله»^(٢).

قال علي رضي الله عنه: «والله لئن أحببته إن كان لخيرنا وأفضلنا»^(٣).

وقال أيضاً: «إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾»^{(٤) (٥)}.

وعنه قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٦) منهم عثمان^(٧).

وقال رضي الله عنه: «لو سيرني عثمان إلى صرار»^(٨) لسمعت له وأطعت»^(٩).

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٥٠) رقم الحديث (٣٤٩٠) باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، وصحيح مسلم (٧/ ١١٨) رقم الحديث (٦٢٩٢).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٤٠٩).

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٦٩).

(٤) سورة الحجر: ٤٧.

(٥) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٥)، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٦٧).

(٦) سورة الأنبياء: ١٠١.

(٧) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٧٤).

(٨) بكسر أوله، وبالألف المهملة أيضاً في آخره: بئر قديمة، على ثلاثة أميال من المدينة لقاء حرّة واقم، على طريق العراق، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد الأندلسي (٣/ ٨٣٠)، ومعجم البلدان لياقوت (٣/ ٣٩٨).

(٩) مُصنّف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٥)، والفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٩).

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: رأيت عليا رافعا حضنيه^(١) يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان^(٢).

قال علي عليه السلام: (لما قُتل (يعني الفاروق) جعلني سادس ستة ، فدخلت حيث أدخلني ، وكرهت أن أفرّق جماعة المسلمين ، وأشق عصاهم ، فبايعتم عثمان ، فبايعته)^(٣).

فكان علي يري صحة إمامته وخلافته لاجتماع المهاجرين والأنصار عليه ، وكان يعد خلافته من الله رضى ولم يكن لأحد الخيار أن يرد بيعته بعد ذلك ، أو ينكر إمامته حاضرا أو غائبا كما قال في إحدى خطبتيه ردا علي معاوية بن أبي سفيان عليه السلام: (إنما الشوري للمهاجرين والانصاري ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان لله رضى فان خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى)^(٤). وكان من المخلصين الأوفياء مناصحا له مستشارا أو قاضيا ، كما كان في خلافة الصديق والفاروق ، ولقد بوب محدثو الشيعة ومؤرخوها أبوابا مستقلة ذكروا فيها أفضيته في خلافة ذي النورين عليه السلام أجمعين

ثانيا: إلزام جدلي فلقد ذكر المفيد في الإرشاد تحت عنوان «قضايا علي في زمن إمارة عثمان» ذكر فيها عدة قضايا حكم بها علي ونفذها عثمان عليه السلام. فيقول: (إن امرأة نكحها شيخ كبير فحملت ، فزعم أنه لم يصل إليها وأنكر

(١) تشنية الحضن، وهو الجنب، ما دون الإبط إلى الكشح، العين للفراهيدي (٣/ ١٠٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ٤٠٠).

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٤٥٢).

(٣) الأمالي للطوسي (١٨/ ١٢١)، وشرح نهج البلاغة ابن حديد (١٢/ ١٩٢).

(٤) نهج البلاغة ص ٣٦٨.

حملها فالتبس الأمر على عثمان وسأل المرأة هل افتضك الشيخ؟ وكانت بكرًا قالت: لا فقال عثمان: أقيموا عليها الحد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن للمرأة سمين سم للمحيض وسم للبول فلعل الشيخ ينال منها ماؤه في سم المحيض فحملت منه فأسأل الرجل عن ذلك؟ فسئل فقال: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالإفتضاخ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمل له والولد له وأرى عقوبته على الإنكار فصار عثمان إلى قضائه بذلك وتعجب منه).^(١)

وروي الكليني: (عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال: إن الوليد بن عقبة حين شهد عليه بشرب الخمر فأمر علي عليه السلام فجلد بسوط له شعبتان أربعين جلدة).^(٢) وقد ذكر اليعقوبي: (أن الوليد لما قدم على عثمان، قال: من يضربه فأحجم الناس لقربته وكان أخا عثمان لأمه فقام علي فضربه).^(٣)

ولا يكون هذا الفعل والعمل إلا من يقر ويصحح خلافة الخليفة، ويتمثل أوامر الأمير ويشارك الحاكم في حكمه، وكان علي بن أبي طالب وأولاده وبنو هاشم معه، يطاعون الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان عليه السلام ويدل على ذلك قول علي عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد شهادة الإمام المظلوم ذي النورين عليه السلام المنقول في أقدس كتب القوم، دعوني والتمسوا غيري... وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن لوليتموه أمركم).^(٤)

ثالثاً: لازم المذهب فهذا فعل الإمام علي عليه السلام وهي الحكمة وأما الرافضة فالذي بايع عثمان كافر في مذهبهم.^(٥)

(١) الارشاد ص ١١٢.

(٢) الكافي في الفروع (٧ / ٢١٥).

(٣) تاريخ اليعقوبي الشيعي (٢ / ١٦٥).

(٤) نهج البلاغة ص ١٣٦.

(٥) حق اليقين للمجلسي ص ٢٧٠.

بل ضَرَبُ علي عليه السلام ابنيه الحسن والحسين على عدم نصرتهما لعثمان عليه السلام :
 قال المسعودي : (.. ودخل عليّ - عليه السلام - الدار وهو كالواله الحزين وقال لابنيه
 : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ، وَلَطَمَ الحسن ، وضرب صدر
 الحسين ، وشتّم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير) ^(١).



(١) مروج الذهب للمسعودي (٢/ ٣٤٤).

الفصل الرابع

إلزامات تدعيمهم في الخلفاء الثلاثة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان نصهم على خلافة علي دون غيره وقدحهم في عدالة الخلفاء الثلاثة.

لاشك أن ما سبق إيراده من قدح في الصحابة رضي الله عنهم وخصوصا الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم فيه بيان واضح على الحقد والغل والكذب والبهتان وأضيف هنا بعض الروايات على ذلك:

فقد ورد في بحار الأنوار: (عن أبي ذر والمقداد بن الأسود وسلمان رضي الله عنهم قالوا: كنا قعودا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما معنا غيرنا إذ أقبل ثلاثة رهط من المهاجرين البدرين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تفرق أمتي ثلاث فرق: فرقة أهل حق لا يشوبون باطل مثلهم كمثل الذهب كلما فتنته بالنار ازداد حسنا وثناء إمامهم هذا لأحد الثلاثة. وفرقة أهل باطل لا يشوبون بحث مثلهم كمثل الحديد كلما فتنته بالنار ازداد خبثا ونتاجا وإمامهم هذا لأحد الثلاثة، وفرقة أهل ضلالة مذبيين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء إمامهم، هذا لأحد الثلاثة. قال: فسألته عن أهل الحق وإمامهم فقال: علي بن أبي طالب إمام المتقين. وأمسك عن الاثنين، فجهدت أن يفعل فلم يفعل^(١)).

كما ورد في تفسير القمي لسورة الفلق: (الفلق: جب في نار جهنم، يتعوذ أهل النار من شدة حره، فسأل الله من شدة حره أن يتنفس فتتنفس فأحرق جهنم،

(١) بحار الأنوار (٢٠٦/٣٠).

وفي ذلك الجب صندوق من نار، يتعوذ أهل الجب من حر ذلك الصندوق، وهو التابوت، وفي ذلك التابوت ستة من الأولين، وست من الآخرين، فأما الستة الذين من الأولين: فابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامري الذي اتخذ العجل، والذي هوّد اليهود، والذي نصرّ النصارى. أما الستة الذين من الآخرين: فهو الأول والثاني، والثالث، والرابع، وصاحب الخوارج، وابن ملجم لعنهم الله.^(١)

ويعنون بالأول والثاني والثالث: الخلفاء الثلاثة السابقين لعلي رضي الله عنه في الخلافة، وبالرابع معاوية رضي الله عنه وهذه من الرموز التي يستخدمها الرافضة في كتبهم عند الطعن في الصحابة رضي الله عنهم.

وقد جاء توضيح أكبر لهذه الرموز في رواية العياشي، التي ينسبها كذباً وزوراً لجعفر الصادق أنه قال: (يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب: بابها الأول: للظالم وهو زريق، وبابها الثاني: لحبتر^(٢)، والباب الثالث: للثالث، والرابع: لمعاوية، والباب الخامس: لعبد الملك، والسادس: لعسكر بن هوسر، والباب السابع لأبي سلامة^(٣) فهم أبواب لمن تبعهم)^(٤).

(١) تفسير القمي (٢/ ٤٥٠).

(٢) نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمته الله - عن أحد علماء الرافضة الكبار في الهند أنه فسر هذين المصطلحين بقوله: (روي أن الزريق: مصغر أزرق، والحبتر معناه: الثعلب، فالمراد من الأول: (أبو بكر) لأنه كان أزرق العينين، والمراد من الثاني: (عمر) كناية عن دهائه ومكره). انظر كتاب الرد على الدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٢٠٧.

(٣) ذكر محقق تفسير العياشي معاني هذه الرموز فقال في معنى عسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس، وكذا أبي سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل. انظر حاشية تفسير العياشي (٢/ ٢٤٣).

(٤) تفسير العياشي (٢/ ٢٤٣).

المبحث الأول: إلزامات رضى علي بخلافتهم ومبايعتهم.

نقل المرتضى في نهج البلاغة عن علي عليه السلام من كتابه الذي كتبه إلى معاوية رضي الله عنه: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى) ^(١)، وهنا يستدل الإمام علي عليه السلام على صحة خلافته وانعقاد بيعته بصحةبيعة من سبقه.

وهذا يعني بوضوح أن علياً عليه السلام كان يعتقد بشرعية خلافة أبى بكر وعمر وعثمان، كما يذكر في هذا النص الواضح في معناه والذي كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، بأن الإمامة والخلافة تنعقد باتفاق المسلمين واجتماعهم على شخص، وخاصة في العصر الأول باجتماع الأنصار والمهاجرين فإنهم اجتمعوا على أبى بكر وعمر، فلم يبق للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.

ويقول صاحب كتاب أصل الشيعة وأصولها: (وحين رأى -أي علي بن أبي طالب- أن الخليفين أعني الخليفة الأول والثاني -أي أبوبكر وعمر- بذلاً أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا بايع وسالم) ^(٢).

ونقل المجلسي: (عن شرحبيل بن السمط أنه قال لعلي عليه السلام: إن كلمتك فلعمري ما كلامي لك إلا نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبتة؟ قال: نعم. قال: فقله. فحمد الله علي عليه السلام وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الله

(١) نهج البلاغة ص ٢٤٧.

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص (١٢٤).

سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله فأنقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة وجمع به بعد الفرقة ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه فاستخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فأحسننا السيرة وعدلا في الأمة وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا ونحن آل الرسول وأحق بالأمر فغفرنا ذلك لهما^(١).

ومع عدم التسليم بمقتضى الرواية وصحتها كغيرها من الروايات في كتب الرافضة إلا أن فيها رضى واضح منه بالخلفاء من قبله.

وقد روى الجوهري قول علي، والزبير عليه السلام: (ما غضبنا إلا في المشورة، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف له سنة، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله، بالصلاة بالناس وهو حي)^(٢).

كما روى قول علي: (لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلا لما تركناه)^(٣). وجاء أيضا في أحد شروحهم لنهج البلاغة: (ولما حوضر عثمان عليه السلام في بيته أمر علي عليه السلام الحسن والحسين عليه السلام بحرسه والدفاع عنه)^(٤).

ومما سبق يتبين الإلزام العلمي برضى علي عليه السلام بخلافة من سبقه. وكان علي عليه السلام يرى أن الخلفاء الثلاثة أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم أحق بالخلافة.

قال عليه السلام: «ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرفنا أن أفضلنا بعده أبو بكر وما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبي بكر عمر وما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرفنا أن أفضلنا بعد عمر رجل آخر لم يسمه، يعني عثمان»^(٥).

(١) بحار الأنوار (٤٥٦/٣٢).

(٢) السقيفة وفدك للجوهري ص ٤٧.

(٣) السقيفة وفدك للجوهري ص ٤.

(٤) شرح نهج البلاغة للبحراني (٣٥٤/٤).

(٥) السنة لابن أبي عاصم (٥٦٩/٢).

ويقول: «بلغني أن أناسا يفضلوني على أبي بكر وعمر، لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفتري»^(١).

وعن محمد بن الحنفية قال: «قلت لأبي من خير الناس بعد النبي ﷺ؟ فقال: أبو بكر. قلت ثم من؟ قال: ثم عمر. قال: قلت فأنت قال أبوك رجل من المسلمين»^(٢).

وقال علي لأبي سفيان رضي الله عنه: «إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا»^(٣).

وقال علي والزبير رضي الله عنه: «ما غضبنا إلا لأننا قد أخرجنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، «ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي»^(٤).

وعن سويد بن غفلة قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر، وعمر رضي الله عنه ويتقصونهما، فدخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر، وعمر بغير الذي هما فيه من الأمة أهل، ولولا أنهم يرون أنك تضمّر لهما مثل ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك قال علي رضي الله عنه: «أعوذ بالله، أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذي أتمنى عليه المضي، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوار رسول الله ﷺ، وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم قام دافع العين يبكي قابضا على يدي حتى دخل المسجد

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٢٩٤) السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني (٥٧٥ / ٢).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٢).

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٣/ ٨٣)، وصححه الذهبي، وفضائل الخلفاء الراشدين لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٥٢).

(٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٣/ ٧٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٥٢).

فصعد المنبر ، وجلس عليه متمكنا قابضا على لحيته ينظر فيها ، وهى بيضاء ، حتى اجتمع له الناس ، ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة ، ثم قال : « ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ، وعما قالوا عنه بريء ، وعلى ما قالوا معاقب ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لا يحبهما إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء ، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان ، فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ ، ولا كان رسول الله ﷺ ، يرى مثل رأيهما رأيا ، ولا يحب كحبهما أحدا ، مضى رسول الله ﷺ ، وهو عنهما راض ، والمؤمنون عنهما راضون ، أمر رسول الله ﷺ أبا بكر على صلاة المؤمنين ، فصلى بهم سبعة أيام في حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ ، واختار له ما عنده ، وولاه المؤمنون ذلك ، وفوضوا الزكاة إليه لأنهما مقرونان ، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين ، أنا أول من سن ذلك له من بني عبد المطلب ، وهو لذلك كاره يود أحدا منا كفاه ذلك ، وكان والله خير من بقي ، وأرأفه رأفة ، وأحسنه ورعا ، وأقدمه سنا وإسلاما ، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة ، وبإبراهيم عفوا ووقارا ، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ ، حتى مضى على أجله ذلك ، ثم ولى الأمر بعده عمر رضي الله عنه واستأمر المسلمين في هذا فمنهم من رضي به ، ومنهم من كره ، وكنت فيمن رضي فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه ، فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه ، يتبع آثارهما كاتباع الفصيل أثر أمه ، وكان والله رفيقا رحيفا بالضعفاء ، وللمؤمنين عونا ، وناصرًا للمظلومين على الظالمين ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم ضرب الله عز وجل بالحق على لسانه ، وجعل الصدق من شأنه حتى كنا نظن أن ملكا ينطق على لسانه ، فأعز الله بإسلامه الإسلام ، وجعل هجرته للدين قواما ، وألقى الله عز وجل له في قلوب المنافقين الرهبة ، وفي قلوب

المؤمنين المحبة ، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل ﷺ فضا غليظا على الأعداء ، وبنوح حنقا مغتاظا على الكفار ، الضراء على طاعة الله أثر عنده من السراء على معصية الله ، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ، ورزقنا المضي على أثرهما والحب لهما ، فمن لكم بمثلهما فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع أثرهما ، والحب لهما ، فمن أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني ، وأنا منه بريء ، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة ، ولكنه لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم ، ألا فمن أتيت به يقول هذا بعد اليوم فإن عليه ما على المفتري ، ألا وإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وعمر ، ثم الله أعلم بالخير أين هو ، أقول قولي هذا ويغفر الله لي ولكم»^(١).

وقال عبد الرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنه: « يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا . فقال أبياعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمرأه الأجناد والمسلمون»^(٢).

المبحث الثاني: إلزامات عدم إبعاد علي عن شؤون الخلافة

إن من يقرأ ما نقله الرافضة في كتبهم عن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة وتآمر الصحابة رضي الله عنهم عليه يتصور أن الخلفاء قد أبعدوه عن شؤون الخلافة لكي لا ينازعهم الأمر وهي سنة كونية لكل من يتنازع على منصب الإمامة ، ولكن الحقيقة كما سبق في هذا الباب والتي نقلت عدم إبعاده عن شؤون الخلافة ومشورته في بعض المسائل والثناء عليه وعلى رأيه من الخلفاء قبله دليل واضح وبرهان جلي على عدم زعم منازعتهم هذا الأمر وإلا كان في ذلك إذلالا له ، وظهورا البدعة ،

(١) الشريعة للأجري (٤ / ١٧٢٦).

(٢) صحيح البخاري (٦ / ٢٦٣٤) رقم الحديث (٦٧٨١) باب كيف يبايع الإمام الناس.

وكتما للعلم.

يقول الإمام ابن بطّة - رحمّه الله - في باب ذكر اتباع علي بن أبي طالب عليه السلام في أيام خلافته سنن أبي بكر وعمر وعثمان عليهم السلام واتباع بعضهم لبعض: «وما وهبه الله تعالى لأصحاب نبيه صلى الله عليه وآله عامة، وزاد في العطية منه للخلفاء الأربعة من المنقبة الجليلة، والفضيلة الخطيرة، ما كانوا عليه من صريح المحبة، وصحيح الأخوة والمودة، وتقارب القلوب وتآلفها وتراحم النفوس وتعاطفها، وذلك من معجزات أطباع البشرية، مع ملكهم الدنيا ورئاستها، ووراثتهم الأرض وخلافتها، وتمهيدها ووطأة أهلها وتذليلهم رقاب عتاتهم وجابرتها، من عريبها وعجميها في شرقها وغربها، وبرّها وبحرها، وكثرة قضاياهم وأحكامهم بين أهلها، وما جدّ كل واحد منهم إلى تشريع شريعة لم تكن، وتسنين سنة تحدث، والحكم في معضلة تقع، وفتح أبواب مغلقة وقلوب مقفلة، وما يسنه في ذلك ويقضيه فسنة للمسلمين، ويحكم بها إلى يوم الدين، وكل واحد منهم مستحسن لسنة من يكون قبله، وسالك طريقته، غير عائب له، ولا منكر عليه، فإذا انقضت مدة أحدهم وورث الله صاحبه من بعده خلافته، قفا أثره، وسلك طريقته فلم ينقض له حكماً، ولم يغير له سنة، خلافاً لما عليه أبناء الدنيا وملوكها من تتبع أحدهم صاحبه حتى يبدل شرائعه، ويغير رسومه، وليبدي معائبه، ويظهر مثالبه، ضدّاً لأفعال الخلفاء الراشدين الذين برّاهم الله وصفّاهم من المعائب والمثالب، والعلة في الأمر، الذي طهر الله به قلوب أوليائه من المؤمنين، وخصّ بذلك الخلفاء الراشدين... فبذلك وعلى ذلك بحمد الله عاشوا متآلفين، وعليه ماتوا متفقيين غير متحاسدين، ولا متقاطعين، ولا متدابرين... ولكل واحد منهم سنن سننها، وطريقة سلك بالمسلمين فيها، فإذا قام صاحبه من بعده قفا أثره، وشيدها، وأشاد بها وأعلاها، حتى كان آخرهم خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام فسلك طريق الخلفاء الثلاثة قبله،

وعمل بسنتهم، وأمضاها وحمل المسلمين عليها، وكل ذلك فبخلاف ما تنحله الرافضة الذين أزاغ الله قلوبهم، وحجب عنهم سبيل الرشاد والسداد، ونزه علي بن أبي طالب عن مذهبهم النجسة الرجسة، فإن علي بن أبي طالب عليه السلام حين أفضت الخلافة إليه، أمضى قضية أبي بكر رضي الله عنه في فذلك وأجرى أمرها على ما أجراه...^(١).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فقد كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يستشير في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقاتل الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي وضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر، محباً له خائفاً عليه، وكان عمر يحب علياً وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة^(٢).

واستخلفه حين خرج إلى ماء صراء فعسكر فيه: وذلك قبيل القادسية وكان الفرس قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه باليسر، واستخلفه عند نزول عمر بالجابية: وذلك حين نزل عمرو بن العاص أجنادين، فكتب إليه أرتبون الروم، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع لا تغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلفه حين حج عمر بأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وهي آخر حجة حجها بالناس كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة^(٣).

(١) الإبانة لابن بطة (١ / ٣٦٣).

(٢) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعلي الصلابي (١ / ١٩٦).

(٣) ينظر: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (١ / ١٩٥).

قال علي عليه السلام: «لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت له وأطعت»^(١).
 ثالثاً: لازم المذهب فقال علي عليه السلام: «أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعاً؛ أي الصحابة عليهم السلام.. والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل»^(٢).
 وقد روى الكليني: (عن أبي عبدالله عليه السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه^(٣).

كما روى (عن محمد بن جمهور العمى رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدعة في أمتي فليظهر العالم علمه، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله)^(٤).

المبحث الثالث: التزامات عدم تحقيق مصالح ذاتية لهم في خلافتهم.

كان الخلفاء الراشدون أزهد الناس بأمور الدنيا وحياتها، وأنهم خرجوا من الدنيا ولم يملكوا شيئاً من حطامها.

عن عائشة، قالت: قال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه: «انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت في الخلافة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي، فإني قد كنت أستحله، وقد كنت أصبت من الودك نحوا مما كنت أصبت من التجارة، قالت عائشة: فلما مات نظرنا، فإذا عبد نوبي يحمل صبيانه وناضح كان يسقي عليه، قالت: فبعثنا بهما إلى عمر، قالت: فأخبرني جدي، أن عمر بكى وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً»^(٥).

(١) مُصنّف ابن أبي شيبة (٢٢٥ / ١٥)، والفتن لنعيم بن حماد (٨٩ / ١).

(٢) فتح الباري (١٨ / ٩).

(٣) الكافي (٦٣ / ٥).

(٤) وسائل الشيعة (٢٦٩ / ١٦)، الكافي (٥٤ / ١).

(٥) الصحيح المسند من آثار الصحابة في الزهد والرقائق والأخلاق والأدب لعبد الله الخليلي (٢٦ / ١).

وعنها قالت: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجهم فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر وما هو؟ قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه»^(١).

كتب عثمان بن عفان عهد الخليفة من بعد أبي بكر رضي الله عنه، فأمره أن لا يسمي أحداً، وترك اسم الرجل، قال: فأغمي على أبي بكر إغماءة، فأخذ رضي الله عنه العهد فكتب فيه اسم عمر، قال: فأفاق أبو بكر، قال: فقال: «أرنا العهد» قال: فإذا فيه اسم عمر، فقال: «من كتب هذا» فقال عثمان: أنا، فقال: «رحمك الله، وجزاك الخير، فوالله لو كتبت نفسك لكنت لذلك أهلاً»^(٢).

وعنها قالت: «لما استخلف أبو بكر الصديق قال لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه»^(٣).

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، قال: «أتى عمر بن الخطاب بخبز وزيت، فمسح على بطنه، وجعل يأكل ويقول: والله لتمررن أيها البطن على الخبز والزيت ما دام السمن يباع بالأواق»^(٤).

وعن أبي هريرة أنه قدم على عمر من البحرين، قال: فقدمت عليه فصليت معه العشاء، فلما رأي سلمت عليه، فقال: ما قدمت به قلت: قدمت بخمسمة ألف، قال: تدري ما تقول، قال: قدمت بخمسمة ألف، قال: قلت: مئة ألف

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٩٥) رقم الحديث (٣٦٢٩) باب أيام الجاهلية.

(٢) جزء ابن عرفة (ص: ٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٧٢٩) برقم (١٩٦٤) باب كسب الرجل وعمله بيده.

(٤) الزهد لأبي داود (ص: ٧٥).

ومئة ألف ومئة ألف ومئة ألف حتى عد خمسا ، قال : إنك ناعس ارجع إلى بيتك فتم ، ثم اغد علي ، قال : فغدوت عليه ، فقال : ما جئت به قلت : بخمسمئة ألف ، قال : طيب ، قلت : طيب ، لا أعلم إلا ذاك ، قال : فقال للناس : إنه قدم علي مال كثير فإن شئتم أن نعهده لكم عدا ، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلا ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين إني رأيت هؤلاء الأعاجم يدنون ديوانا ويعطون الناس عليه ، قال : فدون الديوان وفرض للمهاجرين في خمسة آلاف خمسة آلاف وللأنصار في أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لأزواج النبي ﷺ في اثني عشر ألفا اثني عشر ألفا^(١).

فيه من الدلالة على عدل عمر - رضي الله عنه - وبره بالمهاجرين والأنصار وأمهات المؤمنين وزهده في الدنيا ، والعدل العمري متواتر لا ينكره إلا رافضي زنديق^(٢). وعن أنس بن مالك قال : «تقرقر بطن عمر قال : وكان يأكل الزيت عام الرمادة وكان قد حرم عليها السمن ، قال : فنقر بطنه بإصبعه وقال : تقرقر إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيى الناس»^(٣).

وإن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل إلى بيته فأكل الخل والزيت^(٤).

وعن عبد الرحمن بن سعد ، قال : رأيت عثمان بن عفان وهو يبني الزوراء على بغلة شهباء مصفرا لحيته^(٥).

(١) مُصنّف ابن أبي شيبة (١٢ / ٣٠١).

(٢) الصحيح المسند من آثار الصحابة في الزهد والرقائق والأخلاق والأدب، عبد الله بن فهد الخليلي (١ / ٩٩).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٩٦)، والطبقات الكبير لابن سعد (٣ / ٢٩١).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٠٦).

(٥) مُصنّف ابن أبي شيبة (٨ / ٢٥٢).

وأن الحسن سئل عن القائلين، في المسجد قال: «رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقلل في المسجد وهو يومئذ خليفة» قال: «ويقوم وأثر الحصباء في جنبه» قال: «فيقول: هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين»^(١).

كان عثمان رضي الله عنه إذا قام من الليل يأخذ وضوءه قال: فقال له أهله: ألا تأمر الخدم يعطونك وضوءك؟ قال: «لا إن النوم لهم يستريحون فيه»^(٢).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة فإن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن الصحابة رضي الله عنهم وأفضلهم الخلفاء الراشدون معصومون من كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون إما قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بسابقته، أو بشفاعته محمد صلى الله عليه وسلم، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأموال التي هم مجتهدون فيها: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نادر، مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح^(٣). وإن المتأمل والمطلع على سيرة الخلفاء الراشدين وما سبق ذكره يظهر له جلياً عدم رغبتهم في الدنيا وزهدهم فيها وفي هذا إلزام واضح في عدم تحقيق مصالح ذاتية لهم أثناء فترة خلافتهم.

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٠٥).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٠٥).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لخليل هراس ص ١٦٤.

المبحث الرابع: إلتزامات تسمية علي عليه السلام بأبناءه بالخلفاء الثلاثة.

كان - عليه السلام - يستحب الاسم الحسن، وأمر إذا أبردوا إليه بريدًا أن كون حسن الاسم، حسن الوجه. وكان يأخذ المعاني من أسمائها في المنام واليقظة كما رأى أنه وأصحابه في دار عتبة بن رافع، فأتوا برطب من رطب بن طاب، فأوله بأن لهم الرفعة في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن الدين الذي قد اختاره الله لهم قد أرطب وطاب، وتأول سهولة أمرهم يوم الحديبية من مجيء سهيل بن عمرو إليه.. وقد أمر النبي - عليه السلام - أمته بتحسين أسمائهم، وأخبر أنهم يُدعون يوم القيامة بها، وفي هذا - والله أعلم - تنبيه على تحسين الأفعال المناسبة لتحسين الأسماء، لتكون الدعوة على رؤوس الأشهاد بالاسم الحسن، والوصف المناسب له ^(١).

عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم**» ^(٢).

وفي الحديث الأمر بتحسين الأسماء وبتغيير الاسم إلى أحسن منه ^(٣). وعن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرأون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**» ^(٤). وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية وقال: أنت جميلة ^(٥).

(١) معجم المناهي اللفظية لبكر أبي زيد (ص: ١٩٢).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٤٤٢) رقم الحديث (٤٩٥٠) وسنن الدارمي (١/ ٢٠٢)، باب ما يستحب من الأسماء، وضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ٨١٠) برقم (٥٤٦٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٧٥).

(٤) صحيح مسلم (٦/ ١٧١)، رقم الحديث (٥٦٤٩).

(٥) صحيح مسلم (٦/ ١٧٢)، رقم الحديث (٥٦٥٥).

وعن سهل بن سعد ، قال : أتى بالمنذر بن أبي أسيد إلى رسول الله ﷺ ، حين ولد فوضعه النبي ﷺ على فخذه ، وأبو أسيد جالس ، فلهي النبي ﷺ بشيء بين يديه ، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من على فخذ رسول الله ﷺ ، فأقبلوه ، فاستفاق رسول الله ﷺ ، فقال : أين الصبي فقال : أبو أسيد أقبلناه ، يا رسول الله . قال : ما اسمه ؟ قال : فلان ، يا رسول الله ، قال : لا ، ولكن اسمه المنذر فسماه يومئذ المنذر^(١).

كان سفيان الثوري يقول : «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ، وأن يحسن أدبه»^(٢).

قال الأمير الصنعاني: «تحسين الأسماء من الموصلات إلى الخير وأن منها تشتق لها صفاتها»^(٣).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي بما ثبت من تسمية علي وأبنائه الحسن والحسين بأسماء الصحابة رضي الله عنهم ومنهم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. فهل يمكن أن يسمي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاثة من أبنائه على أسماء الخلفاء الثلاثة؛ أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويصبح بذلك أول قرشي يُسمي أبناءه أبا بكر وعمر وعثمان^(٤)! ثم يكون في قلبه لهؤلاء الأجلاء الحنفاء غير الحب الصادق، والود المتين! فهذا أبو بكر بن علي بن أبي طالب، وأُمُّه ليلى بنت مسعود النهشلية، قُتل مع أخيه

(١) صحيح مسلم (٦/ ١٧٦) رقم الحديث (٥٦٧٢).

(٢) البر والصلة للحسين بن حرب المروزي (ص: ٨١)، وفي مسند البزار (١٥/ ١٧٦) رفعه إلى النبي ﷺ، قال البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٠٠): «فيه محمد بن الفضل ضعيف بمرّة لا تفرح بما ينفرد به».

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٦٣).

(٤) والإمامة والنص؛ لفصل نور ص ٦٨٣.

الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء، ولا عقب له ^(١).

وهذا عمر بن علي بن أبي طالب، وأمه أم حبيب بنت ربيعة ^(٢) قال الحافظ ابن حجر: (عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي: ثقة، مات في زمن الوليد، وقيل قبل ذلك) ^(٣).

وجاء في سبب تسميته عند ابن عساكر في تاريخه بإسناده إلى الزبير، قال: (حدثني محمد بن سلام قال: قلت لعيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب كيف سمى جدك علي عليه السلام عمر؟ فقال: سألت أبي عن ذلك فأخبرني عن أبيه، عن عمر بن علي بن أبي طالب، قال: ولدت لأبي بعدما استخلف عمر بن الخطاب عليه السلام، فقال له: يا أمير المؤمنين، ولد لي الليلة غلام، فقال: هب لي؟ فقلت: هو لك، قال: قد سميت عمر، ونحلت غلامي مورك، قال: فله الآن ولد كبير، قال الزبير: فلقيت عيسى بن عبدالله، فسألته؟ فخبّرني بمثل ما قال محمد بن سلام ^(٤). وهذا عثمان بن علي بن أبي طالب، وأمه أم البنين بنت حزام الوحيدية الكلاية: قتل مع أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٥).

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن أبي سعيد الخدري عليه السلام قال: (مررت بغلام له ذؤابة وجمة إلى جنب علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: ما هذا الصبي إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن علي، سميت بعثمان بن عفان عليه السلام، وقد سميت بعمر بن الخطاب عليه السلام، وسميت بعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسميت بخير البرية محمد عليه السلام،

(١) انظر البداية والنهاية (١١ / ٥٥١)، الإرشاد ص ١٦٧، الأمالي ص ١٣١، بحار الأنوار (٤٢ / ٧٤)، الاختصاص ص ٨٢.

(٢) الإرشاد ص ١٦٧، الكافي (١ / ٢٨٦)، بحار الأنوار (١ / ١٧٢)، الاختصاص ص ١٢٨.

(٣) التقريب ص ٧٢٥، السير (٤ / ١٣٤).

(٤) تاريخ دمشق ٣٠٤ / ٤٥.

(٥) الإرشاد ص ١٦٧، بحار الأنوار (٤٢ / ٧٤)، (٤٣ / ٢٩١)، أمالي الصدوق ص ١٣١.

فأما حسن وحسين ومحسن؛ فإنما سماهم رسول الله ﷺ وعَقَّ عنهم، وحلق رؤوسهم، وتصدَّق بوزنها، وأمر بهم فسروا وختنوا^(١).

ثانياً: الإلزام الجدلي فمن المعروف أن الإنسان لا يسمي ابنه أو ابنته إلا بأحب الأسماء إليه، وأقربها إلى قلبه، ويختار أسماء العظماء، والكُبراء، ومن يراهم أنهم عليّة الناس، وساداتهم، والأسماء لها مدلولات كثيرة، ومعان خفية؛ يُستدل بها على معتقد الشخص، وانتمائه، وفكره، مثل ما قيل:

والعينُ تعلمُ من عيني محدّثها * * * إن كان من حزبها أو من أعاديها
وكثيراً ما يُحب الإنسان اسماً مُعيّناً؛ لأن لمعناه وقعا في نفسه، وميولاً إلى قلبه؛
لكنه يتجنب تسمية ابنه به؛ لأنّه تسمّى به من لا يحبه، فكيف إذا كان من سبق إلى التسمية
بهذا الاسم من ألد أعدائه، تجدّه أشدّ الناس كراهية لهذا الاسم، وبُعداً عن التسمية به.
فهل يمكن أن يسمي علي بن أبي طالب ﷺ وأبناؤه بأسماء المشاهير من الصحابة
ﷺ، وهم في ظن الرافضة أنهم ارتدوا على أدبارهم، وكفروا بعد إيمانهم؟!
وهل يعقل أن يسمي علي بن أبي طالب ﷺ وذريته أبناءهم بأسماء رموز الصحابة
ﷺ العظام، والأئمة الأعلام؛ أبي بكر وعمر وعثمان وهم في زعم الرافضة
اغتصبوا الخلافة من علي ﷺ، وأكنوا له ولذريته العدا والبغضاء؟!!

يقول علي سالوس: «ولا شك أن الإنسان يختار أحب الأسماء إلى نفسه
عند تسمية أولاده، وهذا أمر فطري ليس موضوع جدل، وإذا رجعنا إلى أسماء آل
البيت وجدنا من أبناء علي ابن أبي طالب أبو بكر وعمر وعثمان، ومن أحفاده أبو
بكر وعمر ابني الحسن، وعمر بن الحسين، وعمر بن علي بن الحسين... فماذا
يقول الرافضة في عصرنا؟ أهم أتباع آل البيت وأحباؤه أم أعداؤه وشائئوه؟»^(٢).

(١) تاريخ دمشق (٤٥/٣٠٤).

(٢) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع ص: ١١٣٠.

ويقول إحصان إلهي ظهير: «فلقد ذكر الشيعة أنفسهم بأن علياً عليه السلام سمي أبناءه بأسماء الخلفاء الراشدين السابقين الثلاثة، بأبي بكر وعمر وعثمان وابنه الحسين كذلك سمي أبناءه بأبي بكر وعمر وكذلك الآخرون من أبناء علي وأبناء الحسين سمو أبناءهم بأسماء هؤلاء الأخيار البررة تحبباً إليهم وتبركاً بهم»^(١).

ثالثاً: إلزام في المذهب حيث أنه نقل أثمتهم هذه التسميات في كتبهم ولم يستطيعوا إنكارها فأصبح لازم عليهم الاقتداء والتسمية بهذه الأسماء.

المبحث الخامس: تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بأمر كثيرة

إن تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخلفاء الثلاثة بأمر كثيرة دليل واضح على فضلهم وعلو مكانتهم، بل لم تأت ولاية هؤلاء الخلفاء الراشدين بناء على احتكار للسلطة أو تفرد بها، وإنما عن اختيار من أهل الحل والعقد لهم وتوافق الأمة عليهم، فكان اختيار الصديق عن اجتماع المسلمين أنصاراً ومهاجرين، واختيار عمر كان بتزكية أبي بكر ورضا المسلمين وإجماعهم عليه، وكان اختيار عثمان عن توافق وتشاور بين الصحابة رضي الله عنهم.

واختيار المسلمين لهم لم يكن عن محابة لهم لقراية أو رهبة أو رغبة وإنما كان لفضائل حازوها، ومؤهلات أهلتهم ليكونوا هم ولاة الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء من بعده، وهذه الفضائل هي ما ذكره الله في كتابه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنده، ونذكر هنا بعضاً من تلك الخصائص والفضائل لكل واحد من الخلفاء الثلاثة:

الخليفة الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه: واسمه عبد الله بن أبي قحافة، وسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم صديقاً كونه صدّقه فيما كذبه فيه أكثر الناس من خبر الإسراء والمعراج، فضلاً عن كونه أول من آمن به من الرجال، وهو رفيق النبي في هجرته، وصاحبه

(١) الشيعة والتشيع ص: ٣٢.

في الغار، وملازمه في كل حياته، وله فضائل كثيرة عرفها له النبي ﷺ وسجلها له لتعرف له الأمة قدره، فقد روى أنس بن مالك: (أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم ينظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما)^(١). فوصف الله أبا بكر بالصحة الخاصة المقتضية مزيداً من التشريف، وأشركه مع نبيه في المعية الإلهية المقتضية كمال العناية والحف بقوله (إن الله معنا).

وظهر من النبي ﷺ معان تدل على تقديمه على غيره، وظهرت من أبي بكر رضي الله عنه في حياة رسول الله ﷺ وعند موته أمور تدل على علمه وشجاعته وقوة عزمته. فأما ما ظهر للصحابة من النبي ﷺ من تقديم النبي ﷺ له في الإمامة بالصلاة وتعظيمه لأمره بذلك، وقوله لعائشة وحفصة: «إنكن لصواحب يوسف» حين راجعنه في إمامة غيره، وقوله مع ذلك «يا أي الله ورسوله والمسلمون إلا أبا بكر»^(٢).

وروى عبد الله بن عباس: (أن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً أحداً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل سدوا عني كل خوذة غير خوذة أبي بكر»)^(٣). وله من الفضائل والخصائص ما يكثر ذكره.

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٣٧) برقم (٣٦٥٣)، كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وصحيح مسلم (٧/ ١٠٨) برقم (٢٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ٢٤٠) برقم (٦٤٦)، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ومسلم في الصحيح (١/ ٣١١) برقم (٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٨٤) برقم (٤٥٥) كتاب الصلاة، باب الخوذة والممر في المسجد، وورد هذا الحديث من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما -، أيضاً أخرجه عنهما البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً (٤/ ٤). ومسلم (٤/ ١٨٥٤) برقم (٦٢٤٥).

الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو من أوائل من أسلم، وكان إسلامه كما وصفه عبدالله بن مسعود فتحاً، وفرح المسلمون بإسلامه فرحاً عظيماً وقد نبه النبي ﷺ على خلافة عمر بعد أبي بكر - رضي الله عنه بقوله ﷺ: «**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر**»^(١).

وروي أن النبي ﷺ قال: «**لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب**»^(٢). وقال النبي ﷺ: «**اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك إما عمر ابن الخطاب أو أبي جهل بن هشام**»^(٣). فسبقت الدعوة في عمر فدل أن الله يحبه. وقال النبي ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»^(٤). وقال النبي ﷺ: «**وقد كان يكون في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر بن الخطاب**»^(٥). وله من الفضائل والخصائص ما يكثر ذكره.

الخليفة الثالث: عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي الملقب بذي النورين

(١) مسند أحمد (٣٨ / ٢٨٠) برقم (٢٣٢٤٥) وقال محققوه: «حديث حسن بطرقه وشواهده، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين» وسنن الترمذي (٥ / ٦٠٩) برقم (٣٦٦٢) باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٦١٩) برقم (٣٦٨٦) كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، والحاكم في المستدرک (٣ / ٨٥) وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٣٢٧ وحسنه.

(٣) سنن الترمذي (٥ / ٩٦١٧) برقم (٣٦٨١) وقال: «حسن صحيح غريب»، ومسند أحمد (٢ / ٢٦٤٥) برقم (٥٨٠٠) وصحح الحديث الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على المسند (٨ / ٧٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣ / ٨٧) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» وقال الذهبي: «هو على شرط مسلم» وصحح الحديث السيوطي والألباني. انظر: الجامع الصغير مع فيض القدير (٢ / ٢٢٠)، صحيح الجامع الصغير (١ / ١٠٣).

(٥) صحيح البخاري (٥ / ١١) برقم (٣٢٨٢) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، وصحح مسلم (٤ / ١٨٦٤) برقم (٦٢٨٢).

وإنما سمي ذا النورين لأن أحدا من لدن آدم لم يتزوج ابنتي نبي غير عثمان^(١)، فهذه أشرف مناقبه.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتح له وبشره بالجنة». ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتح له وبشره بالجنة». ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال الله المستعان^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(٣).

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان معه، فرجف بهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أثبت أحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»^(٤).
وروى أبو هريرة رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت بهم الصخرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(٥). وله من الفضائل ما يكثر ذكره.

وبهذا أصبح من لوازم تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم لهم بأمور كثيرة وثناؤه عليهم أن يقتدي المسلم بذلك المنهج وأن لا يحيد عنه كما يفعل الرافضة بقدرتهم فيهم.

(١) ذكر هذا اللالكائي بسنده عن الحسين بن علي الجعفي. شرح إعتقاد أهل السنة (١٣٥٣/٧).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٣٥٠) رقم الحديث (٣٤٩٠) باب مناقب عثمان رضي الله عنه، وصحيح مسلم (٧/ ١١٧) رقم الحديث (٦٢٩٠) باب فضائل عثمان رضي الله عنه.

(٣) صحيح مسلم (٧/ ١١٦) برقم (٦٢٨٧).

(٤) صحيح البخاري (٥/ ١٣) برقم (٣٤٨٣) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه.

(٥) صحيح مسلم (٧/ ١٢٨) برقم (٦٣٢٧).

المبحث السادس: عدم وجود فضيلة لعلي إلا ولثلاثة مثلهما

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمرء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليه السلام ودلائل ذلك، وفضائل الصحابة عليهم السلام كثير) (١).

وقال أيضا: (ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلاثون بعثمان ويربعون بعلي عليه السلام كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة عليهم السلام على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي عليه السلام بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر - أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي وقدم قوم عليا وقوم توقفوا؛ لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله) (٢).

وقال أيضا: (إن الفضائل الثابتة للخلفاء أبي بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلي عليه السلام جميعا، والذين قدحوا في علي عليه السلام وجعلوه كافرا ليس فيهم طائفة معروفة بالردة عن الإسلام بخلاف الذين يمدحونه ويقدحون في الثلاثة كالغالية من النصيرية وغيرهم) (٣).

(١) مجموع الفتاوى ٤٠٦/٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٣/٣

(٣) مختصر منهاج السنة للغنيمان ص ٣٦٧.

وقد روى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: (كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان) وفي لفظ: (ثم ندع أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم) ^(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر، وعمر ألا وإنه بلغني أن رجلا يفضلوني عليهما ألا فمن وجدته فضلني عليهما فهو مفتر، عليه ما على المفترى ألا ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت ألا وإنني أكره العقوبة قبل التقدم» ^(٢). وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فهذا إخبار عما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم على عهد النبي ﷺ من تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان. وقد روي أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فلا ينكره ^(٣). وحينئذ فيكون هذا التفضيل ثابتاً بالنص، ولعل مرد ذلك ما سمعوه من النبي ﷺ كما في الحديث الذي رواه أبو داود: (عن الحسن عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا. فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان) ^(٤).

ثانياً: الإلزام الجدلي فيكون ثابتاً بما ظهر بين المهاجرين والانصار على عهد النبي ﷺ من غير نكير وبما ظهر لما توفي عمر رضي الله عنه فإنهم كلهم بايعوا عثمان بن عفان رضي الله عنه من غير رغبة ولا رهبة ولم ينكر هذه الولاية منكر منهم ^(٥).

(١) صحيح البخاري (٢/٢٨٩).

(٢) فضائل الخلفاء الراشدين لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٤٠).

(٣) مسند أحمد (١٤/٢) وفتح الباري (٧/١٤).

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم (٢٤٠٣).

(٥) مختصر منهاج السنة للغنيمان ص ٤٧٦.

وأما زعمهم أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا ذلك كراهية لمنزلة علي رضي الله عنه فهناك وجه آخر ذكره الخطابي ونصه ما يلي: (وجه هذا أنه أريد به الشيوخ وذوو الأسنان وهم الذين كان رسول الله إذا حزنه أمر شاورهم وكان علي رضي الله تعالى عنه في زمانه حديث السن ولم ير ابن عمر الا زدراء بعلي رضي الله تعالى عنه ولا تأخيره عن الفضيلة بعد عثمان لأن فضله مشهور لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم قلت وقد تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدوا وغير ذلك، فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهوراً بيناً فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص^(١)).



(١) عمدة القاري للخطابي (١٦/٢٠٥).

البَابُ الثَّالِثُ

الإلزامات التي تلزم الرافضة في باقي الصحابة رضي الله عنهم غير الخلفاء الثلاثة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الإلزامات في قدحهم في أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما

الفصل الثاني: الإلزامات في قدحهم في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

الفصل الثالث: الإلزامات في قدحهم في أبي هريرة رضي الله عنه

الفصل الأول

الإلزامات في تدحهم في أمهات المؤمنين عائشة وحفصة عليهما السلام

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان قدحهم في أمهات المؤمنين عائشة وحفصة عليهما السلام

عائشة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، من أحب الناس إليه صلى الله عليه وآله نفساً، وأحب الناس إليه أباً، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله بكرة ولم يتزوج بكرة غيرها، وكان جبريل ينزل عليه بالوحي وهي معها في لحاف ولم يفعل ذلك غيرها، وكان لها يومين وليتين وكان لنسائه يوم وليلة، وأنزل في عذرها من السماء كاد أن يهلك بها فتأم من الناس وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحرها ونحرها ^(١).
وحفصة بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم المؤمنين، الستر الرفيع، هي التي كانت تسامي عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله - ^(٢).
وقد وجه الرافضة إلى عائشة وحفصة عليهما السلام العديد من المطاعن اكتفي بذكر بعضها فمنها:

- ١- التقرب إلى الله بلعنهما: ذكر المجلسي: (أن جعفر الصادق كان يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعة من النساء: التيمي والعدوي وعثمان ومعاوية يسميهم، وعائشة وحفصة وهندا وأم الحكم أخت معاوية) ^(٣).
- ٢- ادعائهم كفرهما نتيجة عداوتهما لعلي رضي الله عنه: روى المجلسي (عن النبي

(١) ينظر: المعجم الكبير للطبراني (٢٣ / ٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٢٧).

(٣) عين الحياة للمجلسي ص ٥٩٩.

صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لعلي عليه السلام قال: يا علي إن فلانة وفلانة ستشاقانك؟ وتبغضانك بعدي وتخرج فلانة عليك في عساكر الحديد، وتتخلف الأخرى تجمع إليها الجموع هما في الأمر سواء، فما أنت صانع يا علي؟ قال: يا رسول الله إن فعلتا ذلك تلوت عليهما كتاب الله، وهو الحجة فيما بيني وبينهما، فإن قبلتا وإلا أخبرتهما بالسنة وما يجب عليهما من طاعتي وحقي المفروض عليهما، فإن قبلتا وإلا أشهدت الله وأشهدتك عليهما ورأيت قتالهما على ضلالتهم، قال: وتعقر الجمل وإن وقع في النار؟ قلت: نعم، قال اللهم اشهد، ثم قال: يا علي إذا فعلتا ما شهد عليهما القرآن فأبنيهما مني، فإنهما بائنتان، وأبواهما شريكان لهما فيما عملتا وفعلتا^(١).

قال النوري الطبرسي: (ما روي عن مولانا الحجة صلوات الله عليه في مسائل سعد بن عبد الله: إن الله تبارك وتعالى عظم شأن نساء النبي فخصهن بشرف الأمهات؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا الحسن! إن هذا الشرف باق لهن مادمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج، وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين»^(٢)).

وروى المجلسي عن جعفر الصادق أنه قال: (كفرت في قولها) (من أنباك هذا) وقال الله فيها وفي أختها (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) أي زاغت والزيف الكفر^(٣).

كما روى (عن علي عليه السلام) قال: أما والله لقد علم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذه عائشة بنت أبي بكر فاسألوها أن أصحاب الجمل والمخدج

(١) بحار الأنوار (٢٢/٤٨٨).

(٢) بحار الأنوار (٣٤/٨٩)، دلائل الإمامة ص ٥١٢.

(٣) بحار الأنوار (٢٢/٢٤٦).

اليد ملعونون على لسان النبي الأمي وهذه هاهنا فاسألوها، وقال عليه السلام: لا أجد إلا قتالهم أو الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

٣- دعوى الرافضة أن الله ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة عليهما السلام في قوله تعالى: **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ**^(٢)، فزعموا أن هذه الآية مثل ضربه الله لعائشة وحفصة عليهما السلام وهو مثل للذين كفروا وقد تقدم أن عائشة وحفصة عليهما السلام من الذين كفروا في رأي الرافضة ونسبوا هذا الزعم الى ذي النورين عثمان عليه السلام فقد حكموا أن عائشة وحفصة ذهبتا تطلبان ميراثهما من عثمان^(٣).

٤- زعمهم بأنهما سمتا النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال العياشي في تفسيره: (فُسِّمَ قبل الموت، إنهما سقتاه قبل الموت، فقلنا: إنهما وأبويهما شرٌّ من خلق الله)^(٤)، قال المجلسي: (إنَّ العياشي روى بسند معتبر عن الصادق: أنَّ عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما، قتلتا رسول الله بالسِّمِّ دبرتاه)^(٥).

٥- زعمهم بأن المهدي سيقم حد القذف على عائشة عليها السلام: كما روى المجلسي (عن الباقر عليه السلام قال: أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدوها الحد وحتى يتقم لابنة محمد فاطمة عليها السلام منها، قيل: جعلت فداك ولم يجلدوها الحد؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم، قيل: فكيف آخره الله

(١) الاقتصاد ص ٢٢٨، بحار الأنوار (٣٢/ ٣٣٥).

(٢) سورة التحريم آية ١٠.

(٣) تفسير القمي (٢/ ٣٧٧)، البرهان للبحراني (٤/ ٣٥٨).

(٤) تفسير العياشي (١/ ٢٠٠).

(٥) حياة القلوب للمجلسي (٢/ ٧٠٠).

للقائم؟ فقال: لان الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رحمة وبعث القائم عليه السلام نقمة^(١).

المبحث الأول: إلزامات قولهم إن الكافرة يجب أن تطلق

إن مما يقربه الرافضة وجوب تطليق الكافرة ولقد ورد في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٣) أنه تعالى نفى التساوي بينهما في جميع الأحكام ومن بينها المناكحة^(٤).

كما روى المجلسي (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لعلي عليه السلام) قال: «يا علي إن فلانة وفلانة ستشاقانك؟ وتبغضانك بعدي وتخرج فلانة عليك في عساكر الحديد، وتتخلف الأخرى نجمع إليها الجموع هما في الامر سواء، فما أنت صانع يا علي؟ قال: يا رسول الله إن فعلتا ذلك تلوت عليهما كتاب الله، وهو الحجة فيما بيني وبينهما، فان قبلتا وإلا أخبرتهما بالسنة وما يجب عليهما من طاعتي وحقى المفروض عليهما، فإن قبلتا وإلا أشهدت الله وأشهدتك عليهما، ورأيت قتالهما على ضالتهما، قال: وتعقر الجمل وإن وقع في النار؟ قلت: نعم، قال اللهم اشهد، ثم قال: يا علي إذا فعلتا ما شهد عليهما القرآن فأبئتهما مني، فإنهما بائنتان، وأبواهما شريكان لهما فيما عملتا وفعلتا»^(٥).

قال النوري الطبرسي: (ما روي عن مولانا الحجة صلوات الله عليه في مسائل

(١) مستدرك الوسائل (١٨/ ٩٢)، بحار الأنوار (٢٢/ ٢٤٢).

(٢) سورة الممتحنة آية ١٠.

(٣) سورة البقرة آية ٢٢١.

(٤) جامع الخلاف والوفاق ص ٤٣٦.

(٥) سبق تخريجه.

سعد بن عبدالله: إنَّ الله تبارك وتعالى عظم شأن نساء النبي فخصَّهنَّ بشرف الأمَّهات؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن! إنَّ هذا الشرف باقٍ لهنَّ ما دمن الله على الطاعة، فأيتَّهنَّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج، وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين^(١).

وهنا تتجلى أنواع الإلزامات المتعددة كما يلي:

أولاً: الإلزام العلمي فلم يعرف أن علياً طلق عائشة أو حفصة وهنا أصبح الإلزام من طرفين إن صحت هذه الرواية فلم يطلق النبي ﷺ ولا علي عليه السلام بل مما هو متفق عليه أن النبي ﷺ مات وهما على ذمته مع وجود بعض الروايات التي تذكر أنه طلق حفصة ثم راجعها^(٢).

ثانياً: الإلزام الجدلي فأما ما ورد من روايات بأن علياً عليه السلام طلق عائشة أو حفصة وأسقطهما من شرف أمومة المؤمنين^(٣)، فيلزم على ذلك إلزامات جدلية وهي:

الإلزام الأول: جهل النبي وعلي بما يكون كما ترعمون عادة، إذ لو كان عند

(١) بحار الأنوار (٨٩/٣٤)، دلائل الإمامة ص ٥١٢.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٥/٢٧١) رقم الحديث (١٥٩٢٤)، وقال محققوه: «حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإرساله، عاصم بن عمر»، ورواه ابن ماجه في السنن (١/٦٥٠) حديث (٢٠١٦) وقال الدارمي في السنن (١/١٥٩): «كان علي بن المديني أنكر هذا الحديث وقال ليس عندنا هذا الحديث بالبصرة عن حميد» وقال البزار في المسند (١/٢٩٤): «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس إلا سلمة، ولا عن سلمة إلا صالح بن صالح، وقد روي عن عمار بن ياسر، وعن أنس، عن النبي ﷺ»، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢/٢١٥): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (إرواء الغلیل برقم ٢٠١٦).

(٣) بحار الأنوار (٨٩/٣٨) و(٥٢/٨٨) و(٣٨/٧٦) و(٥٢/٨٣) و(١٠٩/٢٢)، وانظر الاحتجاج (٢/٢٧١)، تفسير الصافي (٢/٣٣٢).

النبي علم بما سوف يكون منها بعد موته لطلقها قبل موته ولما قال لعلي (فأيتهن عصت بعد)، ولو كان علي يعلم ما يكون لقال للنبي: إني أعلم بما سوف يكون منها لأنني إمام والإمام لا يخفى عليه شيء. يلزم من قوله (وأسقطها من شرف الأمومة) أمومة الشرف والكرامة ويأبى الله إلا أن يكشف تناقض الرافضة بأيديهم. **الإلزام الثاني:** أن قوله تعالى ﴿وَأَزْوَجَهُ أَتَهُنَّ﴾ هي أمومة الشرف بدليل قول النبي «**وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين**». هذه الأمومة التي عادة ما ينكرها الشيعة المتناقضون ويحرفون معناها هروبا من إلزامهم بأمومة الشرف التي يهربون منها وتلزمهم بنفي الإيمان عند نفيتهم هذا الشرف.

الإلزام الثالث: ضرب الآية الكريمة ﴿وَأَزْوَجَهُ أَتَهُنَّ﴾ لأنها قطعت الأمل بزواج أحد منهن. وهذا شرف عظيم لا يجوز لأحد بعد نزول هذه الآية. ولو ثبت لأحد أن يطلقهن بعد وفاة الرسول ﷺ لجاز لهن أن يتزوجن من آخرين وهذا يعارض الآية التي لم يرد فيها أى استثناء أو شرط، فالآية باقية حتى بعد وفاة الرسول ﷺ، وهذا شرف أعطاه الله لهن فلا يستطيع الإمام علي ولا غيره حرمانهن مما أنعم الله به عليهن.

الإلزام الرابع: ضرب الآية الكريم: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾^(١) فالله حرم على النبي أن يطلق واحدة من أزواجه ليتزوج أخرى مكانها^(٢). فكيف جاز لعلي ما حرمه الله على النبي؟

الإلزام الخامس: جهل الله تعالى بحال عائشة بعد موت النبي. إذ لو كان الله يعلم حالها بعد موت النبي لما نهى نبيه عن تبديل عائشة بامرأة أخرى.

(١) سورة الأحزاب: ٥٢.

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٢٥ / ١٦٥)، وتفسير الألوسي (١١ / ١٨٠).

المبحث الثاني: إلزامات ثناء النبي صلى الله عليه وآله عليهما.

لقد أثنى النبي صلى الله عليه وآله على بعض زوجاته وكان لعائشة وحفصة عليهما السلام النصيب الأكبر من ذلك الثناء ومما ورد في ثنائه عليهما، أما عائشة فقد قال صلى الله عليه وآله: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»^(١). وكان لعائشة عليها السلام شرف خدمة النبي صلى الله عليه وآله وتمريضه في أيام حياته الأخيرة فما أن نزل به مرضه الأخير الذي مات فيه حتى أخذ يسأل: أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟ يريد أن يكون في بيت عائشة، ثم استأذن أزواجه أن يكون في بيتها فأذن له فبقي في بيتها إلى أن قبضه الله إليه وإن رأسه لبين سحرها ونحرها وحافتها وذاقتها، وريقه قد خالط ريقها^(٢). فكان موته في بيت أحب الناس إليه كما ثبت عنه في الصحيح لما سئل أي الناس أحب إليك قال عائشة^(٣)، وهذا الحديث فيه منقبة عظيمة لأُم المؤمنين عائشة بكونها أحب الناس إلى قلبه، قال الحافظ الذهبي: «وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله - صلى الله عليه وآله - فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله، وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً»^(٤).

وأما حفصة فقد روى البخاري: «أن عمر بن الخطاب، حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٧٦) برقم (٣٥٦٤) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٦١٦) برقم (٤١٨٤) باب مرض النبي صلى الله عليه وآله ووفاته.

(٣) صحيح البخاري ط (٣/ ١٣٣٩) برقم (٣٤٦٢) كتاب الفضائل، باب قول النبي صلى الله عليه وآله «لو كنت متخذاً خليلاً».

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٢).

شهد بدرا، توفي بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك؟ قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت، إلا أني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لقبلتها»^(١).

قال الذهبي: «وروي أن النبي ﷺ تطليقه ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك وقال: «إنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة»^(٢)»^(٣).
وهنا تتجلى أنواع الإنزامات المتعددة كما يلي:

أولا: الإنزام العلمي فبهذا الشئ أصبح لازما على كل مسلم أن يحب من أحبه رسول الله^(٤) وأثنى عليه وهو المؤيد من الحق وما هو إلا وحي يوحى.

(١) صحيح البخاري (٤ / ١٤٧١) برقم (٣٧٨٣) باب شهود الملائكة بدرا.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١ / ٥٥) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن شعبة إلا يحيى بن أبي بكير، تفرد به: موسى بن أبي سهل»، والبخاري في المسند (٤ / ٢٣٨) وقال: «ولا نعلم يروى هذا الحديث، عن عمار إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٧ / ٢٥١): «رواه الحارث بن أبي أسامة مرسلًا ورواته ثقات»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٩٣): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢ / ٨٠٢) برقم (٤٣٥١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٢٨).

(٤) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (١٠ / ٣٧٦)، وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري لمحمد الخضر الشنقيطي (١ / ٣٦).

ثانيا: الإلزام الجدلي فيصبح ما ذكر من ثناء النبي صلى الله عليه وآله بالقول والفعل لأمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهن من التغرير بالأمة وحاشاه عن ذلك.

ثالثا: لازم المذهب فقد قال أبو علي محمد بن محمد الأشعث الكوفي في كتابه إلى الحسين بن علي عليه السلام: (أَنْ أبا ذر أخبره: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ دَعَا بِالسَّوَاكِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ: لَتَبْلِيَنِي لِي بِرَيْقِكَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ أَتَى بِهِ فَجَعَلَ يَسْتَاكُ بِهِ وَيَقُولُ بِذَلِكَ: رَيْقِي عَلَى رَيْقِكَ يَا حَمِيرَاءُ، ثُمَّ شَخَصَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ كَالْمَخَاطِبِ، ثُمَّ مَاتَ صلى الله عليه وآله)^(١). وفي هذا تأكيد لصحة ما يرويه أهل السنة من ثناء النبي صلى الله عليه وآله.

المبحث الثالث: الإلزامات ورود ذكرهم في القرآن مع باقي الزوجات.

أثنى الله سبحانه وتعالى على زوجات النبي صلى الله عليه وآله وبين أنهم أمهات المؤمنين بلا استثناء والله وحده هو الذي من عليهن بهذا الفضل وفرض هذه الأمومة وقررها على جميع المؤمنين قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٢).

قال القرطبي: «شَرَّفَ اللهُ أَزْوَاجَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله بِأَنْ جَعَلَهُنَّ أُمَّهَاتَ الْمُؤْمِنِينَ أَي: وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن رضي الله عنهن بخلاف الأمهات»^(٣). وقال ابن كثير: «وقوله وأزواجه أمهاتهم أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع»^(٤).

(١) الأشعثيات للأشعث الكوفي ص ٢١٢، ومستدرک الوسائل للنوري (١٦/ ٤٣٤).

(٢) سورة الأحزاب آية ٦.

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٥).

وفي هذه الآية يتقرر الإلزام العلمي بشيئين:

الأول: أن الرسول ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ولا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه.

الثاني: أن زوجات النبي رضي الله عنهن هن أمهات للمؤمنين.

فهذه الأمومة التي يقررها القرآن لزوجات النبي ﷺ ويعممها على جميع المؤمنين، تفرض على من شرفوا بهذه الأمومة واجبات والتزامات يجب أن تؤدي.

ويتجلى لازم المذهب بقول الطبطبائي في تفسيره عند قوله تعالى: (وأزواجه أمهاتهم) «جعل تشريعي أي أنهم منهم بمنزلة أمهاتهم في وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم»^(١).

كما أنهم اخترن الله ورسوله والدار الآخرة إثارةً منهن لذلك على الدنيا وزينتها فأعد الله لهن على ذلك ثواباً جزيلاً وأجرًا عظيمًا قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيُكَ إِن كُنْتَن تَرُدَّتْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكَ وَأَسْرِحُكَ سَرَحًا جَمِيلًا ۖ وَلَئِن كُنْتَن تَرُدَّتْ إِلَهُ وَرَسُولُهُ، وَالدَّارُ الْآخِرَةُ فَإِنَّ إِلَهُ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَتِ مِنْكَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

ففي صحيح البخاري بإسناده إلى عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لما أمر رسول الله بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكر لك أمراً، ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت: قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك، ثم قال: (إن الله قال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيُكَ إِن كُنْتَن تَرُدَّتْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكَ وَأَسْرِحُكَ سَرَحًا جَمِيلًا ۖ وَلَئِن كُنْتَن تَرُدَّتْ إِلَهُ وَرَسُولُهُ، وَالدَّارُ الْآخِرَةُ فَإِنَّ إِلَهُ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَتِ مِنْكَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قلْتُ: أفِي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله

(١) تفسير الميزان للطبطبائي (٦١/ ٣٧٧).

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٨.

ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة^(١).

كما أن الله تعالى أخبر عباده أن ثوابهن على الطاعة والعمل الصالح ضعف أجر غيرهن ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خَيْرًا فَلِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٢). ففي هذه الآية أن التي تطيع الله ورسوله منهن وتعمل صالحاً فإن الله يعطيها ضعف ثواب غيرها من سائر نساء المسلمين ، وأعد الله لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنان، قال الحافظ ابن كثير: (أي : في الجنة فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش) (٣).

ومن المناقب التي شرفهن بها رب العالمين وأخبر بها عباده في كتابه العزيز أنهم لسن كأحد من النساء في الفضل والشرف وعلو المنزلة قال تعالى: ﴿يَسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتْقَيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾^(٤)، فقد بين المولى جل وعلا في هذه الآية أنه لا يلحقهن من نساء الناس في الشرف والفضل، كما بين أن هذا الفضل إنما يتم لهن بشرط التقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن.

كما أن الله أخبر أنه طهرهن من الرجس تطهيراً قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٥).

(١) صحيح البخاري (٢/ ٨٧١) برقم (٢٣٣٦) باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣١.

(۳) تفسیر ابن کثیر (۱۱/ ۱۵۰).

(٤) سورة الأحزاب آية ٣١.

(٥) سورة الأحزاب آية ٣٢.

ويتجلى الإلزام الجدلي بعدم استثناء عائشة وحفصة من تلك المناقب التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لأمهات المؤمنين دليل واضح وإلزام جلي لأن يكونوا أهلاً لتلك الصفات وإلا لكان ذلك قد حافى علم الله ونقصا في البيان جل سبحانه وتعالى عن ذلك.



الفصل الثاني

الإلزامات في قدهم في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: وفيه بيان مذهبهم في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا عبد الرحمن، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ، وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد^(١).

دعا له رسول الله ﷺ بالهداية والنجاة من العذاب، «اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه»^(٢).

عن أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا». قالت أم حرام قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال (أنت فيهم). ثم قال النبي ﷺ: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فقلت أنا فيهم يا رسول الله؟ قال «لا»^(٣).

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ١٤١٦).

(٢) الشريعة للأجري (٥/ ٢٤٣٧)، ومسند أحمد (٢٩/ ٤٢٦) رقم الحديث (١٧٨٩٥)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وسنن الترمذي (٥/ ٦٨٧) برقم (٣٨٤٢) وقال: «هذا حديث حسن غريب» وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشي من فقهها وفوائدها (٤/ ٦١٥) برقم (١٩٦٩).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٠٦٩) برقم (٢٧٦٦)، باب ما قيل في قتال الروم.

قال الفريابي: «وكان أول من غزاه معاوية في زمن عثمان بن عفان رحمة الله عليهما»^(١).

ملئت كتب الرافضة من القدح في معاوية رضي الله عنه ومن ذلك: ما رواه المجلسي: (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه انتبه من نومه في بيت أم هاني فزعا فسأله عن ذلك فقال: يا أم هاني إن الله عز وجل عرض علي في منامي القيامة وأهوالها والجنة ونعيمها، والنار وما فيها وعذابها، فاطلعت في النار فإذا أنا بمعاوية وعمر بن العاص قائمين في حر جهنم ترسخ رؤوسها الزبانية بحجارة من جمر جهنم يقولون لهما: هل آمنتما بولاية علي بن أبي طالب. قال فيخرج علي من حجاب العظمة ضاحكا مستبشرا وينادي حكم لي ورب الكعبة فذلك قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾^(٢) فيبعث الخبيث إلى النار ويقوم علي في الموقف يشفع في أصحابه وأهل بيته وشيعته)^(٣).

كما روى (عن علي رضي الله عنه قال: ألا إن أئمة الكفر في الإسلام خمس طلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص وأبو موسى الأشعري)^(٤).

كما روى (عن علي رضي الله عنه قال: معاوية فرعون هذه الأمة وعمر بن العاص هامانها).^(٥) كما روى (عن علي رضي الله عنه قال: والله لود معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلا طعن في بطنه إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)^(٦).

(١) الشريعة للأجري (٥ / ٢٤٤١).

(٢) سورة التين آية ٨.

(٣) بحار الأنوار (٣٣ / ١٦٥)، البرهان (٤ / ٤٧٧).

(٤) بحار الأنوار (٣٢ / ٣٣٥).

(٥) الكافي (٤ / ٢٤٤)، الخصال ص ٥٧٥، بحار الأنوار (٣١ / ٤٣٨) و (٣٣ / ١٧٠).

(٦) بحار الأنوار (٢١ / ٣٤٩)، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (٥ / ٢٢١).

وروى صاحب كتاب الغارات: (عن علي بن محمد بن أبي سيف أنه قال: قال علي عليه السلام: اللهم العن معاوية وعمراً) ^(١).

واحتجوا بما حكاه ابن حزم بلا إسناد حيث قال: (وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقنت بهذا فيلعن رجالاً يسميهم بأسمائهم منهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو الأعور السلمي وأبو موسى الأشعري) ^(٢)، ولو كان لها إسناد لحكمنا بأنها رواية براء لعدم وجود رواية بين ابن حزم وبين علي عليه السلام. فكيف وأنه لا إسناد لها أصلاً! ولكن الرافضة احتجوا بها واستحسنوها ^(٣).

المبحث الأول: إلزامات تنازل الحسن بن علي لمعاوية بالحكم.

قام الخوارج بالاتفاق على قتل علي ومعاوية وعمرو رضوان الله عليهم، ف ضرب أشقاهم علياً في صلاة الفجر فجرح جرحاً بليغاً، أما معاوية فشفي من جرحه، وأما عمرو فقتل غيره بدلاً منه. وقد طلب الشيعة من علي أن يستخلف عليهم الحسن من بعده، فرفض بشدة لأن ذلك مخالف لمبدأ الشورى، وقال: (لا آمركم ولا أنهاكم. أنتم أبصر) ^(٤).

واستشهد رحمته الله متأثراً بجرحه فبكى الناس لتلك الفاجعة. وهذا معاوية، لما جاءه نعي علي بن أبي طالب، جلس وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وجعل يبكي. فقالت امرأته: «أنت بالأمس تقاتله، واليوم تبكيه؟! فقال: «ويحك، إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره». وفي رواية «ويحك، إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم» ^(٥).

(١) الغارات (٦٤١/٣) للثقفى وانتصر لهذا علي الكوراني كما في الانتصار (١٣٧/٨).

(٢) الإحكام لابن حزم (١٠٩/١).

(٣) شرح نهج البلاغة (٣١٩/٢) و (٥١/٤)، موسوعة الإمام علي ترجمة رقم ٦٢٢٠.

(٤) الشافي (٢٩٥٣)، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٨٤/٨) و (٢٢١١٦).

(٥) البداية والنهاية (٨/١٥-١٣٣).

ثم اجتمع أهل العراق يريدون مبايعة الحسن، فاشترط عليهم «إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمته، وتحاربون من حاربت». فارتاب أهل العراق في أمرهم، وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال. فحاولوا مبايعة الحسين بدلاً منه فأبى، فاضطروا مرغمين إلى مبايعة الحسن. فقام الحسن وتنازل عن الخلافة لمعاوية وأصلح بين أهل العراق وأهل الشام كما جاء في الحديث الصحيح.

وأما أسطورة طلب الحسن لأن تكون الخلافة له من بعده، فليست صحيحة، حيث أنها تتنافى مع قوة وكرم الحسن. فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء الأمة وابتغاء مرضاة الله، ثم يوافق على أن يكون تابعاً يتطلب أسباب الدنيا وتشرأب عنقه للخلافة مرة أخرى؟! والدليل على هذا ما ذكره جبير بن نفير قال: «قلت للحسن بن علي إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة». فقال: «كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمته ويحاربون من حاربت، فتركها ابتغاء وجه الله، ثم أبتزها بأتياس أهل الحجاز؟!»^(١).

وهنا إلزام علمي من كلام الحسن عليه السلام ما كتبه في كتاب الصلح الذي استقر بينه وبين معاوية حيث رأى حقن الدماء وإطفاء الفتنة، وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه واله وسيرة الخلفاء الصالحين وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم، وعراقهم وحجازهم

(١) البلاذري في أنساب الأشراف (٣/ ٤٩)، وطبقات ابن سعد، الطبقة الخامسة (ص ٢٥٨) بسند جيد.

ويعتبرهم، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم. وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه، وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه واله غائلة سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك - وكفى بالله شهيدا - فلان وفلان والسلام^(١).

وهذا من أعظم فضائله وأدله على زهده في الدنيا وحبه لإصلاح أمور المسلمين. فكيف إذا زدنا فوق ذلك شرف نسبه الكريم؟ قال معاوية مرة لجلسائه: (من أكرم الناس أباً وأماً، وجداً وجدةً، وعماً وعمّةً، وخالاً وخالةً؟). فقالوا: أمير المؤمنين أعلم. فأخذ بيد الحسن، وقال: هذا! أبوه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة ابنة محمد، وجدّه رسول الله وجدته خديجة، وعمه جعفر وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن محمد وخالته زينب بنت محمد^(٢).

وهنا إلزام جدلي فمن الملفت للنظر أن نلاحظ أنه لم يتولّ أحدٌ من ذرية الحسين تقريباً. وأما العبيديون بمصر فهم أذعياء للنسب الفاطمي، إذ هم ينتسبون حقيقة لعبيد الله بن قداح اليهودي. أما أبناء الحسن فقد حكموا المغرب وشمال إفريقيا منذ أوّل العهد العباسي وحتى فترة طويلة. أمّا الخلافة فيكفيهم أن آخر الخلفاء الراشدين منهم. قال ابن القيم الجوزية بعد إسراده لحديث فيه أن المهدي الذي يخرج في آخر الأمة هو من نسل الحسن: «وفي كونه من ولد الحسن سرٌّ لطيف، وهو أن الحسن ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض. وهذه سُنّة الله في عبادِهِ، أنه

(١) بحار الأنوار (٤٤ / ٦٥).

(٢) معاوية بن أبي سفيان كشف شبهات (١ / ٢٣٥) نقله عن العقد الفريد.

من ترك لأجله شيئاً، أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه. وهذا بخلاف الحسين فإنه حرص عليها وقاتل عليها، فلم يظفر بها. والله أعلم^(١).

المبحث الثاني: إلزامات نصرته للإسلام وكثرة الفتوحات في عهده.

بعد إسلام معاوية رضي الله عنه عام الفتح قرب به النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له فعن عبد الرحمن بن أبي عميرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية: (اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به)^(٢). وفي عهد عمر ابن الخطاب ولاه إمارة الشام فقد نقل ابن أبي الدنيا: (قال: لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا من عمر قال له: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: هو ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافياً إلى بلاد الحجاز، قال: يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال له عمر: يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرب^(٣)، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريت، ولئن كان باطلاً إنه لخديعة أديت. قال: فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت، قال: لا

(١) المنار المنيف ص ١٥١، وانظر للاستزادة كتاب من سب معاوية فأمه هاوية للمغراوي وكتاب سل السنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان لسعد بن زيدان السبيعي.

(٢) رواه الترمذي (٥ / ٦٨٧) برقم (٣٨٤٢)، كتاب المناقب، باب «مناقب لمعاوية بن أبي سفيان» قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب»، والإمام أحمد في «مسنده» (٤ / ٢١٦).

(٣) الرواجب: مفاصل الأصابع بين البراجم، الراجبة العمر الذي بين الأضراس، وإنما الرواجب في الأصابع، الراجبة ما بين البرجمتين من كل إصبع، وهي السلامي، فاستعارها في الأضراس، وراجبة الطير: الإصبع التي تلي الدائرة من الجانب الوحشي، الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي (٢ / ٤٣٦)، والجيم لأبي عمرو الشيباني (١ / ٢٨٩).

أمرك ولا أنهاك. فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه؟! فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه^(١) ما جشمناه. وفي رواية أن معاوية تلقى عمر حين قدم الشام، ومعاوية في موكب كثيف، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار، ولم يشعر بهما، فقيل له: إنك جاوزت أمير المؤمنين، فرجع، فلما رأى عمر ترجل وجعل يقول له ما ذكرنا، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين؟! فقال: من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه^(٢).

وهنا إلزام علمي ففي عهد تولى معاوية للخلافة فتحت قبرص، وقاتل المسلمون أهل القسطنطينية فقد قال سعيد بن عبد العزيز، لما قُتل عثمان، ووقع الاختلاف، لم يكن الناس غزوً حتى اجتمعوا على معاوية، فأغزاهم مراتٍ، ثم أغزى ابنه في جماعة من الصحابة عليهم السلام براً وبحراً حتى أجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها، ثم قفل^(٣). فهو من قاد حركة الجهاد ضد الدولة البيزنطية (القسطنطينية)، وقاد فتوحات الشمال الإفريقي (القيروان) ووصل إلى المحيط الأطلسي، وفتوحات الجناح الشرقي للدولة الأموية خراسان وسجستان وما وراء النهر والسند، وغزا الروم ابتداءً من عام ٤٢ هـ حتى سنة ٦٠ هـ فيما يسمى بالشاتية والصائفية، وابتداءً بناء القيروان سنة ٣٦ هـ بعد فتح إفريقية على يد عقبة بن نافع وأعاد فتح سجستان وخراسان على عبدالله بن عامر بن كريز وغزا بلاد

(١) جشم الأمر بالكسر يعشمه جشما وجشامة وتعشمه تكلفه على مشقة وأجشمي فلان أمرا وجشمنيه أي كلفني، لسان العرب لابن منظور (١/ ٦٢٩).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٢٤-١٢٥).

(٣) أخرجه أبو زرعة في «تاريخ دمشق» (١/ ١٨٨، ٣٤٦)، ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٠). بتصرف.

الغور (أفغانستان) حالياً وفتح بلخ وقهستان وما وراء نهر جيحون وفتح مدينة ترمذ (التي نسب إليها الترمذي) ^(١).

وإلزام جدلي فمما سبق تبين أنه أصبح لازماً عدم القدح في معاوية رضي الله عنه لما سبق ذكره من نصرته للإسلام وانتشار الإسلام في عهده ولو كان منافقاً كما يزعم الرافضة لاستغل الفرصة للتنكيل بالمسلمين ^(٢).

المبحث الثالث: إنزامات إكرام معاوية لأهل البيت.

تواتر النقل عن أئمة السلف وأهل العلم جيلاً بعد جيل، على اختلاف أزمانهم وبلدانهم بوجوب محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإكرامهم والعناية بهم، وحفظ وصية النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، ونصّوا على ذلك في أصولهم المعتمدة، ولعلّ كثرة المصنفات التي ألفها أهل السنة في فضائلهم ومناقبهم أكبر دليل على ذلك. وهنا إلزام علمي فمعاوية رضي الله عنه لم يترك هذا الإحتفاء بهم بعد توليه الخلافة بل أكرمهم ورفع من شأنهم، فقد أورد الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: (أن الحسن بن علي دخل على معاوية في مجلسه، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر له بثلاثمائة ألف) ^(٣).

وأورد ابن كثير أيضاً في البداية: (أن الحسن والحسين رضي الله عنهما وفدا على معاوية رضي الله عنه، فأجازهما بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بهما أحد قبلي، فقال الحسين، ولم تعط أحد أفضل منا) ^(٤).

(١) المصدر نفسه.

(٢) وانظر للاستزادة كتاب من سب معاوية فأمه هاوية للمغراوي وكتاب سل السنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان لسعد بن ضيدان السبيعي.

(٣) البداية والنهاية (٢ / ١٤٠).

(٤) المصدر السابق (٨ / ١٣٩).

ثانياً: إلزام جدلي فإن آل البيت كانوا يحبون هذه الهدايا ويقبلونها حبا فيمن أهداها فقد (روى جعفر بن محمد عن أبيه: أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية رضي الله عنه)^(١). وهذا دليل على تعظيم معاوية لأهل بيت النبوة وإكرامه إياهم وأن منافسته لهم الظاهرة كانت عن اجتهاد له فيها أجرين شاء الله وهو إلزام للرافضة الذين ينفون علاقة المودة بين آل البيت ومعاوية رضي الله عنه)^(٢).

ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وجاء الحسن بن علي عليهما السلام إلى معاوية فقال له معاوية: لو لم يكن لك فضل على يزيد إلا أن أمك امرأة من قريش وأمه امرأة من كلب لكان لك عليه فضل، فكيف وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٣). وعن جابر بن عبد الله قال: كنا يوماً عند معاوية وقد تفرشت قريش وصناديد العرب ومواليها أسفل سريره وعقيل بن أبي طالب والحسن بن علي عليهما السلام عن يمينه ويساره^(٤).

ثالثاً: لازم المذهب فالأقوال التي نسبها بعض الرافضة في مصنفاتهم إلى معاوية في الثناء على علي والترحم عليه، ورواية فضائله تدل على بطلان قدهم من أساسه:

فقد رويوا بأسانيدهم إلى معاوية من أكثر من عشر طرق أنه قال لرجل سألته عن مسألة: (سل عنها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه أعلم. قال: يا معاوية قولك فيها أحب إلي من قول علي. قال: بئس ما قلت، ولؤم ما جئت به، كيف كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغره بالعلم غراً، ولقد قال له رسول الله أنت

(١) مُصنّف ابن أبي شيبة (٦ / ٨٩).

(٢) الشريعة للأجري برقم ١٩٦٣، السنة اللالكائي برقم ٢٧٨٢.

(٣) الشريعة للأجري (٥ / ٢٤٦٩).

(٤) المصدر السابق (٥ / ٢٤٦٨).

مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، ولقد كان عمر بن الخطاب يسأله فيأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه شيء قال: هاهنا علي، ثم قال للرجل: قم لا أقام الله رجلك، ومحى اسمه من الديوان^(١).

فهذا ذكر معاوية لعلي وفضائله، وحب له، وترحمه عليه، ومعاقبة من يقدر فيه، ومما سبق إلزام علمي صريح الدلالة واجب الاتباع^(٢).

وقال معاوية: يا عجباً للحسن بن علي!! شرب شربة غسل يمانية بماء رومة فقضى نجه، ثم قال لابن عباس: لا يسؤك الله ولا يحزنك في الحسن بن علي، فقال ابن عباس لمعاوية: لا يحزنني الله ولا يسؤني ما أبقي الله أمير المؤمنين، قال: فأعطاه ألف ألف درهم وعروضا وأشياء، وقال: خذها فاقسمها في أهلك^(٣).

قليل لمعاوية أيكم كان أشرف، أنتم أو بنو هاشم؟ قال: كنا أكثر أشرافا وكانوا هم أشرف، فيهم واحد لم يكن في بني عبد مناف مثل هاشم، فلما هلك كنا أكثر عددا وأكثر أشرافا، وكان فيهم عبد المطلب ولم يكن فينا مثله، فلما مات صرنا أكثر عددا وأكثر أشرافا، ولم يكن فيهم واحد كواحدنا، فلم يكن إلا كقرار العين حتى قالوا: منا نبي، فجاء نبي لم يسمع الأولون والآخرون بمثله، محمد ﷺ، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف؟^(٤).



(١) المناقب لابن المغازلي ص ٣٤.

(٢) انظر للاستزادة كتاب الأحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان لمحمد الأمين الشنقيطي.

(٣) البداية والنهاية (٨ / ١٤٧).

(٤) البداية والنهاية (٨ / ١٤٧).

الفصل الثالث

الإلزامات في قدحهم في أبي هريرة رضي الله عنه

وفيه تمهيد وفيه مبحثان:

التمهيد: وفيه بيان مذهب الرافضة في أبي هريرة رضي الله عنه

لقد ملء الرافضة المتأخرين كتبهم بالقدح في أبي هريرة رضي الله عنه وأفردوا في ذلك مؤلفات^(١)، ولم أقف على روايات للمتقدمين من علماء الرافضة تقدح في أبي هريرة سوى روايتين وهي:

(عن علي رضي الله عنه): أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة الدوسي)^(٢).

(عن الصادق عليه السلام: ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله أبو هريرة، وأنس بن مالك وامرأة)^(٣). قال المجلسي وغيره: يعني عائشة.^(٤)

بل إن كتاب رجال ابن داود الحلبي يذكر أبا هريرة ضمن القسم الأول من كتابه المخصص لذكر الممدوحين، ويقول: «عبد الله أبو هريرة، معروف، من أصحاب الرسول»^(٥).

وأول من أكثر في القدح بأبي هريرة هو ابن أبي الحديد في شرحه لنهج

(١) انظر على سبيل المثال: كتاب أبو هريرة لعبد الحسين الموسوي.

(٢) المسترشد ص ١٧٠، بحار الأنوار (٣٣/٢١٥) و(٣٤/٢٨٧)،

(٣) الخصال ص ١٩٠، بحار الأنوار (٢/٢١٧).

(٤) بحار الأنوار (٢/٢١٧)،

(٥) رجال ابن داود الحلبي القسم الأول ص ١١٦ ترجمة رقم ٨٣٣.

البلاغة^(١)، فهو الذي أقحم الرافضة من بعده في هذا المعترك الصعب.
وقد سار على منوالهم وكرر مكذوب رواياتهم من يزعم أنه من أهل السنة
فألف في ذلك^(٢).

فرد عليه علماء أهل السنة ودافعوا عن ذلك الصحابي الجليل وبينوا التلبس
والتدليس^(٣).

ومما نقل عن علمائهم في القدح بأبي هريرة رضي الله عنه ما يلي:
قال الحلبي: (إن عمر شهد عليه بأنه عدو الله وعدو المسلمين، وحكم عليه
بالخيانة، وأوجب عليه عشرة آلاف دينار ألزمه بها بعد ولايته البحرين، ومثل هذا
لا يسكن إلى روايته).^(٤)

وقال البياضي: (سب أبو هريرة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن
فيك لشعبة من الكفر، فسأل النبي أن يستغفر له، فلم يعلم أحد أنه استغفر له،
وحلف لا يسب مسلماً، وكان بعد ذلك يلعن علياً).^(٥)

(١) حيث قال: «أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في
عليه تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا ما
أرضاه منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير»
وقال أيضاً: «قال أبو جعفر: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية، ضربه عمر
بالدرة، وقال: قد أكثرت من الرواية وأحربك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ! وروى
سفيان الثوري عن منصور، عن إبراهيم التيمي، قال: كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما كان
من ذكر جنة أو نار». شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (٦٧/٤).

(٢) هو «محمود أبو رية» الذي ألف كتاب سماه «أضواء على السنة المحمدية» طبع عام ١٣٧٧ هـ.

(٣) من هذه الكتب كتاب «أبو هريرة وأقلام الحاقدين» لعبد الرحمن عبد الله الزرعي، وكتاب
«أبو هريرة وعاء العلم» لهاشم عقيل عزوز.

(٤) تذكرة الفقهاء، للحلي (١٦٣/٣).

(٥) الصراط المستقيم، للبياضي (٢٤٩/٣).

قال أيضا: (أبو هريرة أعطي أربعمئة ألف درهم على وضع أربعمئة حديث) ^(١).

وقال الكركي: (أبو هريرة من الذين اشتهرت فسوقهم وأكاذيبهم وتعديهم الحدود وتضييعهم الحقوق) ^(٢).

وقال التستري: (أبو هريرة من الصحابة عليهم السلام المتهمين بالكذب والفسق) ^(٣).

وقال الزنجاني وجعفر مرتضى: (أبو هريرة كان من الوضاعين للحديث) ^(٤).

المبحث الأول: إلزامات روايته لفضايا أهل البيت.

قد روى أبو هريرة في فضائل أهل البيت أحاديث كثيرة مما يبعد كل البعد معاداته لهم، ومن أشهر هذه المنقولات نقله لحديث خيبر في الثناء على علي عليه السلام، والذي رواه الإمام مسلم في صحيحة عن قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب عن سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها» ^(٥).

ونقل في الثناء على فاطمة رضي الله عنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة سيدة نساء أمتي» ^(٦). وهنا إلزام علمي فقد نقل في الثناء على الحسن بن علي عليهما السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٥٠).

(٢) نفحات اللاهوت للكركي ق (٨٢/ ب).

(٣) إحقاق الحق للتستري ص ١٩٦.

(٤) عقائد الإمامية للزنجاني (٣/ ٢٥)، حديث الإفك لجعفر مرتضى ص ٥٢.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٣٥٤٠)، رقم الحديث (٦١٠٥) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب.

(٦) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢٣٢).

للحسن: «اللهم إني أحبه، فأحبه وأحب من يحبه»^(١). وأخبر أنه سمع النبي ﷺ يقول عن الحسن: (إنه سيد)^(٢). ولقد بكى أبو هريرة رضي الله عنه يوم مات الحسن بن علي رضي الله عنهما ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فأبكوا^(٣). وقال لما أرادوا الصلاة عليه: (أتنفسون على ابن نبيكم ﷺ بترية تدفونه فيها وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»)^(٤). ونقل في فضل الحسين بن علي رضي الله عنهما قوله عليه السلام: «اللهم إني أحبه فأحبه»^(٥). ونقل في فضل الحسن والحسين معا قوله عليه السلام عنهما: «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٦).

ثانيا: الإلزام الجدلي فهذه الروايات الصحيحة من كتب أهل السنة والروايات المعتبرة عند الرافضة من كتبهم أترك للقارئ العاقل أن يحكم بنفسه هل يقال لمن أخبر عن حب آل البيت وأشاد بهم، ونشر فضائلهم، وبكى عليهم، هل يقال أنه يبغضهم ويعاديهم؟.

وهل من يروي مثل هذه الأحاديث يتهم بوضعه أحاديث للانتقاص من قدر علي تزلفا لمعاوية - رضي الله عنه؟!^(٧)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٣٥٥٥)، رقم (٦١٣٩) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الحسن والحسين.

(٢) المستدرک للحاکم (٣/ ١٦٩) وصححه، ووافقه الذهبي. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٨): «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٣) الاستيعاب (١/ ٣٩١) واسد الغابة لابن كثير (٢/ ٩)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٠١).

(٤) المستدرک للحاکم (٣/ ١٧١) وصححه وأقره الذهبي وانظر أيضا تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٠١).

(٥) المستدرک للحاکم (٣/ ١٧٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) نفس المصدر (٣/ ١٦٦).

(٧) للاستزادة انظر كتاب دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم صالح العلي.

ثالثاً: لازم المذهب فقد ذكر الرافضة في كتبهم روايته عليه السلام لفضائل علي بن أبي طالب وفضائل ذريته ^(١) وذكروا حبه للحسن بن علي وثنائه عليه وبكاءه عليه بعد موته ^(٢).

وبهذا أصبح مفاد ذلك أن نقول بعدالة أبي هريرة رضي الله عنه وفضله وحبه لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني: إلزامات دعاء النبي صلى الله عليه وآله له.

إن أكثر ما يشكك به المشككون في أبي هريرة رضي الله عنه هو كثرة روايته للحديث وسبب كون أبي هريرة رضي الله عنه احفظ الصحابة رضي الله عنهم للحديث هو ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وآله، وبركة حصلت له من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٣).

فقد روى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله إني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ابسط ردائك. فبسطته، فغرف بيده فيه. ثم قال: ضمه. فضممته. فما نسيت حديثاً بعد**» ^(٤)).

وقال ابن المسيب: إن أبا هريرة قال: يقولون: إن أبا هريرة قد أكثر، والله الموعود، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه؟ وسأخبركم عن ذلك: إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) راجع الأشعثيات للأشعث الكوفي ص ٤٣، وبحار الأنوار (٣٧/ ١٨٦)، والغدير للاميني (١٥/ ١ - ١٨١).

(٢) كشف الغمة (١/ ٥٢١).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/ ٢٥٦).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٣٣٣) برقم (٣٤٤٨)، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وآله آية فأراهم انشقاق القمر.

على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا»^(١).

وعن محمد بن قيس بن مخرمة، أن رجلا جاء زيد بن ثابت فسأله عن شيء، فقال له زيد: عليك بأبي هريرة، فإنه بينا أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى، ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، قال: فجلس وسكتنا، فقال: «**عودوا للذي كنتم فيه**». قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله ﷺ يؤمن على دعائنا، قال: ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك مثل الذي سألك صاحباي هذان، وأسألك علما لا ينسى، فقال رسول الله ﷺ: «آمين»، فقلنا: يا رسول الله، ونحن نسأل الله علما لا ينسى فقال: «سبقكما بها الدوسي»^(٢).

وهنا إلزام علمي فأبو هريرة بهذه الأسباب أكثر الناس حفظا، وبهذا حفظ لنا كثيرا من مسائل الشريعة، ولا ريب أن طلب النبي ﷺ له بسط الرداء وقبضه هي بركة لم يحفظ لأحد مثلها للحفظ والضبط.

قال ابن حجر: «وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبي هريرة، ومعجزة واضحة من علامات النبوة؛ لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر منه، ثم تخلف عنه ببركة النبي ﷺ»^(٣).

وثمة دعوة أخرى من رسول الله ﷺ نال أبا هريرة خيرها، ألا وهي دعاء النبي ﷺ لأُمَّه بالهداية، فقد كان يدعوها إلى الإسلام، وهي مشركة تأبى الإسلام

(١) صحيح مسلم (١٦٧ / ٧) رقم الحديث (٦٤٨٣).

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٣ / ٥٨٢)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، والمعجم الأوسط للطبراني (٢ / ٥٤) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل إلا الفضل، ولا يروى عن زيد بن ثابت إلا بهذا الإسناد»، وضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٨ / ٣٠٨).

(٣) فتح الباري (١ / ٢٦٠).

وتصدده عنه، يقول أبو هريرة: فدعوته يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام، فتأبى عليّ، فدعوته اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أُمَّ أبي هريرة.

ولم يخيب رسول الله ﷺ صاحبه الوفي، فقال: «اللهم اهدِ أُمَّ أبي هريرة»، فخرج مستبشراً فرحاً بدعوة نبي الله ﷺ، يرجو أن تكون سبباً في إسلام أمه. يقول: فلما جئت، فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أُمِّي خشف قدمي [أي صوت مشي]، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فإذا هي تغتسل للإسلام، وتشهد بشهادة التوحيد.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك، وهدى أُمَّ أبي هريرة ^(١).

لقد أتى ﷺ أول النهار يبكي حُزناً على تمنع أمه عن الإسلام وسببها للنبي ﷺ، فما لبث أن عاد يبكي فرحاً بإسلامها ببركة دعاء النبي ﷺ.

قال النووي: «وفيه استجابة دعاء رسول الله ﷺ على الفور بعين المسؤول، وهو من أعلام نبوته ﷺ» ^(٢).

وسرورُ أبي هريرة وفرحُه لم ينسيه أن يطلب من النبي ﷺ دعوةً ثالثة، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأُمِّي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا وَأُمَّه إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ».

(١) صحيح مسلم (١٦٥ / ٧) برقم (٦٤٧٩).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥٢ / ١٦).

يقول أبو هريرة: فما خُلِقَ مؤمن يسمع بي ولا يراني؛ إلا أحبني^(١).
وهنا إلزام جدلي فحبُّ المؤمنين في كل عصر لراوية الإسلام العظيم أبي هريرة،
هو دليل باهر وبرهان ظاهر على استجابة الله دعاء نبيه وحبيه ﷺ.
ثالثاً: لازم المذهب فقد روى الصدوق وغيره: (عن علي قال: قال رسول
الله (صلى الله عليه وآله): اللهم ارحم خلفائي، قيل: يا رسول الله ومن خلفائك؟
قال: الذين يأتون من بعدى يروون حديثي وسنتي)^(٢). ولا شك أن أبا هريرة هو
أكثر من روى عن رسول الله ﷺ^(٣).



(١) صحيح مسلم (١٦٥ / ٧) برقم (٦٤٧٩).

(٢) من لا يحضره الفقيه (٤ / ٤٢)، وسائل الشيعة (١٣٩ / ٢٧).

(٣) للاستزادة انظر كتاب دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم صالح العلي.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه وبعد ففي نهاية هذا البحث أحمد الله تعالى الذي يسر وأعان على إتمامه وختمه بهذه الخاتمة اليسيرة التي تجمع شتاته وتولف بين موضوعاته، موردا أهم النتائج التي توصلت اليها وهي كالتالي:

- ١- أن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم قائم على تعظيم نصوص الكتاب والسنة والاعتصام بهما والاهتداء بهديهما وهو المنهج الحق الذي يتضح من خلاله موافقة النقل الصحيح للعقل الصريح من غير أن يحصل بينهما تعارض.
- ٢- للإلزام ثلاثة طرق؛ فتارة يكون دليلا علميا، ويكون دليلا جدليا، ويكون لازم المذهب. فيكون علميا إذا كان ما بني عليه الإلزام حقا، وقام على دليل صحيح، فإنه حينئذ يفيد اليقين، ويجب على كل منهما طردها، فهي حجة على هذا في صورة الاستدلال، وعلى هذا في صورة النقض، فترك أحدهما لإثباته ليس مباحا للآخر الترك إذا قام موجهه، واللازم من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ إذا صح يكون لازما حق، يثبت ويحكم به، لأن كلام الله ورسوله حق ولازم الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازما من كلامه وكلام رسوله فيكون مرادا.

وكذلك قول الإنسان إما أن يكون موافقا للكتاب والسنة فيكون حقا ولازمه حقا وإما أن يكون مخالفا للكتاب والسنة فيكون باطلا ولازمه باطلا.

أما إذا لم يكن ما بني عليه الإلزام صحيحا، وإنما أراد الملزم أن يبين خطأ خصمه وتخليطه أو مغالطته، فإن هذا دليل جدلي لا علمي وهي الطريقة الثانية وتتكون من مقدمتين أحدهما كبرى والأخرى صغرى ونتيجة، ولها أحكام: منها: أن موافقة أحدهما للآخر على ما لا يعلم صحته ليس مبيحا له العمل إلا إذا قام موجه والسبب أن هذا في الحقيقة استدلال على فساد قول المنازع بما لا يستلزم صحة قول المستدل بمنزلة إظهار تناقضه، وهو من مقاصد الجدل. وأما الطريقة الثالثة وهو ما يستخدمه الفقهاء غالبا ما يسمى «لازم المذهب»، ولازم المذهب هو «القواعد العامة للمذهب»، وأكثر من اشتهر بذلك هو ابن حزم في كتبه مثل كتاب الفصل وكتاب المحلى. ولازم المذهب له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يذكر له لازم قوله فيلتزمه، مثل أن يقال لمن ثبت وزن الأعمال في الآخرة يلزمك القول بجواز وزن الأعراض. فيقول المثبت: نعم ألتزم به، لأن أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا والله تعالى على كل شيء قدير، ثم إنه وجد في زماننا هذا موازين للحرارة والبرودة والإضاءة ونحو ذلك من الأعراض.

وهذا اللازم يجوز إضافته إليه إذ علم منه أنه لا يمنعه.

الحالة الثانية: أن يذكر له لازم قوله فيمنع التلازم بينه وبين قوله، مثل أن يقول نافي الصفات لمن يثبتها، يلزمك أن يكون لله تعالى مشابها للخلق في صفاته، فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأننا عندما أضفنا الصفات إلى الخالق سبحانه قطعنا توهم الاشتراك والمشابهة كما أنك أيها النافي للصفات، تثبت ذاتا لله تعالى وتمنع أن يكون الله مشابها للخلق في ذاته، فقل ذلك أيضا في الصفات إذ لا فرق بينهما.

وهذا اللازم لا يجوز إضافته إليه بعد أن بين هو وجه امتناع التلازم بين قوله وبين ما أضيف إليه .

الحالة الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتا عنه فلا يذكر بالتزام ولا المنع، فهذا حكمه أن لا ينسب إليه ، لأنه إذا ذكر له اللازم : فقد يلزمه وقد يمنع التلازم، وقد يتبين له وجه الحق فيرجع عن اللازم والملزوم جميعا .

٣- وصف الرافضة للصحابة عليهم السلام بالنفاق في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالردة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام يستلزم الطعن في الله تعالى حيث أثنى عليهم في التوراة والإنجيل والقرآن ووعدهم جنات تجري تحتها الأنهار واعتقادهم المذكور يلزم منه تجهيل الله تعالى بما تنطوي عليه قلوبهم وما تؤول إليه أمورهم تعالى عن ذلك سبحانه وتعالى .

٤- إن القول بنفاق الصحابة عليهم السلام أو ردتهم يعني أن تربية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم قد أخفقت إخفاقا لم يواجهه أي مصلح أو مرب صادق مخلص .

٥- يتوقف حفظ القرآن على القول بإيمان الصحابة عليهم السلام وعدالتهم لأن من شرط ثبوته نقله بالتواتر وهذا لا يحصل بنقل المعصوم الواحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا يتبين أن طعن الرافضة في الصحابة عليهم السلام يستلزم الطعن في الدين لأنهم هم نقلة الكتاب والسنة وإذا طعن في الناقل زالت الثقة فيما نقله وحفظه .

٦- أن عليا عليه السلام لم يدع لنفسه الخلافة ولا قاتل الصحابة عليهم السلام الذين قبله على شيء من ذلك بل بايعهم وجاهد معهم وفي هذا دلالة على عدم إقراره بخلافة من قبله وتصحيحه تصرفاتهم .

وعلى العموم فهذا البحث يتطرق لباب يصعب حصره في عقيدة متناقضة مثل عقيدة الرافضة مع ما فيه من قصور ظاهر، وبقيت هناك أمور مهمة ما زالت

تحتاج لمزيد من البحث والتأمل منها الإلزامات على عقيدة الرافضة في تحريف القرآن ومنها التقية عند الرافضة وما يترتب عنها من آثار عملية.

هذا آخر ما تيسر كتابته والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.



قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
	المقدمة:
	أهمية الموضوع:
	أسباب اختيار الموضوع:
	حدود البحث:
	خطة البحث:
التمهيد مكانة الإلزام في الرد على المخالفين في الإسلام	
	المبحث الأول: الإلزام في القرآن الكريم
	المبحث الثاني: الإلزام في السنة النبوية
	المبحث الثالث: الإلزام عند الصحابة <small>رضي الله عنهم</small> والعلماء.
الباب الأول: الإلزامات التي تلزم الرافضة في موقفهم من الصحابة <small>رضي الله عنهم</small>	
	الفصل الأول: إلزامات قولهم أن الصحابة منافقون:
	التمهيد وفيه بيان مذهب الرافضة في قولهم إن الصحابة منافقون
	المبحث الأول: إلزامات ثناء الله عليهم في كتابه

الصفحة	الموضوع
	المبحث الثاني: إلزامات عدم قيام الكثرة الكافرة على القلة المؤمنة
	المبحث الثالث: إلزامات عدم تكفير علي <small>عليه السلام</small> لمن خالفه
	المبحث الرابع: إلزامات أمر النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> بتبليغ رسالته
	المبحث الخامس: إلزامات نصرهم للنبي <small>صلى الله عليه وآله</small> وقتالهم معه
	الفصل الثاني: إلزامات قولهم إن الصحابة ارتدوا بعد النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> :
	التمهيد وفيه قول الرافضة إن الصحابة ارتدوا بعد النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>
	المبحث الأول: إلزامات الطعن في القرآن الكريم
	المبحث الثاني: إلزامات قتال الصحابة للمرتدين
	المبحث الثالث: إلزامات عدم تضييع الصحابة لجهادهم وتعبهم
	المبحث الرابع: إلزامات أن القدح في الصحابة قدح في النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>
	المبحث الخامس: إلزامات ما حصل على أيدي الصحابة من فتوحات
الباب الثاني: الإلزامات التي تلزم الرافضة في موقفهم من الخلفاء الراشدين	
	الفصل الأول: إلزامات قولهم في أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small> :
	التمهيد وفيه بيان قدحهم في أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>
	المبحث الأول: إلزامات مدح أئمتهم لأبي بكر الصديق
	المبحث الثاني: إلزامات دفن أبي بكر الصديق مع النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>
	المبحث الثالث: إلزامات عدم مقاتلة علي لأبي بكر في الخلافة

الصفحة	الموضوع
	المبحث الرابع: إلزامات خروج أبي بكر مع النبي ﷺ في الهجرة
	المبحث الخامس: إلزامات قولهم بأن فعل علي مع أبي بكر محمول على التقية
	الفصل الثاني: إلزامات قدحهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
	التمهيد وفيه بيان مذهبهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه
	المبحث الأول: إلزامات تزويج علي ابنته أم كلثوم لعمر
	المبحث الثاني: إلزامات دفن عمر مع النبي ﷺ
	المبحث الثالث: إلزامات تولية عمر لعلي على المدينة
	المبحث الرابع: إلزامات الفتوحات التي حصلت في عهد عمر
	الفصل الثالث: إلزامات قدحهم في عثمان بن عفان رضي الله عنه:
	التمهيد وفيه بيان قدحهم في عثمان بن عفان رضي الله عنه
	المبحث الأول: إلزامات تزويج النبي ﷺ ابنته لعثمان
	المبحث الثاني: إلزامات جمع القرآن في مصحف واحد بأمر عثمان
	المبحث الثالث: إلزامات تجهيز عثمان لجيش العسرة
	المبحث الرابع: إلزامات عدم منازعة علي لعثمان الخلافة مع قدرته على ذلك
	الفصل الرابع: إلزامات في القدح في الخلفاء الثلاثة جميعاً:
	التمهيد بيان نصهم على خلافة علي دون غيره وقدحهم في عدالة الخلفاء الثلاثة
	المبحث الأول: إلزامات رضى علي بخلافتهم ومبايعتهم

الصفحة	الموضوع
	المبحث الثاني: إلزامات عدم إبعاد علي عن شؤون الخلافة
	المبحث الثالث: إلزامات عدم تحقيق مصالح ذاتية لهم في خلافتهم
	المبحث الرابع: إلزامات تسمية علي بأسمائهم
	المبحث الخامس: إلزامات تخصيص النبي ﷺ لهم بأمر كثيرة
	المبحث السادس: إلزامات عدم إثبات فضيلة لعلي إلا وللثلاثة مثلها
الباب الثالث: الإلزامات التي تلزم الرافضة في باقي الصحابة غير الخلفاء الثلاثة	
	الفصل الأول: الإلزامات في قدحهم في أمهات المؤمنين عائشة وحفصة:
	التمهيد وفيه بيان قدحهم في أمهات المؤمنين عائشة وحفصة <small>رضي الله عنهما</small>
	المبحث الأول: إلزامات قولهم أن الكافرة يجب أن تطلق
	المبحث الثاني: إلزامات ثناء النبي ﷺ عليهما
	المبحث الثالث: إلزامات ورود ذكرهم في القرآن مع باقي الزوجات
	الفصل الثاني: الإلزامات في قدحهم في معاوية بن أبي سفيان <small>رضي الله عنه</small> :
	التمهيد وفيه بيان مذهبهم في معاوية بن أبي سفيان <small>رضي الله عنه</small>
	المبحث الأول: إلزامات تنازل الحسن بن علي لمعاوية بالحكم
	المبحث الثاني: إلزامات نصرته للإسلام وكثرة الفتوحات في عهده
	المبحث الثالث: إلزامات إكرام معاوية لأهل البيت
	الفصل الثالث: الإلزامات في قدحهم في أبي هريرة <small>رضي الله عنه</small> :

الصفحة	الموضوع
	التمهيد وفيه بيان مذهبهم في أبي هريرة <small>رضي الله عنه</small>
	المبحث الأول: إزامات روايته لفضائل أهل البيت
	المبحث الثاني: إزامات دعاء النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> له
	الخاتمة : النتائج والتوصيات
	قائمة المحتويات



